



جهود الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - في خدمة الإسلام

إعداد
الأستاذ الدكتور / أحمد بن يوسف الدراويش

وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لخدمة المجتمع وتقنية المعلومات

وأستاذ الفقه في كلية الشريعة

١٤٣٠هـ

شركة مكتبة
العبيكان
Obekon
Publishers & Booksellers

ح

مؤسسة الملك خالد الخيرية، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدرويش، يوسف بن أحمد

جهود الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله في خدمة الإسلام.

أحمد بن يوسف الدرويش،

الرياض، ١٤٣١هـ

٢٠٨ ص، ١٦، ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠١٣٠-٢-٠

١- الصحة العامة - السعودية ٢- العناية الصحية - السعودية

٣- السعودية - تاريخ - الملك خالد أ. العنوان

١٤٣١/١٢١٢

ديوي ٠٥٣١، ٦١٤

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

جميع الحقوق الفكرية والطباعية محفوظة لمؤسسة الملك خالد الخيرية

يمنع نسخ أو استعمال جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من مؤسسة الملك خالد الخيرية.

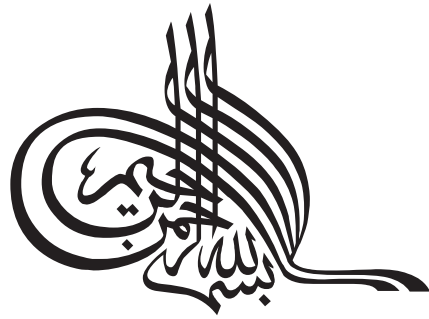
امتياز التوزيع

الرياض - العليا - تقاطع الملك فهد مع شارع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

الرقم المجاني الموحد لفروع المكتبة: ٩٢٠٠٢٠٢٠٩



تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،،

أما بعد:

فإن من نعم الله علينا أن هيا لهذا الدين رجالاً مخلصين بذلوا أنفسهم وأموالهم لخدمته، فضربوا في ذلك أروع الأمثلة وأصدقها وأزهاها، فسجلوا لهم في صفحة التاريخ مجداً خالداً، وتركوا بصمة ناصعة وضاءة في حياتهم، تستشف منها الأجيال دوافع سموها، وتستتير بها في رسم حاضرها ومستقبلها..

وإن من الواجب علينا أن نعرف لهؤلاء حقهم نظير ما قدموه من أعمال جليلة، وعطاءات عظيمة، أسهمت في تواصل معطيات الحضارة العربية والإسلامية وترسيخ مبادئها السامية، وقيمها النبيلة، حتى غدت سيرهم مدعاة للفخر والاعتزاز لدى أبناء المجتمع والأمة كافة..

وهذا ما قامت به -مشكورة- مؤسسة الملك خالد الخيرية ممثلة بمجلس الأمناء وإدارة الدراسات والبحوث عندما سعت إلى بناء قاعدة معلومات شاملة تتضمن جوانب سيرة الملك خالد -رحمه الله- كافة والإنجازات التنموية التي تمت في عهده، رغبة منها في توثيق حقبة مهمة من تاريخ المملكة من خلال أحد أهم ملوكها، حيث شهدت المملكة في عهده سنوات من التنمية والرخاء غير المسبوقين، وتأتي مؤسسة الملك خالد وفاء لذكراه، واستمراراً لنهجه، وتفعيلاً صادقاً لنواياه الصالحة.

وإنه لشرف عظيم أن يكتب الإنسان عن شخصية هذا القائد الفذ، سليل من صنعوا التاريخ، ووحدوا البلاد والعباد، ونشروا الأمن والأمان والاستقرار في ربوعها، وما زالت سيرته المضيئة وذكراه العطرة تحيا في نفوسنا وقلوبنا ووجداننا، وبخاصة خلال سنوات حكمه السبع التي تسلم فيها مقاليد الحكم وسياسة أمور الرعية، والتي شهدت تنمية شاملة، وخيراً وقيماً، وسخاءً وبذلاً امتد ليصل إلى كل أرجاء الوطن، ناهيك عن أعماله الجليلة، وجهوده المباركة في خدمة الإسلام وأهله في الداخل والخارج.

وأرجو أن أكون من خلال هذا البحث قد وفقت لتغطية جانب مهم من حياته ألا وهو جهوده -رحمه الله- في خدمة الإسلام، ولا يخفى كثرة تلك الجهود، وتنوعها وعموم نفعها وأثارها المثمرة محلياً وعربياً وإسلامياً وعالمياً.

كما أرجو أن يكون ما بذلته من جهد يتناسب وتلك الجهود والإنجازات، وبخاصة أن الفراغ من تأليف هذا السفر المبارك - بإذن الله - قد تزامن مع تدشين المؤسسة لقاعدة المعلومات الخاصة عن الملك خالد -رحمه الله- والتي تعد عملاً ضخماً ومشروعاً جباراً يرجى أن يعم نفعه، ويستفاد من محتواه.

فنسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يبارك في جهود القائمين على هذه المؤسسة، كما نسأله أن يحفظ لهذه البلاد قاداتها وسؤددها، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحابه..

المؤلف

أ.د. أحمد بن يوسف الدراويش

مقدمة البحث

شاعت الكتابة عن سير الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء منذ القدم، وغالب من تصدّى لذلك أعلام عاصروا دولهم، وشهدوا من أحوالهم فترة الحكم ما دعاهم إلى تدوين سيرهم وأخبارهم، وقد عقد ابن النديم المتوفى سنة ٤٣٨هـ في كتابه (الفهرست) مبحثاً عن أخبار الملوك أعجبنى فيه إشاراتِهِ إلى بعض مؤلفاتهم وجهودهم في خدمة الإسلام كما صنع مع الخليفة المأمون^(١): (له من الكتب كتاب جواب ملك البرغز^(٢) فيما سئل عنه من أمور الإسلام والتوحيد، رسالته في حجج مناقب الخلفاء بعد النبي ﷺ، رسالته في أعلام النبوة^(٣)). ولا نعلم أمة اهتمت بأخبار ملوكها وسيرهم وأحوالهم في سياسة الرعية كما فعلت الأمة الإسلامية، والنّاظر في المكتبة التراثية يلمح كثرة المصنّفات المفردة في هذا الباب، حتّى إنّ بعض الأعلام أفرد سيرا لأكثر من ملك، وليس كتابنا هذا مجال استقصاء لذلك^(٤)، وحسبنا أن نذكر نماذج تغني عن الاسترسال في غيرها؛ فمن ذلك

- (١) أبو العباس عبد الله بن هارون الرّشيد بن محمّد المهدي بن أبي جعفر المنصور الهاشمي سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد رجال بني العباس حزما وعزما وعلماء، توفّي سنة ٢١٨هـ. انظر تاريخ الإسلام ٣٥١/٥ للذهبي، وأعلام الزركلي ١٤٢/٤.
- (٢) اسم مدينة على ساحل البحر المتّصل بخليج القسطنطينية وأهلها من جنس الترك. انظر عن هذه المدينة وملوكها معجم البلدان ٣٨٥/١ لياقوت الحموي.
- (٣) الفهرست ١٢٩.
- (٤) نشير إلى حاجة المكتبة العربية إلى دراسة ببلوغرافية تحليلية عن المصنّفات المفردة في أخبار ملوك الدولة الإسلامية خلال مراحلها المتتابعة.

مؤلفات في أخبار الخلفاء الراشدين وفضائلهم مثل ما فعله أبو طالب محمد بن عليّ العشاري الحنبلي- ت ٤٥١هـ في (فضائل أبي بكر الصديق)، وأبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ ابن الجوزي البغدادي- ت ٥٩٧هـ في (مناقب عمر بن الخطاب)، وأبو الخير أحمد بن إسماعيل القزويني- ت ٥٩٠هـ في (قربة الدارين في مناقب ذي النورين عثمان)، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي- ت ٢٨١هـ في (فضائل عليّ بن أبي طالب)، وكذا ما جمعه أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري- ت ٢١٤هـ في (سيرة عمر بن عبد العزيز)، وتتابع بعد هؤلاء. خلال مراحل من تاريخنا الإسلامي. جهود كثيرة في سير الملوك وأخبارهم كما نراه عند موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ت ٦٢٩هـ في (سيرة الملك العادل) ذكر فيه عمق فكره، وبصره بالعواقب، وحلمه وأناته، وصبره على الشدائد، وكثرة صلاته وصومه، ويشيد بجهوده في أعمال البر: (وله صدقات في كثير من الأوقات وخاصة عندما تنزل به الآفات)^(١)، وكذا نرى عند أبي عبد الله محمد بن عليّ ابن شداد الحلبي- ت ٦٨٤هـ في (سيرة الملك الظاهر)، وأبي الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري- ت ٦٩٢هـ في (سيرة الملك الظاهر) أيضا، وأبي محمد محمود بن أحمد العيني- ت ٨٥٥هـ في (السيف المهند في سيرة الملك المؤيد)، و(الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر)، وبهاء الدين محمد ابن يوسف الباعوني ت-٩١٦هـ في (القول السديد الأظرف في سيرة الملك السعيد الأشرف)، و(الإشارة الوفيّة إلى الخصائص الأشرفيّة) في سيرة الملك الأشرف قايتباي، وأبي اليمن عبد الرحمن بن محمد العلّيمي الحنبلي ت ٩٢٨هـ في (البدر المنور في سيرة الملك المظفر)^(٢)، وغير ذلك كثير طيب يمكن أن ندرج تحته ما كتبه الدارسون عن ملوك الدولة السعوديّة وما أبرزوه من آثارهم الحميدة في الدين، وهو تراث نعدّه امتدادا لجهود الأسلاف في إثراء المكتبة العربيّة بأخبار النخبة الحاكمة وسرد ما لها من فضائل وأعمال.

(١) النجوم الزاهرة ١٦٦/٦.

(٢) آثار هؤلاء الأعلام تعلم من مصادر تراجمهم، ولا نريد هنا أن نقل الحواشي بتراجمهم.

إن إبراز جهود الشخصيات الرائدة في خدمة الإسلام وأهله هو إبراز للإسلام نفسه، ومسلك حميد في نشر الرسالة المحمدية، وتشجيع للرعية على سلوك درب الراعي في خدمة الدين والتخلي بآدابه، ولهذا ذكر العلماء أن صلاحهم يتأثر بصلاحه (يجب أن يعلم أن صلاح الناس في حسن سيرة الملك) (١).

إن الحديث عن سيرة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود وإبراز جهوده المباركة في خدمة الإسلام لهو باب واسع ممتع، سعدتُ جداً لما أوكل إلي الكتابة فيه؛ لارتباطه بقائد كبير احتل مكانة كبيرة في نفوس أفراد الشعب السعودي الذين كانوا يعدونه - بحق - أباً حنوناً، وقائداً مظفراً حكيماً، وقدوة صالحة، وهذا هو سرّ الحبّ الذي كان يكنّه الملك لهم ويكنونه له. ومثل هذا الحبّ المتبادل بين الراعي والرعية ليس بالأمر الهين وإنما هو توفيق من الله تعالى لملك بذل قصارى جهده في خدمة دينه ثمّ وطنه وشعبه؛ ولهذا جاء في الحديث النبوي الصحيح:

(خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم) (٢).

قال الماوردي (٣): (هذا صحيح؛ فإنّ الإمام إذا كان ذا خير أحبهم وأحبوه، وإذا كان ذا شرّ أبغضهم وأبغضوه. وأصل ذلك أنّ خشية الله تبعث على طاعته في خلقه، وطاعته فيه تبعثهم على محبته؛ فلذلك كانت محبته دليلاً على خيره، وبغضهم له دليلاً على شره وقلة مراقبته) (٤).

إنّ ملكاً حظي في قلوب رعيته بهذه المحبة لجدير أن تفرد سيرته بالكتابة، وتبرز جهوده في خدمة دين أشرب حبّه منذ صغره على يد والده الملك الصالح والإمام

(١) الخَيْرِيَّيْتِي: الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ١٨٥٥، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أبو الحسن عليّ بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، توفّي عام ٤٥٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٦٤/١٨.

(٤) نقله المناوي في فيض القدير ٣/٤٦٣ - ٤٦٤.

العادل الأُمعي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - الذي غرس في ذريته التفاني في خدمة الإسلام، وعودهم على أداء شعائره على أكمل وجه، ومسلّكه - رحمه الله - في إيقاظهم لصلاة الفجر وتأنيب من تأخر عن أدائها جماعةً خير شاهد على عمق الإيمان الذي وقر في قلب الملك المؤسس، وبعد نظره في تهيئة ملوك صالحين يحملون بعده راية التوحيد والوحدة، ومعالِم النهضة الحضارية الشاملة القائمة على شرع الله عز وجلّ.

إن أسباباً انقذت في ذهني تحملي على المضيّ قدماً للكتابة عن جهود الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - في خدمة الإسلام يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: تجديد ذكرى ملك حظي بمكانة رفيعة في نفوس الناس، ولازم هذا التجديد دعوات بالرحمة يبتهل بها المحبّون سائلين المولى أن يتغمّده بالرضوان، ويزيده أجراً وثواباً مع كلّ دعوة متجدّدة، وكفى بمثل هذا السبب دافعاً للكتابة.

ثانياً: اقتفاء سيرة ملك صالح قاد - بحكمة وانضباط - دفة بلاد مترامية الأطراف، وعاصر أحداثاً جسيمة مرّت بها الأمة العربية والإسلامية، فوفّق لضبط أمورها ضبطاً حظي فيه الناس برغد عيش وأمن وأمان، وراحة واطمئنان..

ثالثاً: تحقيق أدنى واجب تجاه ملك قدّم كثيراً لدينه ثمّ وطنه وشعبه.

رابعا: إثبات ما عليه ولاة هذه البلاد المباركة من الاستمساك بأحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه، والسّير على هدي خير الأنام، وسيرة سلف هذه الأمة الصّالح.

خامساً: التّواصي على مواصلة الجهود لخدمة دين الإسلام الحنيف الذي ارتضاه الله للناس ديناً، وإبراز دور الولاية الصّالحين..

سادساً: الإسهام في توثيق تاريخ المملكة العربية السعودية، وذلك من خلال تناول قطاع حيوي ومهمّ يتمثّل في خدمة الإسلام والمسلمين في الدّاخل والخارج.

سابعاً: إثراء المكتبة العربية والإسلامية بشكل عام، والمكتبة السعودية بشكل خاص برصيد معرفي يضيف لبنة إلى الجهود العلمية في هذا المجال، ويفتح الباب للدراسات المستقبلية لمعالجة المعطيات والتوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة.

إنّ المتأمل في حياة الملك خالد -رحمه الله- يرى جوانب مشرقة، وجهوداً مباركة تجاه الإسلام ارتكزت على خدمة الكتاب المنزّل، وسنة النبي المرسل ﷺ، والعلم النّابع منهما، والدعوة إليهما، ومد يد العون إلى الناس داخل المملكة وخارجها، وخدمة أماكن العبادة وفي مقدمتها الحرمين الشريفان. وضبط أمور الدولة بحكمة واقتدار، وتوجيه المجتمع وإصلاحه، وكلّ هذا جعل بحثنا يحوم حول هذه المباحث السبعة، وأضفنا إليه ما تقتضيه جوانب الدراسة فكان حاصل ذلك:

مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، وخطّته.

التمهيد: ويشتمل على ترجمة موجزة عن حياة الملك خالد -رحمه الله- (نسبه، مولده، نشأته، حياته العلمية، حياته السياسية، وفاته).

المبحث الأول:

جهوده في مجال خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثاني:

جهوده في مجال خدمة العلم الشرعي وأهله.

المبحث الثالث:

جهوده في مجال خدمة الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة.

المبحث الرابع:

جهوده في مجال خدمة الدعوة إلى الله تعالى في الدّاخل والخارج.

المبحث الخامس:

جهوده في مجال العمل الإغاثي في الداخل والخارج.

المبحث السادس:

موقفه من حادثة الحرم المكي الشريف.

المبحث السابع:

جهوده في مجال الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

الخاتمة:

وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات المقترحة.

الفهارس: وتشمل الآتي:

١ - فهرس الآيات.

٢ - فهرس الأحاديث.

٣ - فهرس الآثار.

٤ - فهرس المصادر والمراجع.

٥ - فهرس الموضوعات.

التمهيد

ويشتمل على ترجمة موجزة عن حياة الملك خالد -رحمه الله- (نسبه، مولده، نشأته، حياته العلميّة، حياته السياسيّة، وفاته).

أولاً: نسبه^(١).

يعدّ الملك خالد أحد أفراد الأسرة العربيّة العريقة الضّاربة في جذور التّاريخ من آل سعود الذين قامت على أكتافهم دولة التّوحيد، ورفعوا رايتها خفاقةً منذ تأسيسها إلى يوم النّاس هذا.

وقد حظي بنسب عربيّ كريم من جهة أبويه:

فوالده: هو عبد العزيز بن عبد الرّحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمّد بن سعود بن محمّد بن مقرن بن فرحان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي.

وهو موحد المملكة وباعث نهضتها الحديثة.

ووالدته: هي الجوهرة بنت مساعد بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمّد بن سعود.

(١) عن نسب الملك خالد ينظر تاريخ المملكة العربيّة السّعوديّة في ماضيها وحاضرها ٥٣٣/٢ لصلاح الدّين المختار، وقصر الحكم في الرّياض ٩٥ للرّويشد، وعنوان المجد في تاريخ نجد ١٢ - ١٣ لابن بشر.

تزوجها الملك عبد العزيز عام (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) وهي في سن السابعة عشر من عمرها، وهي الزوجة الرابعة له، وقد أسكنها معه في قصر الحكم بالرياض، وخصص لها قسماً كبيراً منه.

ويرتبط نسب الجوهرة بنسب آل سعود، فوالدة أبيها هي نورة بنت أحمد السديري، وهي أخت سارة والدة الملك عبد العزيز، فيكون الأمير مساعد بن جلوي -والد الجوهرة- ابناً لعم الملك عبد العزيز، وابناً لخالته أيضاً، وأمّاً والدة الجوهرة -وهي جدّة الملك خالد بن عبد العزيز لأمّه- فهي حصّة بنت عبد الله بن تركي بن عبد الله آل سعود.

وهذا كله يدلّ على عراقة الملك خالد في النسب السعودي من جهة أبويه الكريمين، وهو نسب صالح بورك في أفرادهم، فلا جرم أن كان لصلاح الوالدين الكريمين أثر في صلاح ذريتهما، وفي القرآن الكريم: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(١).

قال محمد بن المنكدر^(٢) عند هذه الآية: (إنّ الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته)^(٣) وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم^(٤).

تميّزت والدته الجوهرة بصفات حميدة وخلال كريمة مع مبادرة إلى فعل الخير شأن الصالحين الأخيار، وامتزج ذلك كله بجمال أخاذ وذكاء واسع، كما كانت محبّة للعلم مرغبة فيه، وقد أوقفت^(٥) كتاباً مشهوراً من كتب الحديث المتداولة

(١) الكهف: الآية ٨٢.

(٢) أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي الزاهد العابد، توفّي سنة ١٣٠هـ، انظر تاريخ الإسلام ٥٢١/٣ للذهبي.

(٣) عترة الرّجل: نسله ورهطه وعشيرته الأقربون. انظر تاج العروس ٥٢٠/١٢ (عترة) للزبيدي.

(٤) تفسير البغوي ١٧٧/٣.

(٥) تحتفظ بهذه النسخة الموقوفة مكتبة الملك فهد الوطنية، وانظر نصّ هذه الوقفية في كتاب نساء

شهيرات من نجد ١٩٨ لدلال الحربي.

لدى النَّاس وهو كتاب التَّريغيب والتَّرهيب^(١) للإمام الحافظ زكيَّ الدين عبد العظيم بن عبد القويِّ المنذري المتوفَّى سنة ٦٥٦هـ.

وبعد حياة حافلة بالخير والعطاء توفِّيت والدة الملك خالد عام (١٣٣٧هـ - ١٩١٩م) متأثرة بمرض الحمى الإسبانية، وحزن عليها الجميع وفي مقدِّمتهم الملك عبد العزيز - رحمه الله - لمكانتها الرِّفيعة في نفسه، ومشورتها الصائبة^(٢)، وسمَّيت السَّنة هذه بـ (سنة الرَّحمة)^(٣) لوفاة الآلاف فيها بهذه الحمى، ونحسبهم شهداء عند الله فقد ذكر الفقهاء أنَّ الميت بالطَّاعون شهيد؛ لقوله ﷺ: (من مات في الطَّاعون فهو شهيد)^(٤)، والمراد بها الشَّهادة في الآخرة.

وقد أنجبت الجوهرة للملك عبد العزيز آل سعود ثلاثة من الأولاد؛ ابنان هم: محمَّد وخالد، وبنت وهي: العنود.

فللملك خالد وأخويه أن يفتخروا بهذين الوالدين الصَّالحين الكريمين، ويعتزَّوا بالانتساب إلى هذه الشَّجرة المباركة، وهو افتخار هدفه حسن الاقتداء، واعتزاز دافعه السَّير على درب الخير والصَّلاح، وحال الملك خالد وصلاحه وحبُّه لدينه وتفانيه في خدمته يشهد أنَّه لم يتَّخذ هذا النَّسب وسيلة للفخر بل جعله سبباً سار به

(١) جمع فيه المنذري أحاديث التَّريغيب والتَّرهيب وكتب له الانتشار بين النَّاس، على أنَّ فيه أوهاماً حديثيةً لا يخلو منها كتاب. جمعها وتكلَّم عليها بكلام علميَّ رصين تلميذ الحافظ ابن حجر، برهان الدِّين إبراهيم بن محمَّد النَّاجي الحلبي - ت ٩٠٠هـ في كتاب سمَّاه: عجالة الإماء المتيسِّرة من التَّنذير على ما وقع للحافظ المنذري من الوهم وغيره في كتابه التَّريغيب والتَّرهيب وهو مطبوع متداول.

(٢) عن والدة الملك خالد انظر نساء شهيرات من نجد ٣٣ لدلال الحربي.

(٣) وتسمَّى عند بعض أهل نجد بـ: (سنة السَّخنة).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ١٩١٥، كتاب الإمارة، باب بيان الشَّهداء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تزوجها الملك عبد العزيز عام (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) وهي في سن السابعة عشر من عمرها، وهي الزوجة الرابعة له، وقد أسكنها معه في قصر الحكم بالرياض، وخصص لها قسماً كبيراً منه.

ويرتبط نسب الجوهرة بنسب آل سعود، فوالدة أبيها هي نورة بنت أحمد السديري، وهي أخت سارة والدة الملك عبد العزيز، فيكون الأمير مساعد بن جلوي -والد الجوهرة- ابناً لعم الملك عبد العزيز، وابناً لخالته أيضاً، وأماً والدة الجوهرة -وهي جدّة الملك خالد بن عبد العزيز لأمّه- فهي حصّة بنت عبد الله بن تركي بن عبد الله آل سعود.

وهذا كله يدلّ على عراقة الملك خالد في النسب السعودي من جهة أبويه الكريمين، وهو نسب صالح بورك في أفراد، فلا جرم أن كان لصلاح الوالدين الكريمين أثر في صلاح ذريتهما، وفي القرآن الكريم: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(١).

قال محمد بن المنكدر^(٢) عند هذه الآية: (إنّ الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته)^(٣) وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم^(٤).

تميّزت والدته الجوهرة بصفات حميدة وخلال كريمة مع مبادرة إلى فعل الخير شأن الصالحين الأخيار، وامتزج ذلك كله بجمال أخاذ وذكاء واسع، كما كانت محبّة للعلم مرغبة فيه، وقد أوقفت^(٥) كتاباً مشهوراً من كتب الحديث المتداولة

(١) الكهف: الآية ٨٢.

(٢) أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي الزاهد العابد، توفّي سنة ١٣٠هـ، انظر تاريخ الإسلام ٥٢١/٣ للذهبي.

(٣) عترة الرّجل: نسله ورهطه وعشيرته الأقربون. انظر تاج العروس ٥٢٠/١٢ (عترة) للزبيدي.

(٤) تفسير البغوي ١٧٧/٣.

(٥) تحتفظ بهذه النسخة الموقوفة مكتبة الملك فهد الوطنية، وانظر نصّ هذه الوقفية في كتاب نساء

شهيرات من نجد ١٩٨ لدلال الحربي.

لدى النَّاس وهو كتاب التَّرغيب والتَّرهيب^(١) للإمام الحافظ زكيِّ الدين عبد العظيم بن عبد القويِّ المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

وبعد حياة حافلة بالخير والعطاء توفيت والدة الملك خالد عام (١٣٣٧هـ- ١٩١٩م) متأثرة بمرض الحمى الإسبانية، وحزن عليها الجميع وفي مقدمتهم الملك عبد العزيز-رحمه الله- لمكانتها الرفيعة في نفسه، ومشورتها الصائبة^(٢)، وسميت السنة هذه بـ (سنة الرحمة)^(٣) لوفاة الآلاف فيها بهذه الحمى، ونحسبهم شهداء عند الله فقد ذكر الفقهاء أنَّ الميت بالطَّاعون شهيد؛ لقوله ﷺ: (من مات في الطَّاعون فهو شهيد)^(٤)، والمراد بها الشَّهادة في الآخرة.

وقد أنجبت الجوهرة للملك عبد العزيز آل سعود ثلاثة من الأولاد؛ ابنان هم: محمَّد وخالد، وبنت وهي: العنود.

فللملك خالد وأخويه أن يفتخروا بهذين الوالدين الصَّالحين الكريمين، ويعتزوا بالانتساب إلى هذه الشَّجرة المباركة، وهو افتخار هدفه حسن الاقتداء، واعتزاز دافعه السَّير على درب الخير والصَّلاح، وحال الملك خالد وصلحه وحبّه لدينه وتفانيه في خدمته يشهد أنّه لم يتَّخذ هذا النَّسب وسيلة للفخر بل جعله سببا سار به على هدي والديه، ولم يكن أبدا ممَّن قال فيهم الشَّاعر^(٥):

(١) جمع فيه المنذري أحاديث التَّرغيب والتَّرهيب وكتب له الانتشار بين النَّاس، على أنَّ فيه أوهاماً حديثيةً لا يخلو منها كتاب . جمعها وتكلَّم عليها بكلام علميِّ رصين تلميذُ الحافظ ابن حجر، برهانُ الدِّين إبراهيم بن محمَّد النَّاجي الحلبي- ت ٩٠٠هـ في كتاب سمَّاه: عجالاة الإملاء المتيسِّرة من التَّذنُّيب على ما وقع للحافظ المنذري من الوهم وغيره في كتابه التَّرغيب والتَّرهيب وهو مطبوع متداول.

(٢) عن والدة الملك خالد انظر نساء شهيرات من نجد ٣٣ لدلال الحريي.

(٣) وتسمَّى عند بعض أهل نجد بـ: (سنة السَّخنة).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ١٩١٥، كتاب الإمارة، باب بيان الشَّهداء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ادويان ابن الرُّومي ١٦٨٥.

لئن فخرت بأباء ذوي شرف

لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فنعم ما ولد عبد العزيز، ونعم ما أنجبت الجوهرة، رحمة الله عليهم أجمعين،
أمين..

ثانياً : مولده^(١) :

ولد الملك خالد بمدينة الرياض في شهر ربيع الأول من عام ١٣٣١هـ الموافق
فبراير ١٩١٣م، وذلك في أثناء توجه والده إلى مدينة الأحساء لضمها إلى الدولة
السعودية الحديثة بعد إجلاء الأتراك عنها، فاقترن مولده بفرحة الأب الغامرة
باستعادة الأحساء.

والملك خالد هو النجل الرابع للملك عبد العزيز وهو من أبرز أنجاله، وهو مثل
إخوانه الأمراء معرفة وثقافة وسعة اطلاع، وحذقا وفطنة وكياسة..

ثالثاً : نشأته

حرص الإسلام على حسن تنشئة الأولاد وغرس مبادئ الأخلاق في نفوسهم
منذ نعومة أظفارهم، وفي القرآن الكريم إشارات تربوية تؤكد هذا الأمر؛ فهو يحث
المسلم أن يدعو ربه ليرزق بالذرية الصالحة ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ﴾^(٢)، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام إمام الأنبياء يدعو الله ليجعل ذريته
من أهل الصلاح ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣)، واعتبر الرسول ﷺ دعاء الولد الصالح
امتداداً لعمل الوالدين وإن كان قد انتقل بالموت إلى الدار الآخرة: (إذا مات الإنسان

(١) عن مولد الملك خالد ينظر تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ٥٣٣/٢ لصلاح

الدين المختار، وقصر الحكم في الرياض ٩٥ للرويشد.

(٢) الفرقان: الآية ٤٧.

(٣) الصافات: الآية ٠٠١.

انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له^(١).

إنَّ الملك عبد العزيز - طيَّب الله ثراه - راعى هذا الأمر جيِّداً في تنشئة الملك خالد وإخوانه، وكان يدرك جيِّداً أنَّ حسن تنشئتهم على الصَّلاح والفضيلة مغنم قبل كلِّ شيء له ولهم في الدَّار الآخرة، ومكسب كبير لهذا البلد، من أجل هذا وفرَّ الملك الصَّالح لولده خالد سبيل حفظ الكتاب العزيز، وسهَّل له كبار العلماء لينهل من علمهم وأخلاقهم، وجرياً على عادة الملوك في جودة تعليم الأبناء فقد خصَّص الملك عبد العزيز لولده خالد معلِّماً بالقصر يرعى تعليمه ويقوم على تربيته وإنباته نباتاً حسناً.

كما أدرك الملك عبد العزيز أهميَّة الفروسية والرَّماية وأثرهما في تكوين شخصيَّة الفارس العربي الشَّجاع، وكان يستحضر جيِّداً تلك الحكمة القائلة: (علموا أولادكم الرَّماية والسَّباحة)^(٢)، ويعلم قوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإنَّ أباكم كان رامياً)^(٣).

قال العيني - مستنبطاً من هذا الحديث: (فيه أن السُّلطان يأمر رجاله بتعلُّم الفروسية، ويحضُّ عليها خصوصاً الرَّمي بالسَّهام، وقد وردت فيهِ أحاديث تدلُّ على فضله والتَّحريض عليه)^(٤).

من أجل هذا الفضل الوارد في الشَّرع والفائدة المرجوة من هذا الصَّنيع وجَّه الملك عبد العزيز ولده خالد إلى إتقان الفروسية والرَّماية، وقد وُفق إلى ذلك إلى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ١٦٣١، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثَّواب بعد وفاته، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تروى حديثاً مرفوعاً إلى النَّبي ﷺ ولا يصحّ. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٣/٢٢٤.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: ٢٧٤٣، كتاب الجهاد، باب التَّحريض على الرَّمي، من حديث سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه.

(٤) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ١٤/١٨٢.

حدّ بعيد، وتبع ذلك حبه للصّيد حتّى بعد تولّيه الحكم، وعندما كان يغادر قصره في الرياض يفضّل أن يقضي وقته المتاح مع القبائل في الصحراء.

لقد شبّ الملك خالد رصينا حكيما، رزينا شجاعا، سديدا في الرّأي، متميّزا في أخلاقه وجودة معاملته، وتجمّعت له بذلك مزايا الرّجل العادل، والسّياسي المحنّك، والقائد النّاجح، وكان ذلك كلّ نعم المعين له حين تسلّم مقاليد الحكم في هذه الدّولة المباركة، وظهرت ثمرة التّربية الحسنة منذ الصّغر؛ ولهذا قال الأدباء: (من أدب ابنه صغيراً قرّرت به عينه كبيراً)^(١)، وهذا هو السّرّ في مبادرة الآباء الصّالحين، واستغلالهم مرحلة الطّفولة لغرس القيم الفاضلة في نفوسهم، وعدم إهمالهم حتّى يقوى عودهم وتتعدّر تربيتهم كما قال الشّاعر الحكيم:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل
وليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إنّ الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب^(٢)

وهكذا نشأ خالد في كنف والده الملك عبد العزيز -يرحمهما الله- نشأة صالحة، وظهرت عليه فضائل الأخلاق ومكارم الشّيم التي عوّده عليها منذ صغره، فكان حقاً كما قال الشّاعر الحكيم:

وينشأ ناشئ الفتيان منا | على ما كان عوّد أباه
وما دان الفتى بحجّى ولكن | يعلمه التّديّن أقربوه

رابعاً: حياته العلميّة

للعلم أثر في حياة الإنسان ولأجل ذلك ميّزه الله بالعقل ليدرك به فنون العلوم

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/٨٣ لابن عبد البرّ.

(٢) انظر ديوان المعاني للعسكري ٢/٢٤٣، والآداب الشّرعيّة والمصالح المرضيّة ٣/٥٢٤ لابن مفلح الحنبلي.

وألوان المعارف، إدراكا يخرججه من ظلمات الجهل إلى نور العلم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، والإسلام دين العلم، وأول آية نزلت من القرآن حثت على القراءة التي هي وسيلة من وسائل التعلّم ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢)، ونبيّ الإسلام - عليه الصّلاة والسّلام - بعث بالعلم وحثّ عليه كثيرا، وأخبر (أنّ الملائكة، تضع أجنتها لطالب العلم رضا بما يطلب)^(٣).

إنّ الملوك هم أحوج الناس إلى العلم نظرا لتكفلهم بسياسة الرعيّة وهي تحتاج إلى علم صحيح لينبثق عنه عمل صالح صحيح، تستقيم به شؤون الدولة وتتحقق به العدالة بين الناس، وذلك من أعظم ما يثبّت أركانها، ويمدّ في أعمارها، ويعلي قدرها. أمّا الجهل فلا يمكن أبداً أن تساس به رعيّة، أو يدوم به ملك؛ ولهذا حرص الملوك الصّالحون أعظم الحرص على العناية بالعلم وتقريب أهله وتكريمهم ومشورتهم.

قال ابن الأزرق^(٤): (السّلمان أحوج الخلق إلى العلم لوجهين:

أحدهما: أنّ افتقاره إليه في الأحكام تحوجه إلى المعرفة بها ليكون على بصيرة في تنفيذ الفصل فيها وإلزام الوقوف عند حدودها.

الثاني: أن تحليته بالعلم من أعظم ما يتحبّب به إلى الرعيّة لما رسخ في النفس على الجملة من فضيلة العلم ومحبة من انتسب إليه، وإذا عري منه أو فرط في العمل بمقتضى السّؤال عنه أخلّ بالسّريرة الفاضلة، فينفرون ويستوحشون منه^(٥).

(١) الزّمر: الآية ٩.

(٢) العلق: الآية ١-٥.

(٣) أخرجه الترمذي رقم: ٣٥٣٥، كتاب الدّعوات، باب في فضل التّوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، والنّسائي رقم: ١٥٨، كتاب الطّهارة، باب الوضوء من الغائط والبول، وغيرهما. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن محمّد الأصبحي الأندلسي المشهور بابن الأزرق، عالم اجتماعي سلك طريقة ابن خلدون، توفّي سنة ٨٩٦هـ، انظر الأعلام ٦/٢٨٩ للزركلي.

(٥) بدائع السّلك في طبائع الملك ص ٤٢٦.

لقد نهل الملك خالد من حياض العلم أسوة بأسرته من آل سعود، ولقد كان القصر الملكي في عهد الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - مقصد العلماء والفقهاء الذين كانوا يعقدون مجالس علمية فيها درر من فنون العلم وأصنافه، حظي الملك خالد بسماعها وتنمية ثقافته الشرعية، وازداد بعد ذلك إعجابه بالعلماء مما حداه إلى زيارتهم والتّردّد إلى مجالسهم، ومن جملتهم الشيخ الجليل عبد العزيز بن محمّد الشّثري^(١) الذي كان يزوره في شهر رمضان المبارك كلّ ليلة بعد صلاة التّراويح^(٢)، وهذا الاقتراب من العلماء أحد الرّوافد المباركة التي أسهمت في حبّ الملك خالد للعلم والمعرفة؛ ولذا جاء في حكم لقمان: (يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإنّ الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السّماء)^(٣).

ويمكن أن نضيف إلى هذا الرّافد والده الملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي يعدّ مدرسة قائمة بنفسها تلقى فيها الأمير خالد - غفر الله له - دروساً عميقة في الحياة ضمن صحبة طويلة مباركة مع والده المؤسس دامت اثنان وأربعين عاماً، وهي فترة كان لها أعظم الأثر في نفس الأمير استفادة للعلوم، ومعرفة بشؤون الحياة، وإماماً بفنون السياسة، ويضاف على هذه المدرسة الأبويّة مدرسة المصيبيح داخل القصر وقد درس فيها الملك خالد العلوم الشرعية على أيدي نخبة من كبار العلماء من جملتهم الشّيخ محمّد بن مرحوم المصيبيح^(٤) - رحمه الله - تعالى -.

(١) فقيه حنبلي جليل عينه الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - في عام ١٣٣٧ هـ قاضياً ومفتياً ومدرساً وواعظاً في وادي الرّين، فقام بما أسند إليه خير قيام، وتخرج عليه عدد من طلاب العلم، توفي في عام ١٣٨٧ هـ، وقد أفرد حفيده د. محمّد بن ناصر بن عبد العزيز الشّثري سيرته في كتاب سمّاه إتحاف اللّبيب في سيرة الشّيخ عبد العزيز أبو حبيب نشرته دار العاصمة بالرياض.

(٢) حوار مع الشّيخ الشّثري، جريدة عكاظ، العدد ١٢٢٧٨.

(٣) موطأ مالك رقم: ١٨٢١ بلاغا عن لقمان.

(٤) من أسرة آل مصيبح العريقة في نجد واسم العائلة الحقيقي هو آل مرحوم، وهي أسرة منتشرة في بلدان نجد اشتهرت بتعليم أصول الكتابة والقراءة للطلاب في الكتاتيب، انظر معجم أسماء شوارع مدينة الرياض وشوارعها ٩٦٢/٢ إصدار: أمانة مدينة الرياض.

وكذلك نهل العلم في مدرسة الأمراء التي تعدّ تجربة تربويّة تعليميّة ناجحة من تجارب الملك عبد العزيز، أنشأها داخل قصره بالرياض لتعليم صفار الأمراء من أبنائه وحفدته، وأبناء إخوته ومن يليهم من الأسرة السّعوديّة، وسماها مدرسة الأمراء^(١)، وهي أول مدرسة منظمّة في الرياض^(٢).

لقد كان للملك عبد العزيز آل سعود-رحمه الله- مزايا عالية وسجايا رفيعة جعلته مربياً مقتدراً، واجتمعت فيه قوة الإيمان بربه والدعوة إلى دينه الحنيف، وكان يولي الدّعوة اهتماماً بالغاً، حتّى إنّه كان يعد (البيت السّعودي بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك)^(٣). وهذا الاعتزاز بالدّعوة من شأنه أن يجعل صاحبه مهتماً بالعلم دارساً له؛ لأنّ دعوة بلا علم فساد للمدعوين، ولهذا قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(٤).

إنّ الدّعوة في جوهرها تعليم، وأساس نجاحها تطبيق الدّاعي لتعاليم الإسلام قبل أن يدعو غيره إليها، ولا بدّ أن يسعى في تكميل نفسه بالأقوال والأعمال الصّالحة حتّى لا يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون^(٥)، الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٦)؛ ولذا حرص الملك عبد العزيز-رحمه الله- على تربية أولاده وتنشئتهم تنشئة صالحة؛ إذ هي الأساس الذي تقوم عليه العلوم والمعارف، فكان يردّد على مسامعهم دوماً: (الدّين والصّلاة؛ ترى من نسي الله نساء)^(٧).

وممّا قوّى ارتباط الملك خالد بالعلم عادة والده المؤسس الذي كان يتابع

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ٢/٦٤٤ لخير الدّين الزركلي.

(٢) ذكريات أحمد علي ص ٨٧.

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ١/٣٠ لخير الدّين الزركلي.

(٤) يوسف: الآية ١٠٨.

(٥) فضائل الدّعوة إلى الله للمؤلف، مجلّة التّوعية الإسلاميّة العدد ٢٢٨

(٦) الصّف: الآية ٣.

(٧) الجانب الأسري والتّربوي في حياة الملك عبد العزيز مقال للأميرة نوف بنت عبد العزيز، مجلّة

البنات، العدد ١٢، ص ١٩.

التَّحْصِيلَ الْعِلْمِيَّ لِأَوْلَادِهِ، وَكَانَ جَدُّهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لَا يَزَالُ حَيًّا وَنَشِيطًا، فَكَانَ يَتَأَكَّدُ مِنْ حُضُورِ أَحْفَادِهِ مَجَالِسَ الدَّرْسِ، فِي أَيَّامِ كَانَتْ تَعْقُدُ الدَّرُوسَ فِي غُرْفَةِ طِينِيَّةٍ بَسِيطَةٍ لَدَى عَالِمٍ فَاضِلٍ^(١).

وَتَشْجِيْعًا لِمَوَاصِلَةِ دَرْبِ التَّعَلُّمِ فَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -طَيَّبَ اللَّهُ ثَرَاهِ- يَمْنَحُ الْمُتَفَوِّقِينَ مِنْ أَوْلَادِهِ جَوَائِزَ تَقْدِيرِيَّةً تَرْفَعُ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ وَتَشْجَعُ غَيْرَهُمْ عَلَى مَضَاعَفَةِ الْجُهْدِ فِي التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ. وَكَانَ يَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ وَالْأَمِيرَ الصَّغِيرَ مِنْهُمْ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ حَتَّى الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عَمْرِهِ، ثُمَّ يَرْسِلُهُ إِلَى مَعَلِّمٍ فِي الْبَادِيَةِ يَعِيشُ مَعَهُ مَدَّةً فِي الصَّحْرَاءِ يَتَعَلَّمُ فِيهَا رُكُوبَ الْخَيْلِ وَالرَّمَايَةَ وَالْفُرُوسِيَّةَ، وَيَسْتَوْعِبُ تَقَالِيدَ الصَّحْرَاءِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الرِّيَاضِ وَيَحْضُرُ مَجَالِسَ وَالِدِهِ مَسْتَمِعًا إِلَى الْمُنَاقَشَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْيَوْمِيَّةِ حَوْلَ أَحْدَاثِ الْعَالَمِ عَامَّةً وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ خَاصَّةً^(٢).

وَهَذَا كُلُّهُ أَكْسَبَ الْمَلِكَ خَالِدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَإِخْوَانَهُ صَلَابَةَ فِي النَّفْسِ، وَقُدْرَةَ عَلَى التَّحَمُّلِ، وَمِشَارَكَةَ جَادَّةً فِي الرَّأْيِ، وَنَمَتْ فِي نَفْسِهِمُ الشُّجَاعَةُ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالطَّمُوحُ وَعَدَمُ التَّوَاكُلِ، وَتَخَرَّجُوا مِنْ مَدْرَسَةِ وَالِدِهِمُ وَهُمْ يَحْمِلُونَ صَبْغَتَهُ فِي تَصْرِيفِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ^(٣).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ حَيَاةَ الْمَلِكِ التَّعْلِيمِيَّةَ كَانَتْ حَافِلَةً مِنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهِ إِلَى أَنْ لَقِيَ رَبَّهُ، نَهَلَ فِي مَرَاكِلِهَا الْمَخْتَلِفَةَ مَعَارِفَ شَتَّى كَانَتْ نَعْمَ الْمَعِينِ لَهُ فِتْرَةَ تَوَلَّيْهِ قِيَادَةَ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ الْحَبِيبَةِ.

خَامِسًا: حَيَاتِهِ السِّيَاسِيَّةَ

إِنَّ قِيَادَةَ زِمَامِ الدَّوْلَةِ أَمْرٌ جَلِيلٌ لَا يَنْوُءُ بِهِ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسَهَّلَ لَهُ حِكْمَةَ وَحِكْمَةَ وَدِرَايَةَ وَدَرَبَةَ وَصِلَاحًا يَسُوسُ بِهَا شُؤُونَ دَوْلَتِهِ دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا، وَلَا يَكْفِي فِي سِيَاسَةِ الدَّوْلِ زُهْدٌ وَصِلَاحٌ يَتَحَلَّى بِهِمَا الْحَاكِمُ، بَلْ لِأَبَدٍ مَعَهُمَا مِنْ حَزْمٍ وَشُجَاعَةِ

(١) كتاب المملكة ص ١٣١ لروبرت ليسبي.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الملك الراشد ص ٣٢٢ لعبد المنعم الغلامي.

وقدرة فائقة على ضبط أمور الدولة؛ ولهذا لما سأل الصحابي الجليل أبو ذرّ - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ أن يستعمله في ولاية قال له النبي ﷺ:

(يا أبا ذرّ إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقّها وأدى الذي عليه فيها) ^(١).

قال النووي ^(٢): (هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيّما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأمّا الخزي والندامة فهو في حقّ من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة، ويفضحه ويندم على ما فرّط. وأمّا من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة) ^(٣).

لقد عاش الملك خالد في كنف أبيه السياسي المحنك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وخاض معه تجارب سياسية ميدانية ساعدته فيما بعد على صقل مواهبه وإدارة شؤون الدولة باقتدار، ونذكر هنا وقفات مع مناخ الحرب حين رافق والده في الزحف إلى الحجاز، حيث قدم السلطان عبد العزيز إلى الحجاز بصحبة أخويه محمد وعبد الله، وأبنائه محمد وخالد، وعدد من كبار أهل نجد وعلمائها، إضافة إلى أفراد ممن التحقوا بهم من أقطار عربية مختلفة ^(٤)، وكان ذلك عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م، وقد بلغ الأمير خالد بن عبد العزيز حينئذ اثني عشر عاماً، وهو سنّ مبكر كي يشهد صبيّ في مثله زحفاً هائلاً إلى مكة المكرمة التي يسّر الله للملك عبد العزيز - رحمه الله - وجنده استعادتها بعد أن اضطربت الحالة في الحجاز، وانسحب على إثرها الشريف وحاشيته نحو جدّة، ودخل الملك القائد المظفر عبد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ١٨٢٥، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه.

(٢) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي علامة بالفقه والحديث، توفّي عام ٦٧٦هـ. انظر طبقات الشافعية ١٦٥/٥ لابن السبكي، وأعلام الزركلي ١٤٩/٨.

(٣) انظر

(٤) ملوك آل سعود ص ٢٣٠ لابن هذلول.

العزیز وعدد كبير من أعيان أهل نجد وعلماؤها مكة المكرمة محرمين بالعمرة في ١٨/٥/١٣٤٤هـ، الموافق ٤/١٢/١٩٢٥م، رافعين راية التوحيد، وقد فرح بمقدمه الأهالي، وقاموا بمبايعته.

وقد تدخلت جهات عدة لعقد صلح بين الشريف وبين الملك عبد العزيز ولكنها جهود باءت بالفشل خاصة وأن الشريف أرسل طائرة حلقت فوق مكة المكرمة وألقت منشورات تحرض سكانها على الثورة على الملك المظفر عبد العزيز، فما كان من الملك عبد العزيز سوى أن عقد اجتماعا ناقش فيه الأمر، وأجمعوا أمرهم على وجوب الزحف نحو جدة لمحاصرتها، فسار الملك عبد العزيز بجيشه نحوها وقام بإحكام حصارها، وباغتتهم بهجمات ليلية كان لها أثر بالغ في نفوس الخصوم، خاصة وأن الملك عبد العزيز وصلت إليه إمدادات من نجد بقيادة ابنه فيصل، ونتيجة للوضع المتردي داخل جدة أرسل الشريف إلى المعتمد البريطاني في ٢٩/٥/١٣٤٤هـ الموافق ١٦/١٢/١٩٢٥م، يطلب منه التوسط في الأمر والتفاوض على التسليم، فخرج المعتمد إلى معسكر الملك عبد العزيز وأطلعته على الشروط وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يتنازل الشريف علي عن ملك الحجاز ويرحل عنها تاركا كل شيء للملك عبد العزيز، وأن يضمن الملك سلامة الموظفين والعسكريين والأشراف والأهالي والقبائل ويمنحهم العفو العام.

وهكذا انتهى الحكم الهاشمي للحجاز، وتوحدت هذه المنطقة مع ما وحده الملك عبد العزيز من مناطق البلاد، وغادر الشريف جدة في السادس من جمادى الآخرة، ثم دخلها الملك عبد العزيز وعامل من فيها من السكان معاملة حسنة^(١).

وكان الملك خالد -رحمه الله- شاهداً لكل هذه الأحداث، ومراقباً لها عن كثب، وقد كان لوالده هدف في شهوده لذلك وهو تدريبه لخوض معارك الحياة بعزيمة

(١) تاريخ نجد ص ٣٥١ للريحاني، وشبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ص ٢٥٠ لصالح الدين المختار.

الرجال وإقدام الشجعان، مع أنّ الجهاد لا يجب على الصبيان لضعف بنيتهم^(١) قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾^(٢)، غير أنّ الإمام إذا رأى مصلحة في حضوره جاز ذلك، وهذا ما فعله الملك عبد العزيز مع ولده الأمير خالد.

إنّ صحبة الأمير خالد لوالده في هذه الحادثة الجليلة أفادته جملة أمور تقتصر هنا على اثنين مهمّين:

١ - أهمية بعد نظر القائد سياسياً في تحقيق النصر عسكرياً، وذلك إنّ هذه الصّفة تجعله يتحرّك في الوقت المناسب للحرب، ويهيئ لتحركه جميع وسائل النجاح، سياسياً ومعنوياً ومادياً، ويتصرّف تجاه كلّ موقف تصرّفاً ملائماً^(٣)، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ يلحظ حسن تخطيطه قبل خوض المعارك، ونجاحه الباهر في تحقيق الانتصارات القائمة على بعد النظر وجودة التخطيط.

٢ - التنبّه للأثر السلبي للسياسة الإعلامية الخاطئة على معنويات المقاتلين والمدنيين، وقد ظهر ذلك جلياً في انهيار معنويات أفراد القوات الهاشمية والسكان التابعين لحكم الأشراف بعد معركة الطائف (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) نتيجة السياسة الإعلامية للحكم الهاشمي التي ضخمت ما حدث في هذه المدينة بدرجة كبيرة، واختلقت من القصص المروّعة ما لم يحدث، وكان الهدف من ذلك كسب عطف الآخرين، لكن انعكس ذلك سلباً على أتباع ذلك الحكم، بحيث سيطر الخوف عليهم وانهارت روح المقاومة في نفوسهم، ولذا نجد أنّ الملك خالد -رحمه الله- كان حريصاً على أن يكون إعلام المملكة صادقاً يعتمد على الوقائع دون الإثارة، وأن يكون الحق والخير رائد العاملين على الإعلام^(٤).

(١) المغني ١٦٣/٩ لابن قدامة.

(٢) التوبة: الآية ٩١.

(٣) معارك الملك عبد العزيز ص ٢٧٥ للعشيمين.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٧٧.

إن سبع سنوات مباركة (١٣٩٥ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٧٥ - ١٩٨٢ م) قضاها الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود قائداً لمسيرة المملكة العربية السعودية قد أبان فيها عن سياسة فذة في القيادة، ولم يحد قيد أنملة مما كشفه في خطابه التاريخي حين توليه مقاليد الحكم^(١)، وهو خطاب كشف به عن سياسته الداخلية والخارجية، ولنا فيه وقفات تأمل أبرزها:

١- إعلانه ارتباط المملكة بدين الإسلام الذي هو أساس العزة ووسيلة النصر: ﴿إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ﴾^(٢)، ويؤكد على الاستمسك بالشريعة والعص على النواجد: (كانت الشريعة الإسلامية وستظل - إن شاء الله - الرؤية التي نستظل بها، والمنطلق الذي نسير منه، والهدف الذي نسعى إليه، نحتكم لمبادئها، ونستضيء بنبراسها، ونعص عليها بالنواجد، لا تأخذنا فيها لومة لائم، ولا تصدنا عنها عراقيل الزمن، نجد فيها جوهر العدل، والعدل أساس الملك، وتدفعنا مبادئها إلى النهوض بها، وتحثنا على التكاثر والتأزر في الداخل والخارج).

٢- تأكيده على حقوق الشعب السعودي في حياة كريمة والرقى بمستوى (معيشة الشعب ورفاهيته، وتحقيق أرقى مستويات الضمان الاجتماعي لأفراده، ومكافحة الأمية، وتيسير التعليم بكافة مراحلها لجميع أبناء الشعب؛ حتى تتطور الموارد البشرية إلى المستوى الذي يمكننا من القيام بمسؤولياتنا الجسيمة في الغد المشرق الذي يتدفق فيه الرخاء، لا من مصدر واحد وهو البترول فحسب، بل من الصناعات بكل أنواعها البترولية والتعدينية والثقيلة والخفيفة، ومن الزراعة التي نكتفي بها ذاتياً عن كثير مما نستورد، ومن كافة ثرواتنا الطبيعية التي تكمن في أرض وطننا الكبير).

(١) ألقى هذا الخطاب نيابة عن الملك خالد صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد آنذاك والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ألقاه عبر شبكات الإذاعة والتلفزيون في ٢٠/٣/١٣٩٥ هـ، ونشرته الصحف والدوريات.

(٢) محمد: الآية ٧.

وهذا هو العدل الذي أمر الله به، ولا دوام مُلك إلا بإعطاء كل ذي حق حقه، وخزائن الأموال يبارك فيها إذا سدّت بها حاجات النَّاس؛ ومن وصايا^(١) ذي اليمينين طاهر بن الحسين الخزاعي لابنه عبد الله لما ولّاه المأمون مدينة الرّقة قوله: (اعلم أنّ الأموال إذا اكتنزت وادّخرت في الخزائن لا تنمو، وإذا كانت في صلاح الرّعيّة وإعطاء حقوقهم وكفّ الأذيّة عنهم نمت وزكت، وصلحت بها العامّة، وترتّبت بها الولاية، وطاب بها الزّمان... فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله)^(٢).

وهذا ما كان عليه حال الملك خالد-رحمه الله- الذي عرف عهده الميمون طفرة في الخيرات، وزيادة في البركات.

٣. أعلن الملك خالد أنّ المملكة دولة سلام تسعى إلى تثبيته في أرجاء العالم؛ وهي قضية معلومة في دين الإسلام الذي رغب في مسالمة الأمم وعدم الاعتداء على أحد: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣)، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾^(٤)؛ من أجل هذا كان الملك خالد واضحاً في خطابه حين أكد على هذا المبدأ الإسلامي الرّائع: (أثبتنا في المجال الدّولي إيماننا بالسّلام العالمي، ورغبنا في دعمه وتقويته ونشره في ربوع العالم، وكنا ولا نزال نفعل ذلك بوحى من تعاليم ديننا وتقاليدنا العربيّة الأصيلة، ونحن نؤيّد الآن في سبيل ذلك نزع السّلاح، وتجنّب البشريّة مخاطر الأسلحة الفتّاكة، وندعو إلى حريّة تقرير المصير لكلّ الشّعوب، وحلّ المنازعات الدّوليّة بالوسائل السّلميّة المرتكزة على الحقّ والعدل).

(١) وصايا نفيسة جدّاً قدّمها طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولّاه المأمون مدينة الرّقة ومصر وما بينهما، ذكره له فيها آداب الولاية والسّياسة، وقد أتى على ذكرها العلامة ابن خلدون في مقدّمته الشهيرة ص ٣٠٦، وهي جديرة أن تفرد بدراسة.

(٢) مقدّمة ابن خلدون ص ٣٠٣.

(٣) الأنفال: الآية ٦١.

(٤) البقرة: الآية ٢٠٨.

٤. المسلمون كالجسد الواحد توادداً وتلاحماً وتكاتفاً وتضامناً وفي القرآن الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١). وفي الحديث الصحيح: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٢). ومن أجل هذا دعا الملك خالد في خطابه إلى تضامن إسلامي يرفع من قدر المسلمين: (إن من أهم الركائز التي قامت عليها سياستنا الخارجية: الدعوة للتضامن الإسلامي لرفع شأن المسلمين في أقطارهم، وتقوية أواصر التعاون بينهم).

والحاصل أن حياة الملك خالد السياسية كانت حافلة لا مجال في هذا البحث لاستقصائها لكن نشير هنا إلى أهم المحطات في حياته -رحمه الله-

١. قام منذ شبابه بمرافقة والده في عدد من المهمات الحربية التي انتهت بتوحيد المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ.

٢. عهد إليه والده بعدد من المهام السياسية بوصفه ممثلاً شخصياً له، كما تولى إمارة مكة المكرمة لفترة قصيرة.

٣. اشترك في بعض الحملات العسكرية خاصة إبان معاهدة الطائف في عهد أبيه.

٤. عين مستشاراً لأخيه فيصل بن عبد العزيز عندما كان نائباً على الحجاز، فقد تولى مسؤولية إدارة إمارة مكة المكرمة نيابة عنه مدة من الزمن.

٥. عين رئيساً للوفد السعودي المفاوض في شأن الخلاف بين السعودية واليمن عام ١٣٥٣هـ الموافق ١٩٣٤م، وذلك في مؤتمر الطائف الذي تمخض عنه توقيع معاهدة الطائف في العام نفسه.

٦. عين مساعداً لأخيه فيصل في مؤتمر لندن عام ١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩م لبحث القضية الفلسطينية، وباشر كثيراً من القضايا السياسية المهمة.

(١) التوبة: الآية ٧١

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ٢٥٨٦، كتاب البرِّ والصلة والآداب، باب النهي عن السباب، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الملك فيصل-رحمه الله- بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية تلبية لدعوة رئيسها فرانكلين روزفلت حيث أطلعاً على مظاهر النهضة الأمريكية، وفي طريق العودة قاما بزيارة لندن واجتمعا بالملك جورج السادس.

٨ - عين ولياً للعهد بعد مبايعة فيصل بن عبد العزيز بالملك، وكان ذلك في ٢٧ ذي القعدة عام ١٣٨٤هـ الموافق ٣٠ / ٣ / ١٩٦٥م، وأصبح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء.

٩ - بويع ملكاً على المملكة العربية السعودية بعد أن استشهد الملك فيصل بن عبد العزيز يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ الموافق ٢٥ مارس ١٩٧٥م، فانتقلت مقاليد السلطة إليه، ومن ثم رشح صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولياً للعهد، فبايعه الجميع.

١٠ - كما تولّى أيضاً رئاسة مجلس الوزراء وهو مجلس يتمتع بالصلاحيات التنظيمية والتنفيذية الكاملة، والمسؤوليات الإدارية المباشرة، والرقابة المالية على مؤسسات الدولة كافة.

١١ - أصدر الملك خالد أمراً بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٣٩٥هـ يقضي بأن ينوب عنه وليّ العهد الأمير فهد بن عبد العزيز في تصريف أمور الدولة في حضوره وغيابه.

١٢ - من أبرز القضايا التي اهتم بها الملك خالد بن عبدالعزيز على الساحة العربية والإسلامية قضية فلسطين، وكانت تلك القضية شغله الشاغل خصوصاً يوم أن اعتدت إسرائيل على لبنان لضرب الوجود الفلسطيني والنيل من الفلسطينيين عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٣ - ناصر الملك خالد جميع القضايا الإسلامية، وعمل الكثير في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، واعترافاً بجهده في خدمة الإسلام نال جائزة الملك فيصل العالمية؛ تقديراً لجهوده في المجالات الإسلامية خصوصاً في حقل التضامن الإسلامي، ودعوته إلى عقد مؤتمر القمة الثالث عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بجوار

البيت العتيق في مكة المكرمة، حيث اجتمع بزعماء العالم الإسلامي لمناقشة قضايا المسلمين وتوحيد صفوفهم، ورأب الصدع بين الإخوة الأشقاء، وقد صدر عن هذا اللقاء الإسلامي المميز بيان تاريخي اشتهر باسم بيان مكة التاريخي.

١٤ - اهتم بالسياسة الداخلية، وكلل عهده بالرّخاء الاقتصادي العميم الذي أسهم كثيرا في رقي النهضة الحضارية في شتى المرافق، فشهدت النهضة التعليمية في عهده تطورا كبيرا، حيث تم افتتاح جامعتي الملك فيصل بالدمّام وأمّ القرى بمكة المكرمة، واهتمّ بالزراعة، وأولت الدولة في عهده الميمون تشجيع القطاع الصناعي وإعداد الخطط الصناعية لرفع مستوى الصناعة والتصنيع في البلاد والمجال الصحي أيضا، واهتمّ أيضا بتطوير الجيش السعودي وأسلحته، وتطوير الحرس الوطني.

١٥ - اتسمت سياسته الخارجية بالتواصل مع الثوابت السعودية التي قرّرها الملك عبد العزيز عند تأسيس المملكة والمتمثلة في حماية الدولة، والتمسك بتعاليم الإسلام، والاحترام الكامل لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية، وهيئة الأمم المتحدة^(١).

خامسا: وفاته

إنّ الموت مصير كلّ حيّ، والفناء مكتوب على جميع الخلق ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٢)، وقد فجع المسلمون والعرب بل العالم أجمع بوفاة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - صباح الأحد ٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢ م.

وصدر بيان عن الديوان الملكي إثر وفاته جاء فيه:

(ببالغ الأسى والحزن ينعي الديوان الملكي باسم صاحب السمو الملكي ولي العهد

(١) انظر تذكرة أولي النهى والعرفان ٤١/٤. ٤٨ لإبراهيم بن عبيد، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية إعداد دارة الملك عبد العزيز ص ٢٤٦.

(٢) الرّحمن: الآية ٢٦

وكافة أفراد الأسرة ونيابة عن الأمة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم حيث وافاه الأجل المحتوم على إثر نوبة قلبية فإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

وقد توفّي -رحمه الله- عن عمر يناهز سبعين عاماً بقصره بمدينة الطائف، ونقل جثمانه إثر ذلك إلى مدينة الرياض حيث صلي عليه بالجامع الكبير عقب صلاة العصر، وقد أدّى الصلاة على الفقيد -رحمه الله- خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله-، وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبدالعزيز ولي العهد، وسمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت، وسمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين، وسمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، وفخامة الرئيس الجبوتي حسن جوليدي، بالإضافة إلى أصحاب السمو الملكي الأمراء، والمعالي الوزراء، وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين، وجمع غفير من المواطنين، وصل عددهم إلى أكثر من مائة ألف مصل^(٢)، كلهم دعوا له بالرحمة والغفران، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه)^(٣).

وقد أمّ المصلين سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله- الذي وجّه كلمة نعى فيها الملك خالد بن عبد العزيز إلى الأمة العربية والإسلامية، وأبّن فيها الفقيد داعياً الله أن يتعمّده برحمته وغفرانه، وأن يوفّق خليفته الملك فهد بن عبد العزيز وسمو وليّ عهده إلى ما يحبّه ويرضاه، ودعا المسلمين إلى الإيمان بقضاء الله في خلقه، وأنّ الموت حقّ على كل حيّ، وأنّ على المؤمن أن يواجهه بالصبر والتحمّل^(٤).

وقد قال الملك فهد بن عبد العزيز -رحمه الله- في كلمة التّأبين التي ألقاها عبر

(١) وكالة الأنباء السّعوديّة ١٤/٦/١٩٨٢م.

(٢) جريدة عكاظ العدد ٥٨٥٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ٩٤٨، كتاب الجنائز، باب من صلي عليه أربعون شفّعوا فيه، من

حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) مجلّة الإمامة العدد ٧٠٦.

التلفزيون السعودي:

الحمد لله الباقي الذي لا يفنى، والصلاة والسلام على رسوله الذي ما ترك هذه الدنيا إلا بعد أن أكمل رسالته.

وبعد: ففي هذه اللحظات القاسية التي نودّع فيها ملكنا الراحل خالد بن عبد العزيز بعد أن اختاره الله إلى جواره، فترك قلوب هذه الأمة مليئة بالأسى والحزن، أتوجّه إلى كل فرد من أفراد الشعب العربي السعودي الوفيّ بالعزاء في فقيدته الغالي، فقد كان الملك -رحمه الله- أبا وأخا لنا جميعاً، منحنا الحب والإخلاص، والتفرغ لخدمتنا، والاهتمام بشؤوننا، وقدم الكثير للعرب والمسلمين، مبتغياً من ذلك وجه الله، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، ومحبتنا للفقيد توجب علينا أن نواصل مسيرته، ونسعى لتحقيق آماله، وإكمال خطته، متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، لا نبتغي إلا رفعة شأن العرب والمسلمين، وتحقيق الازدهار لهذا الوطن الكريم، وإزاء هذه المصيبة التي أصابت قلوب المسلمين عامّة وهذه الأمة خاصّة، ليس لنا إلا الصبر على قضاء الله، والاحتساب والتوجه إلى الله أن يتغمّد الفقيد برحمته، ويسكنه فسيح جنّاته، ونقول ما أمرنا الله به عند وقوع المصيبة: حسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

وقد انهالت على الديوان الملكي آلاف البرقيات والبيانات التي تنعى الفقيد العظيم^(٢)، وتشهد له بالمآثر الحسنة، والأعمال الجليلة. كما كان لنباً وفاته أثر كبير على المستوى العالمي وأرسل الملوك والأمراء والرؤساء والزعماء والوزراء وغيرهم برقيات كلها تشيد بالملك خالد وتبرز مزاياه وجليل أعماله تجاه القضايا الإنسانية عامّة والإسلامية خاصّة، أكتفي هنا بكلمة الرئيس المصري حسني مبارك -حفظه الله- الذي قال:

(١) جريدة الجزيرة شهر شعبان سنة ١٤٠٢ هـ.

(٢) جريدة عكاظ العدد ١٢٢٧٨.

(تلقيت ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة المغفور له - بإذن الله - الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود بعد حياة حافلة في خدمة وطنه وشعبه، وكان واحدا من رموز التضامن العربي والإسلامي، ورائدا من رواده الكبار الذين بذلوا من ذوات أنفسهم الكثير ليصبح حقيقة واقعة، ولقد فقدت الأمة العربية والإسلامية قائدا فذاً كان يتمتع بالرؤية الواضحة والبصيرة النافذة، في وقت هي في أشد الحاجة إلى حكمته وتقديره الصائب، وإني أعرب لكم عن أحر التعازي نيابة عن شعب مصر في هذا الفريد العظيم، وأدعو الله تعالى أن يتغمده برحمته الواسعة، وينزله منازل الصديقين والشهداء، وأن يلهمكم وأسرتكم العريقة وشعبكم الشقيق الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون)^(١).

وقيلت قصائد كثيرة وأشعار وفيرة في رثاء الملك خالد منها قصيدة ميمية طنانة للقاضي الشاعر رياض عز الدين قويدر^(٢) أختار منها جملة أبيات هي:

تجمّد الحرف لا بوح ولا نغم	وأدمع القلب والعينان والقلم
وكيف لا تخرس الأحزان قافيتي	وفي وفاتك يبكي العرب والعجم
وفي وفاتك ذاب المسلمون أسي	وفي وفاتك تبكي دَعَمَهَا الأمم
لقد حييت لكلّ المسلمين أبا	قلبا يحنّ وثغرا عاش بيتسم
عوّدتهم أن ينالوا كلّ أمنية	فقلبك البحر فيه العطف يلتطم
أخلصت للشّرع إخلاص المحبّ له	والشّاهدان عليك السيّف والحرم

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ١٤/٦/١٩٨٢م.

(٢) ذكرها ضمن كتابه الشّمس وكواكب الصّحراء.

أبشر بجنة خلد أنت داخلها
وأنت من علماء الدين مقترب
رحلت راض بما قدمت من عمل
يا راحلا للقاء الله مبتسما
بمثل حكمك تبنى البيد سؤدها
ومثل حكمك يبكي القلب من حكموا
ما دمت بالدين والقرآن تعتصم
وأنت للشعب والمظلوم معتصم
يحبّه الله والتاريخ والرحم
ولم يخيم على أعمالك الندم
ومثل حكمك يبكي القلب من حكموا

رحمك الله أيها الملك الوفيّ الرّحوم الحاني المخلص، وأسكنك فسيح جنّاته،
وبارك في عقبك وذريّتك..

المبحث الأول

جهوده في مجال خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية

أولاً: جهوده في مجال خدمة القرآن الكريم

عرّف العلماء القرآن الكريم أنه: الكلام المعجز، المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته^(١).

إنّ القرآن الكريم هو كتاب الله الجليل الذي تكفّل سبحانه وتعالى بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) وفيه بيان لطريق الهداية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٣)، وفيه الشفاء والرحمة: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلَّهِ﴾^(٤)، والتمسك به أساس الرّفعة والنّجاح، وما حظيت أمة الإسلام بشرف الذّكر وعلو الشّان بين الأمم إلاّ بالسّير على هديه: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾^(٥).

قال ابن عباس: (فيه شرفكم)^(٦).

وقد لفت الملك خالد -رحمه الله- إلى هذا المعنى الجليل في إحدى المناسبات حيث قال:

(ما كان لأمّة متفرّقة الكلمة مشتتة الشّمل يرين على عقول أبنائها الجهل أن تصبح أمّة ذات شأن كبير، ومجد عظيم، وحضارة كبرى، لو لم يهييء الله لها

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١٥/١ للزّرقاني.

(٢) جريدة الأهرام بتاريخ ١٤/٦/١٩٨٢م.

(٣) الإسراء: الآية ٩.

(٤) الإسراء: الآية ٢٨.

(٥) الأنبياء: الآية ٥١.

(٦) تفسير ابن كثير ٣/١٧٥.

رسالة سماوية هي الإسلام العظيم، الذي كان وازال النظام الإلهي الأمثل والأعظم والأكمل الذي يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان، وبين كل أمة من الأمم على وجه الأرض^(١).

وقد كلفنا المولى سبحانه بأمور تجاه هذا الكتاب الكريم منها:

١ - التلاوة وحسن الترتيل: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾^(٢)، ﴿وَرَتِّلْ آلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(٣)، والأمر للنبي ﷺ أمر لأُمَّته.

وقد حظي الملك خالد بتعلم التجويد والتلاوة في صباه، وسهل له والده - طيب الله ثراه - أساتذة مختصين لتعليمه وإتقانه تجويد القرآن.

٢ - التدبر والتذكر واستخراج العبر: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

٣ - العمل به: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾^(٥).

قال ابن جزّي الكلبي^(٦): (الذِّكْرُ هنا بمعنى الشرف وقوم النبي ﷺ هم قريش وسائر العرب، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، وكيفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت منهم الخلافة والملك... وسوف تسئلون: أي تسئلون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه)^(٧).

(١) جريدة أم القرى، عدد ٢٧٠١، ص ١.

(٢) الكهف: الآية ٢٧

(٣) المزمل: الآية ٤.

(٤) ص: الآية ٢٧.

(٥) الزخرف: الآية ٤٤.

(٦) أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزّي الكلبي من أهل غرناطة، فقيه مالكي عالم بالتفسير والأصول واللغة، توفي سنة ٧٤١هـ. انظر نفع الطيب ٥١٤/٥ للمقري، وأعلام الزركلي ٣٢٥/٥.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٩/٤.

وقد ضرب الملك خالد أروع الأمثلة في العمل بالقرآن والسيرة على هديه، والتحلي بأخلاقه، فكان صالحاً في نفسه، ساعياً جهده إلى إصلاح غيره، رحيماً حنوناً، شأن الملوك الصالحين، وهو يرى أن العمل بالقرآن هو الأساس الصحيح الذي ينبني عليه المجتمع المثالي: (إخواني... نخلص من هذا إلى القول بأن العمل بما جاء في كتاب الله من أحكام وتشريعات كان وسيبقى مثالا فريدا لإقامة المجتمعات المثلى، كما هو الحال في المجتمعات الإسلامية التي انصهر أفرادها في بوتقة الإسلام فأصبحوا كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً، وذابت الفوارق بينهم، وانمحت العصبية الجاهلية، وأصبحت التقوى مجال التنافس: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

إخواني.. إن الإنسان المسلم مدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى التمسك بهذه القيم السامية التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٢).

٤ - التحاكم إليه واتخاذ مصدر التشريع: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(٣).

وقد أشار الملك خالد -رحمه الله- في خطبته السابقة إلى أن متدبر القرآن بإمكانه يدرك عظمة تشريعه، وأنه دستور رباني لا يرقى إلى مستواه أي دستور من وضع البشر.

(كل من يقرأ القرآن الكريم بفهم وتدبر وتمعن فإنه يجد في آياته تشريعا إلهيا عظيما، ودستورا سماويا لا يصل إلى مستواه أي تشريع أو دستور وضعي، وصدق الله القائل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤).

٥ - حفظ ما تيسر من آي القرآن:

ما عرفت أمة كتابها في صدور أبنائها مثل أمة الإسلام، بخلاف أهل الكتاب

(١) الحجرات: الآية ١٣.

(٢) من خطبة الملك خالد -رحمه الله- لكبار الشخصيات الإسلامية في موسم حج عام ١٣٩٧هـ ضمن كتاب: خالد وفهد والدعوة والدعاة لمحمد الطيار.

(٣) الزخرف: الآية ٤٤.

(٤) الأنعام: الآية ٣٨.

الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب^(١)، وفي الأثر عن قتادة قال: (لما أخذ موسى الألواح قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في قلوبهم فاجعلهم أمّتي. قال: تلك أمة أحمد)^(٢).

فهذه فضيلة جليلة خصّت بها الأمة المحمّدية، والتاريخ شاهد على الكثرة الهائلة من حفاظ القرآن من لدن رسول الله ﷺ إلى يوم الناس هذا، يقرأه الجميع عن ظهر غيب صغارا وكبارا، رجالا ونساء، علماء وعامة، وكلّ هذا مصداق لما وعد الله به من تكفّله بحفظ القرآن وعدم تطرّق التّحريف إليه أبدا، فالكتاب الذي بين أيدينا اليوم هو الكتاب نفسه الذي أنزل غضا طريا على قلب محمّد ﷺ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣).

ومن فضل الله تعالى على الملك خالد وإخوانه أن حرص والدهم الملك الصّالح المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- على تسهيل حفظ القرآن لهم، وتوجيههم إلى العناية به وتجويده في فترة مبكرة من حياتهم.

٦. نشر القرآن وتسهيل وصوله إلى أيدي الناس:

وهو من فروض الكفايات التي إذا تصدّى لها بعض الأمة سقط الفرض عن الباقيين.

قال الإمام النووي: (نشر القرآن وإشاعته من فروض الكفاية)^(٤).

إن الملك خالد -رحمه الله- أشبع حبّ القرآن وأكرمه الله بحفظه على ما جرت به عادة أبناء الملك المؤسس، وأقبل - بكلّ حبّ وإخلاص - إلى العناية بهذا الكتاب الجليل؛ تقربا إلى الله تعالى بعمل صالح، وسعيا إلى نشره في ربوع الأرض، تحقيقا

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٠/١٣.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٦٥/٩.

(٣) الحجر: الآية ٩.

(٤) روضة الطالبين ١٨٥/٤.

لواجب كفايي أدرك عظمة المسؤولية المنوطة به كملك لبلاد هي مهد النبوة، ومنشأ الرسالة، وفيها مكة البلد الحرام الذي ابتداء في جبل حراء منه نزول القرآن، وفيها المدينة التي فيها جمع القرآن، ومنها انتشر في البلدان والأمصار، ويشاء الله - وهو الحكيم العليم - أن يشهد كتابه الكريم انتشارا آخر منقطع النظير في عهد ملوك الدولة السعودية الذين خدموا القرآن فأعزهم، ونشروا في الأرض نسخته فنشر الله في الآفاق ذكركم، وصدق النبي ﷺ الذي قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين)^(١).

وذكر شراح الحديث أن هذا الرفع يتحقق بالإيمان بالقرآن، وتعظيم شأنه، والعمل به^(٢).

ولقد وجد القرآن الكريم اهتماما كبيرا من ملوك المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد الملك الصالح عبد العزيز، فأولته عناية عظيمة، ورعاية كريمة، وبذلت جهودا مشكورة تجاه كتاب هو دستورها الدائم ونبراسها في شؤون الحياة، إليه وإلى سنة النبي ﷺ يكون التحاكم، ومنهما تستمد الأحكام والشرائع، وبهما العمل والتمسك، وعلى ضوئهما تكون الدعوة والإصلاح والتوجيه، ونتيجة التمسك بهما هداية واستقامة ورفعة وسيادة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: (تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)^(٣).

واقترض أبناء المؤسس أثر والدهم وساروا على النهج نفسه، باذلين جهودهم في خدمة القرآن الكريم.

ولقد وجد القرآن الكريم في عهد الملك خالد -رحمه الله- كل عناية من مملكة

(١) أخرجه مسلم رقم: ٨١٧، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، من حديث عمر

بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) فيض القدير ٣٠٢/٢ للمناوي، ومرقاة المفاتيح ١١/٥ للقاري.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١٧٢/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد

صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم: ٢٩٣٧.

هو قائدها، وشجعت أبنائها على تلاوته وحفظه والعمل بأحكامه؛ عن طريق مدارس تحفيظ القرآن الكريم، أو عن طريق الحصص الدراسية المتخصصة بالقرآن الكريم التي يتلقاها طلاب المملكة وطالباتها في مدارس التعليم العام وجامعات التعليم العالي، أو عن طريق الكليات والأقسام المتخصصة بدراسته في جامعات المملكة، أو عن طريق الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، فكان للقرآن الحظ الوافر من اهتمام الدولة في عهد الملك خالد، وكان من أهم جهودها في خدمته ما يلي:

١. طباعة القرآن الكريم ونشر معانيه:

إن طباعة القرآن الكريم وسيلة حسنة لنشر كلام الله الحق في الناس، وإرفاق معانيه معه إسهام جيد لتحقيق واجب التدبر الذي أمر به المولى عباده أثناء قراءة الكتاب الكريم، وقد ظهر أول مصحف في المملكة العربية السعودية في عام ١٣٦٩هـ وعرف بمصحف مكة المكرمة، وهو الأمر الذي شرفت به شركة مصحف مكة المكرمة^(١).

ثم أثمرت جهود بعض أبناء المملكة بظهور مصحف جديد في عهد الملك خالد بعد ثلاثين عاما من ظهور مصحف مكة، وهو المصحف الذي ظهر في مدينة جدة عام ١٣٩٩هـ بمطابع الروضة، بعد مراجعته، والموافقة عليه من الجهات المختصة بذلك في المملكة العربية السعودية.

وقد اتضحت مظاهر عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم في عهد الملك خالد -رحمه الله- من خلال توفير المطابع لطباعته، وترجمة معانيه إلى لغات مختلفة، وتوزيعها على المسلمين في جميع أنحاء العالم.

إن مطابعا تسهم في نشر كتاب الله تعالى على نطاق واسع لجديرة بالإعانة، وهي فرصة رائعة لمن وسع الله عليه أن يتقرب إلى المولى بالإسهام في نشر كتاب

(١) تطوّر كتابة المصحف الشريف وطباعته وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه ص ٧ للدكتور. محمد سالم شديّد العويفي

الله، وهو استثمار أخروي رابح جدًا لمن رزقه الله البصيرة وانطوت نفسه على صلاح وإقبال على الآخرة، وكذلك كان شأن الملك خالد-رحمه الله- الذي تبرّع بمبلغ مليون وثلاث مئة ألف دولار لإنشاء مطبعة لطباعة القرآن الكريم، وترجمة معانيه إلى اللغتين الإنجليزية والفلبينية^(١).

وأسهم أيضا في طباعة معاني القرآن الكريم إلى لغات مختلفة، وتوزيع نسخها على جميع المراكز، والمؤسسات والمكاتب التابعة لرابطة العالم الإسلامي، ومراكز الدعاة التابعين للرابطة.

يقول الشيخ الحركان^(٢) في تصريح له لإحدى الصحف العربية: (تم توزيع نسخ معاني القرآن الكريم التي طبعت على نفقة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المفدى خادم الحرمين الشريفين بمختلف اللغات وذلك على جميع المراكز، والمؤسسات، والمكاتب التابعة لرابطة العالم الإسلامي، وكذلك تم توزيعها على مراكز الدعاة التابعين للرابطة)^(٣).

إن تعدد لغات الترجمة للقرآن الكريم هو توسيع لنطاق الدعوة الإسلامية، وإسهام مبارك في إيصال كتاب الهداية إلى شعوب العالم، وهما هدفان نبيلان أدرك الملك خالد قيمتهما، وضاعفت الدولة في عهده جهودها لتحقيقهما، وتوج ذلك لاحقا بإنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الذي افتتحه خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - في ٦ صفر ١٤٠٥هـ؛ ليكون أكبر صرح لطباعة المصحف الشريف في العالم^(٤).

(١) مجلة التضامن الإسلامي، مجلد ٧، ص ٦٨.

(٢) معالي الشيخ محمد بن علي الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الأسبق، توفّي سنة

١٤٠٣هـ. كتب عنه ولده سليمان ترجمة سمّاها: المرحوم الشيخ محمد بن علي الحركان في كلمات

نشرت في بعض المواقع.

(٣) مجلة المنهل، مجلد ٤٠، ص ٧٠٦.

(٤) ملك الجائزة ص ٤٠. مؤسسة جائزة المدينة المنورة.

٢ - التوسع في إنشاء مدارس تحفيظ القرآن الكريم:

إنّ تعليم القرآن على نطاق واسع احتاج إلى إنشاء مدارس كثيرة تحتضن شداة القرآن من أبناء المستقبل، ولهذا وجدت مدارس تحفيظ القرآن الكريم عناية خاصّة من القائمين على خطط التّمنية السّعوديّة، فكان لهذه المدارس مكانتها التي تليق بأهميّتها في تلك الخطط، ولتحقيق ذلك تمّ ما يلي:

أ - إنشاء (١٦) مدرسة ابتدائية جديدة لتحفيظ القرآن خلال فترة الخطّة بحيث يصبح مجموع مدارس تحفيظ القرآن (٢٣) مدرسة بحلول عام ١٤٠٠/٩٩هـ، وسوف يزداد عدد التلاميذ من (٢٣٠٦) تلميذ عام ٩٤ / ٩٥هـ إلى (١٦٨٧) عام ٩٩ / ١٤٠٠هـ.

ب - الاستمرار في تخصيص (٤) مدارس متوسّطة لهذا البرنامج، وسوف يزداد عدد طلابها من (١٢٨) طالبا عام ٩٤ / ٩٥هـ إلى (٩٥٠) طالبا عام ٩٩ / ١٤٠٠هـ.

ج - بدء برنامج على المستوى الثّانوي عام ٩٥ / ٩٦هـ بإنشاء مدرسة واحدة تضمّ (١٥) طالبا، وافتتاح مدارس إضافية اعتبارا من ٩٧ / ٩٨هـ بحيث يصل مجموع المدارس إلى (٤) مدارس في نهاية فترة الخطّة، ويصل مجموع الطّلاب إلى (٣١٥) طالبا عام ٩٩ / ١٤٠٠هـ.

د - الاهتمام بمدارس تحفيظ القرآن الكريم للتأكيد على النّاحية الدّينيّة وتثبيت العقيدة الإسلاميّة في قلوب النّشء الجديد.

من هذه الملامح التي أشارت إليها خطّة التّمنية الثانية يتضح حجم التطوّر الذي حظيت به مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المملكة في عهد الملك خالد -رحمه الله- تعالى.

وهي تمثّل بداية التّوسع في إنشاء المدارس النظامية لتحفيظ القرآن الكريم في مراحل التّعليم العامّ، لتسهم في خدمة القرآن مع حلق تحفيظ القرآن المنتشرة في أنحاء المملكة العربيّة السّعوديّة.

ونتيجة لذلك تم افتتاح أول مدرسة ثانوية لتحفيظ القرآن الكريم عام ١٣٩٦ هـ - ١٣٩٧ هـ بمكة المكرمة باسم: مدرسة أبي زيد الأنصاري^(١) لتحفيظ القرآن الكريم^(٢).

ثمّ نمت هذه المدارس وانتشرت في جميع مناطق المملكة حتى بلغ عددها عام ١٤٠١ هـ (١٢٣) مدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية.

وقد أصدرت وزارة المعارف آنذاك - التربية والتعليم حالياً - في المملكة عام ١٣٩٩ هـ لائحة تنظيمية لمدارس تحفيظ القرآن الكريم متضمنة النظم الخاصة بهذه المدارس، وتقوم الأمانة العامة للتوعية الإسلامية بالوزارة بالإشراف على هذه المدارس، وتحرص على دعمها وتطويرها وتعميمها في أنحاء المملكة^(٣).

وكلّ هذا يشير إلى الدعم الذي وجدته هذه المدارس من المملكة، والاهتمام العظيم الذي حظيت به؛ لما لها من أهمية في تكوين الفرد المسلم الذي سيجني أرباح صحبته لكتاب الله عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة، وهو ما كانت تهدف إليه المملكة بقيادة رجلها الأول حينئذ الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - تعالى

٣- الجهود من خلال إقامة المسابقات القرآنية :

تعدّ المسابقات العلمية في فنون العلم من أنجع الأساليب التي تزيد المشترك فيها حباً لتخصّصه، وتحمّله على مضاعفة الجهد لاستيعاب أصول الفنّ والتعمّق في دقائقه.

(١) عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري الخزرجي المدني من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة،

توفي في خلافة عبد الملك بن مروان عام ٨٠ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٣/٤٧٣، وتاريخ الإسلام

٢/٨٦٤ كلاهما للذهبي.

(٢) حفظ القرآن وتعليمه ص ١٨ لحمد بن ناصر العمار.

(٣) مجلة المعرفة، عدد ٨٥، ص ١٦.

إنَّ القرآن الكريم هو أولى ما تسابق فيه المتسابقون، وأعظم ما تنافس فيه المتنافسون، لأنَّه كلام ربِّ العالمين، الذي أوحاه إلى خير المرسلين، وإمام المتّقين، وكتبه عنه خير النَّاس بعد النَّبِيِّين وهم صحابته الكرام، الذين شهد بفضلهم القرآن العظيم، وتناقله الحفظة الصّالحون جيلاً إثر جيل، ولم يَطْلُهُ - بحمد الله - تحريف، ولم ينقص منه حرف، حفظاً من الله جلّ جلاله لكتابه الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

لقد أدركت المملكة العربيّة السّعوديّة أهميّة المسابقات القرآنيّة في جذب الشّباب المسلم، وترغيبه في حفظ كتاب الله الكريم، والإقبال عليه حفظاً وتدبّراً وعناية ودراسة، فأنشأت عدة مسابقات قرآنيّة في عهد الملك خالد - طيّب الله ثراه - هي الأولى من نوعها في المملكة، وقدمت المساعدات الماليّة والعينيّة لإقامة مثل هذه المسابقات فيما تيسّر من ربوع العالم^(٢).

لقد كانت هذه المسابقات - بفضل الله ومنّته - بذرة طيّبة زرعتها المملكة فأنت أكلها، واستفاد منها المواطنون والكثير من أبناء المسلمين في الداخل والخارج؛ وكانت سنّة حسنة تسابقت إليها دول العالم الإسلامي مستفيدة من تجربة المملكة في هذا المجال، فلمن سنّها أوّلاً - وهو الملك خالد - أجرها وأجر من عمل بها كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء)^(٣).

وفيما يلي بيان لهذه المسابقات:

(١) الحجر: الآية ٩.

(٢) المسابقات القرآنيّة المحليّة والدوليّة - من بحوث عناية المملكة بالقرآن وعلومه ص ٣٢ لعبد العزيز بن عبد الرّحمن السّبيهي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ١٠١٧، كتاب الزّكاة، باب الحثّ على الصّدقة ولو بشقّ تمر، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

أ. المسابقات المحليّة:

من أمارات الملك الصّالح سعيه في صلاح رعيّته وبذله الجهد في جلب النّافع ودفع الضّار؛ وبمثل هذا يحظى بمحبّة الله ومحبة خلقه له.

قال الرّازي^(١): (متى كان قصده -أي وليّ أمر المسلمين- صلاح الرعيّة، والنّهي عن المنكرات يجلب المنفعة لهم، ودفع المضرة عنهم، وابتغي بذلك وجه الله تعالى وطاعة أمره، ألان الله له القلوب، وتيسّرت له أسباب الخير)^(٢).

ومن أعظم ما يتحقّق به صلاح الرعيّة توجيههم إلى كتاب ربّهم، وربطهم بمواعظه وأحكامه، وقد اهتمّ الملك خالد -رحمه الله- بأبناء المملكة وسهّل لهم مسابقات محليّة لحفظ القرآن الكريم تشجيعاً لهم، ورغبة صادقة في تقوية أواصرهم بالكتاب الكريم.

فكان من جملة المسابقات المحليّة:

١ - مسابقة نادي المدينة المنورة الأدبي لحفظ القرآن الكريم التي بدأت عام ١٣٩٨هـ، والتي تتكون من خمسة فروع، وتقدّم للفائزين الأربعة الأوائل فيها جوائز مائيّة في كلّ فرع من فروع المسابقة الخمسة^(٣).

٢ - المسابقة المحليّة لحفظ القرآن وتلاوته وتفسيره التي تنظّمها وزارة الحج والأوقاف منذ عام ١٣٩٩هـ، وتتكوّن من خمسة فروع، وتلتزم الوزارة المنظمة لها بمنح تذاكر للمتسابق ذهاباً وإياباً، وصرف مكافأة مائيّة لكلّ مشارك في المسابقة^(٤).

(١) أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن فخر الدّين الرّازي مفسّر بارع في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، توفّي سنة ٦٠٦هـ، انظر وفيات الأعيان ٤/٢٤٨ لابن خلّكان، وأعلام الزّركلي ٦/٣١٣.

(٢) التّفسير الكبير ١٠/٢٥.

(٣) المسابقات القرآنيّة المحليّة والدوليّة - من بحوث عناية المملكة بالقرآن وعلومه ص ٢٢، ٢٣ لعبد العزيز بن عبد الرّحمن السّبيهي.

(٤) المسابقات القرآنيّة المحليّة والدوليّة - من بحوث عناية المملكة بالقرآن وعلومه ص ٢٣، ٢٥ لعبد العزيز

تعد المسابقات القرآنية عاملا من عوامل الجذب والتشجيع التي تسهم في إقبال الناشئة على كتاب الله، وجمعهم على مائدته، وتحفيزهم لحفظه.

ب. المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره في مكة المكرمة:

صدرت الموافقة الكريمة على عقد هذه المسابقة في عام ١٣٩٧هـ، وقامت وزارة الحج والأوقاف إثر ذلك بوضع تصوّر متكامل لإقامتها، وتمّ اختيار مكة المكرمة مقراً لها. وكان اختياراً موفّقاً لأنّها البلد الحرام الذي ابتدأ فيه نزول القرآن، فناسب جداً أن تعقد فيه مسابقة قرآنية على هذا المستوى الدولي.

وتمّ تشكيل لجان خاصّة لدراسة شؤون المسابقة ومناشطها، وتحديد أهدافها، وأنشئت أمانة عامّة لها تولّت وضع أمثل أسلوب لكيفية التحكيم، وتمّ اختيار مجموعة من ذوي الاختصاص في القرآن وعلومه من شتى أقطار العالم الإسلامي، يختارون سنويّاً وفقاً للتوزيع الجغرافي لبلدانهم، وروعي فيهم طول الباع والخبرة في القرآن وحفظه وتجويده وتفسيره، كما تمّ وضع منهج للتحكيم يتميّز بالدقّة والعدالة والموضوعية^(١).

وبدأت أولى دورات هذه المسابقة العالمية في عام ١٣٩٩هـ، وكان عدد المشاركين فيها (٥٥) متسابقاً من دول إسلامية عديدة، ثم تزايدت أعداد المشاركين عاماً بعد عام حتّى وصلت إلى عدّة مئات^(٢).

وللمسابقة خمسة فروع، ولها شروط تضبطها، ويدعى للترشيح خمسة متسابقين من الدول الإسلامية، ومتسابقان من الجمعيات والمنظمات الإسلامية في الدول غير الإسلامية، مع مراعاة الترشيح لأكثر من شخص في الفرع الواحد.

بن عبد الرحمن السبيهي.

(١) المسابقات القرآنية المحلية والدولية. من بحوث عناية الملكة بالقرآن وعلومه ص ٦، ٧ لعبد العزيز بن

عبد الرحمن السبيهي.

(٢) المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين ص ١١٧ لطلال عطار.

وتصرف المملكة جوائز سخية للفائزين الخمسة في كل فرع من فروع المسابقة، كما تصرف مكافآت للمشاركين من غير الفائزين^(١).

وتتسم المسابقة بالجديّة والتنظيم في برنامجها وأعمالها وصرامتها وموضوعيتها في التحكيم.

وهي أول مسابقة في العالم الإسلامي في مجال الحفظ والتفسير، وكان لها تأثير واسع وصدى طيب في أوساط الدول الإسلامية، وسارت على منوالها سائر المسابقات في دول شتى، وعلى ضوءها حددت الأهداف والشروط والفروع وسائر الأمور المتعلقة بها، واستفادت الدول غاية الاستفادة من تجربتها الرائدة في هذا المجال.

لقد أكرم الله مكة أم القرى وما حولها بهذا القرآن ﴿وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢)، ويكرم مرة أخرى هذه المملكة بقيادة الملك خالد -رحمه الله- فتتبنى مسابقة دولية حول هذا القرآن، ويتعدى صيتها أم القرى ليصل إلى ربوع شتى في العالم، وكل هذا من فضل الله وكرمه على هذه المملكة التي اتخذت القرآن شعارا، والسنة دثارا، والتوحيد منارا.

٤. إذاعة القرآن الكريم:

من منن الله التي لا تحصى، وآلائه التي لا تستقصى، ما هدى إليه الخلق من هذه الوسائل التقنية الحديثة التي سهّلت الحياة، واختصرت الزمن، وقربت الطرق، ويسّرت أخبار العالم، ومن جملة ذلك وسائل الاتصال الحديثة من أقمار صناعية، وفتوات متلفزة، وإذاعات أثيرية، ونحو ذلك مما يظهر يوما بعد يوم، وقد أشار القرآن إلى ما سيوجد في هذا العالم من وسائل نقل لا يعلمها الإنسان في حينه قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) المسابقات القرآنية المحلية والدولية - من بحوث عناية المملكة بالقرآن وعلومه ص ٧ لعبد العزيز بن

عبد الرحمن السبهي.

(٢) الأنعام: الآية ٩٢.

(٣) النحل: الآية ٨.

قال العلامة السّعودي^(١) عند هذه الآية:

(ويخلق ما لا تعلمون: ممّا يكون بعد نزول القرآن من الأشياء التي يركبها الخلق في البرّ والبحر والجوّ، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنّه لم يذكرها بأعيانها لأنّ الله تعالى لم يذكر في كتابه إلّا ما يعرفه العباد أو يعرفون نظيره)^(٢).
لقد يسّر الله تعالى انتشار القرآن في العصر الحاضر على نطاق واسع جدًّا عن طريق وسائل الاتّصال الحديثة، والمملكة العربيّة السّعوديّة أنشأت أوّل محطة إذاعة في عام ١٣٦٨هـ، ثمّ بدأت الإذاعة السّعوديّة تخطو خطواتها التّطويريّة^(٣).
ومرّت الإذاعة السّعوديّة خلال تطوّرها بعدّة مراحل، كانت فترة عهد الملك خالد-رحمه الله- ضمن مرحلتها الرّابعة التي بدأت عام ١٣٩٢هـ إلى غاية ١٤٠٢هـ.
وقد تميّزت هذه المرحلة بإنشاء إذاعتين للقرآن الكريم إحداهما في مكّة المكرّمة والأخرى في الرياض، وتميّزت أيضًا بزيادة ساعات البثّ في إذعتي القرآن الكريم، والتّوسع في عدد اللّغات التي تبثّ بها إذاعة المملكة ووصولها إلى ثلاث عشرة لغة، كما أنّ الإذاعة عملت على زيادة رقعة إرسالها بإنشاء محطات جديدة في بعض مدن المملكة^(٤).

وبهمّنا في هذا المقام تسليط الضّوء على ما يلي:

أولاً: إذاعة نداء الإسلام

ويوحى اسمها صدور نداء عامّ منها يدعو النّاس جميعاً إلى الإسلام، وقد أمر

(١) عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد الله السّعودي مفسّر مشهور من علماء الحنابلة، توفّي سنة ١٣٧٦هـ،

انظر أعلام الزّركلي ٣/٣٤٠.

(٢) تفسير السّعودي ص ٤٣٦.

(٣) وثائق الإعلام السّعوديّة والعالميّة ص ٢٨٨-٣٩١ لمحّمّد فريد، ووثائق وكالة الأنبياء السّعوديّة-وزارة

الإعلام ص ٢١٧.

(٤) إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربيّة السّعوديّة ص ٥١-٦٠ لإسماعيل أحمد التّراوي.

الله نبيه محمدا ﷺ أن ينادي في الناس جميعا يأتون من كل فج عميق لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، تلك الفريضة التي يتحقق فيها توحيد الله والاستسلام لدينه في أبهى صورته، من هنا كانت إذاعة نداء الإسلام من قلب مكة المكرمة دعوة متجددة إلى دين الإسلام وبيان متكرر لمبادئ الدين الحنيف.

إنّ (نداء الإسلام) إذاعة سعودية أنشئت عام ١٣٨١هـ، وتبث برامجها من مكة المكرمة، وتمثل الأمة الإسلامية في كل مكان من العالم، وهي تقدم برامج دينية متنوعة في التفسير والحديث، وندوات قيمة، ومحاضرات نافعة، وبرامج فكرية مفيدة.

ومن أهدافها الجليلة :

- ١ - خدمة الدعوة الإسلامية.
- ٢ - التعريف بدين الإسلام وشرح مبادئه المثلى، وتبليغ رسالته إلى العالم أجمع.
- ٣ - التوعية بالإسلام بين أهله، وغرس العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين.
- ٤ - الدفاع عن الشريعة الإسلامية.
- ٥ - مقاومة التيارات والمبادئ الفكرية الهدامة المتعارضة مع الإسلام.
- ٦ - الدعوة إلى التضامن الإسلامي.

ومن أهم التطورات التي شملت هذه الإذاعة في عهد الملك خالد -رحمه الله- ما يلي:

أ - في عام ١٣٩٨هـ بدأت في بث فترة إضافية في ضحى يوم الجمعة تبدأ من الساعة الحادية عشرة صباحا وتنتهي بنقل شعائر صلاة الجمعة من المسجد الحرام أسبوعا ومن المسجد النبوي أسبوعا آخر.

ب - كانت هذه الإذاعة تبث برامجها على موجات إذاعة جدة منذ إنشائها، وفي غرة شهر شوال عام ١٣٩٩هـ بدأ إرسالها عبر إذاعة جدة والرياض، ولذلك اتسعت لتغطي معظم دول العالم^(١).

(١) إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية ص ٧٢ لإسماعيل أحمد الترابي.

ثانياً: إذاعة القرآن الكريم

كانت في المملكة إذاعتان للقرآن الكريم تبث الأولى من مكة المكرمة، والثانية من الرياض، وقد أنشئت عام ١٣٩٢هـ، ثم دمجتا عام ١٤٠٣هـ، ليصبح اسم هذه الإذاعة: إذاعة القرآن الكريم.

ومن أهداف هذه الإذاعة:

١- إذاعة القرآن مجوداً ومرتبلاً.

٢- إذاعة برامج دينية عن أحكام القرآن الكريم وعلومه وتفسيره.

ومن أهم التطورات التي شملتها في عهد الملك خالد-رحمه الله- ما يلي:

أ- زادت ساعات بثها شيئاً فشيئاً حتى وصلت عام ١٤٠٠هـ إلى ثماني عشرة ساعة تبدأ من الساعة السادسة صباحاً وتستمر إلى منتصف الليل.

ب- تعددت برامجها وتنوعت، وحققَت شهرة طيبة مثل: برنامج نور على الدرب الذي كان يبث بشكل أسبوعي في عام ١٣٩٧هـ، ثم تم بثه بشكل يومي في عام ١٤٠١هـ، وهو برنامج ناجح أسهم في جذب عدد كبير من المستمعين لهذه الإذاعة من أبناء العالم الإسلامي.

ج- بدأت تنقل أذان الظهر والعصر، وأذان وصلاتي المغرب والعشاء من مكة المكرمة، إضافة إلى نقلها لخطبتي الجمعة وصلاتها من المسجد الحرام والمسجد النبوي بالاشتراك مع إذاعة نداء الإسلام.

د- اهتمت بالمناسبات الدينية الهامة كموسم الحج وشهر رمضان المبارك، حيث كانت تقوم بنقل الاحتفال بغسل الكعبة المشرفة في السابع من شهر ذي الحجة حياً على الهواء، كما تنقل صلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً من مسجد نمره بعرفات، وكذا تنقل صورة حية لتحركات الحجاج من عرفة إلى مزدلفة ومنى في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، وفي شهر رمضان تنقل صلاة العشاء والتراويح مباشرة من المسجد الحرام، كما تنقل المسابقات المحلية والدولية للقرآن الكريم^(١).

(١) إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية ص ٨٥-٨٩ لإسماعيل أحمد الترابي.

لقد شهد عهد الملك خالد الميمون إقبالا على القرآن الكريم يفرح له المؤمنون، وأثمر ذلك جيلا من حفظة كتاب الله، يتلونه حق تلاوته، ومن رغب أن يدرك عظمة ما هم عليه فليقصد حلقات التحفيظ في الحرمين الشريفين لترى حلقا مباركة فيها براعم صالحة يحملون القرآن في صدورهم، ولهم به دوي كدوي النحل، وفي الأثر الذي فيه وصف الأمة المحمديّة: (أمة مصاحفهم في صدورهم، يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل)^(١).

فهنيئا للملك خالد، بما قدّمه لهذا الكتاب الخالد.

٥. افتتاح كليات وأقسام ودور تخصصية تعنى بالقرآن الكريم وعلومه:

في عهد الملك خالد-رحمه الله- تم افتتاح بعض الكليات والأقسام العلمية التي تعنى بالقرآن الكريم وعلومه..من ذلك كلية أصول الدين التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية^(٢)، وقد تم افتتاحها عام ١٣٩٦هـ، ومن مهامها الجليّة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، وإعداد أفراد متخصصين في علم القراءات وعلم التفسير، ونشير هنا أنّ هذه الكلية بدأت وقت افتتاحها بقسم عام هو أصول الدين، وفي العام الدراسي ١٤٠١-١٤٠٢هـ توجّهت إلى مبدأ التخصص الدقيق في فروع العلم المختلفة، وتفرّع عن قسم أصول الدين ثلاثة أقسام منها قسم القرآن وعلومه، وبدأت الدراسات العليا في الكلية مع افتتاحها في تلك التخصصات.

لقد ضمّ قسم القرآن وعلومه شعبتين هما: شعبة القرآن وشعبة القراءات،

(١) انظر حلية الأولياء ٣٨٦/٥ لأبي نعيم، وتفسير البغوي ١٩٩/٢، وهداية الحيارى ص ١٢٨ لابن القيم.

(٢) نتوه هنا أنّ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية شهدت في عهد الملك خالد-رحمه الله- نقلة

كبيرة على مستوى المرحلتين الجامعية والعليا، انظر تفصيل ذلك في كتاب جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية في خمسة عقود، ضمن إصدارات الجامعة بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على-

تأسيس المملكة العربية السعودية ص ٦٥-٦٦.

ويدرس الطلاب في قسم القرآن وعلومه تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً، وعلوم القرآن وإعجازه، ومناهج المفسرين والقراءات... الخ^(١).

وقد خَرَجَ هذا القسمُ عدداً من الطلاب المتخصصين في ذلك لم يقتصرُوا على نيل درجة البكالوريوس بل ارتقوا إلى أعلى الرتب العلمية (الماجستير والدكتوراه).. وكان لهم الأثر البارز في مجتمعهم ووطنهم والعالم أجمع، حيث إنَّ منهم عدداً من طلاب المنح من مختلف بلاد العالم الإسلامي، وبلاد الأقليات الإسلامية.. كما أنه يتبع لهذه الكلية دار للقرآن الكريم تهدف إلى خدمة كتاب الله تعالى، وتسهيل سبل تعلمه، ومعالجة أيِّ ضعف يلاحظ في تلاوة والتجويد، وإنشاء مكتبة جامعة لعلوم القرآن^(٢).

ثانياً: جهوده في مجال خدمة السنة النبوية

تعدُّ السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في الحثِّ على اتباع الرسول ﷺ وطاعته والتحاكم إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣). وعَدَّ القرآن اتباع الرسول ﷺ قرينة على محبة الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾^(٤). لذا كان سبيل النجاة هو الاستمسك بما في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وفي الحديث: (تركُّتُ فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)^(٥).

(١) ينظر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في (٤٠عاماً) ص ٨٨.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) النساء: الآية ٥٩.

(٤) آل عمران: الآية ٣١.

(٥) تقدِّم تخريجه في المبحث الأول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) -رحمه الله-: (أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع الرسول وطاعته، وموالاته ومحبته، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما، وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته)^(٢).

ولما كانت السنة النبوية بهذه المكانة الرفيعة في الإسلام وجب على كل مسلم أن يعرض عليها بالتواجد، ويتخذ الرسول محمدا ﷺ قدوته في أمره، ولا سبيل إلى ذلك إلا بدراسة السنة النبوية والتفقه فيها، وسماع أخبار السيرة المحمدية، ولهذا كان الملك خالد -رحمه الله- يستمع يوميا ما تيسر من القرآن الكريم والتفسير والأحاديث النبوية من الشيخ سعد بن سليمان المسعري^(٣).

قال محمد عبده يماني^(٤) عن رهافة حسّ الملك خالد -رحمه الله- لدى سماعه السيرة النبوية:

(رجل متدين ارتبط قلبه بالحرم المكي الشريف، فقد عاش فترة من حياته في مكة المكرمة، فكان يحب الذهاب إلى الحرم وسماع القرآن وأساتذة العلوم الشرعية في أرواقته، وكان مرهف الحسّ تدمع عيناه وهو يسمع تفسير آية، أو لقطات من السيرة النبوية)^(٥).

(١) الإمام المشهور أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، توفّي سنة ٧٢٨هـ،

كتبت حوله دراسات مستفيضة من أمتها ما كتبه تلميذه ابن عبد الهادي في كتابه العقود الدرّية في

ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو مطبوع متداول نشره العلامة محمد حامد الفقي،

وصوّرت نشرته في بيروت مرارا.

(٢) قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة ص ٢٩٥.

(٣) جريدة الجزيرة عدد ٢٥٧٢.

(٤) وزير الإعلام السعودي السابق في الفترة من ١٣٩٥/٩/٢٠هـ إلى ١٤٠٣/٧/١١هـ.

(٥) تقدّم تخريجه في المبحث الأوّل.

إنَّ عينا تذرّف من سماع تفسير آية من كتاب الله، أو خبر من سيرة رسول الله ﷺ، لَعَيْنٌ تَمَّ عن صلاح في الجنان، وعمق في الإيمان، وخشية من الرحمن، ومصداق ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (١).

إنَّ الملك الصّالح الذي يذرّف من سماع كلام الحقّ، ويسعى إلى مصالح الخلق، ليرجى له ما جاء في قوله ﷺ: (حرّم على عيني أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله كزظظ من الكفر) (٢).

إنَّ التاريخ يشهد بنجاح الملوك الذين ساروا على هدي الرسول ﷺ، وأحيوا سنّته بين النّاس، ونشروا دعوته القائمة على التّوحيد، فأكرمهم الله بتثبيت دعائم الملك، ومدّ في أعمار دولهم، وكتب لهم الذّكر الحسن على مرّ التاريخ، وهاهو أقرب مثال يتجلّى في هذه الدّولة السّعوديّة المباركة التي رفعت راية القرآن، وسارت على هدي خير الأنام، ابتداء من عهد الملك المؤسس - طيّب الله ثراه - ومرورا بأولاده الملوك الميامين سعود وفيصل وخالد وفهد - رحمهم الله - إلى عهد خادم الحرمين الملك عبد الله - حفظه الله -، فكلّهم على هذا الدّرب سار، والقرآن والسّنّة لهم شعار ووثار.

وقد صرّح الملك خالد - رحمه الله - مرارا أنّ السّنّة النّبويّة مع القرآن الكريم هما مصدر الحكم والتّشريع في هذه المملكة المباركة، ومن ذلك قوله في إحدى المناسبات (٣):

(من نعم الله على هذا البلد وأبنائه أن مكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبدّلهم من بعد خوفهم أمنا، وعبدوه وحده لا يشركون به شيئا، ولذلك كان القرآن الكريم وكانت السّنّة النّبويّة المطهّرة وما زالا مصدر الحكم والتّشريع في هذه

(١) المائدة: الآية ٨٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصّحیحین ٩٢/٢، كتاب الجهاد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كلمة ألقاها بمناسبة ذكرى الاحتفال باليوم الوطني للمملكة.

البلاد حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ لإيماننا الكامل بأن في التمسك بهما قولاً وعملاً نجاحنا وفلاحنا ورقيننا وتقدمنا وتطورنا وازدهارنا).

وأبان أن المملكة تسير على خطى الرسول ذ ومنهجه الكريم: (منذ أن منّ الله على جلالته الملك عبد العزيز -رحمه الله - بنعمة توحيد هذه المملكة وجمع شتاتها تحت راية: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وضع نصب عينيه إقامة العدل، ونشر الأمن والرخاء، والدعوة إلى الله، والسّير على نهج الرسول العظيم والسلف الصالح).

تعريف السنة:

والسنة في عرف أهل اللغة هي الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة ومعناه من أهل الطريقة المحمودة المستقيمة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق^(١).

وفي عرف أهل الاصطلاح هي: (ما دلّ عليه دليل من قوله ﷺ أو فعله أو تقريره^(٢)).

فواضح من هذا التعريف أن السنة النبوية تشمل أقوال الرسول ﷺ الصادرة من شفثيه الكريمتين، أو أفعاله التي قام بها، أو تقريراته التي أقرّ بها ما صدر عن أصحابه الكرام، فكل ذلك تشريع متضمّن لأحكام شرعية أو فضائل أو آداب غايتها سعادة العباد وصلاحهم؛ ولهذا ارتأى بعضهم أن يعرف السنة بهذا المفهوم الشامل فقال: (ما شرعه رسول الله ﷺ بإذن الله تعالى لأمته من طرق البرّ وسبل الخير، وما انتدبها إليه من الآداب والفضائل لتكمل وتسعد)^(٣).

(١) تاج العروس ٢٣١/٣٥ للزبيدي.

(٢) قواعد التحديث ص ١٤٦ للقاسمي.

(٣) رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي لمجموعة من العلماء رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

لقد اهتمت المملكة العربية السعودية بالسنة النبوية الشريفة، وأخذ اهتمامها بها في عهد الملك خالد-رحمه الله- عدّة مظاهر أبرزها ما يلي:

١. الاهتمام بتدريسها:

حثّ الإسلام على دراسة السنّة والتّفقه فيها، وفي القرآن الكريم يخاطب الله أزواج النبي ﷺ أمرا لهنّ أن يدرسن آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، ويعملن بما فيهما، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(١)، والخطاب لهنّ خطاب لسائر الأمة المحمّديّة.

قال العلامة السّعدي: (المراد بآيات الله القرآن، والحكمة أسرارهِ وسنّة رسوله، وأمرهنّ بذكره يشمل ذكر لفظه بتلاوته، وذكر معناه بتدبره والتّفكّر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله)^(٢).

وقد أدرك ولاة الأمر في هذه الدّولة المباركة المكانة الرّفيعة للسنّة، وضرورة المحافظة عليها، والسّير على دربها باعتبارها المنهج الرّبّاني القويم.

ولدور التّعليم في ترسيخ هذا التّوجّه كانت علوم السنّة النّبويّة من الأولويّات التي وضعها المخطّطون للتّعليم في المملكة، وكانت سنّته ﷺ تتصدّر تلك المناهج في مراحل التّعليم كافّة خلال أطواره وإلى الوقت الحاضر. ولله الحمد والمنّة..

إنّ السنّة بحر شاسع سخّرت فنون اصطلاحية دقيقة لخدمتها خدمة أدهشت الأمم الأخرى، فلم تعهد من قبل أمة حافظت على تراث نبيّها كما فعلت الأمة المحمّديّة التي تميّزت بسلسلة الإسناد الموشّحة بأسماء رجال الحديث وحفّاظه، راويا عن راو إلى أن يتصل سندهم برسول الله ﷺ، ووفق علماء الجرح والتّعديل إلى التّمييز بين ثقات الرّواة وضعفائهم باستعمال أساليب علميّة هي من الدّقة بمكان،

(١) الأحزاب: الآية ٢٤.

(٢) تفسير السّعدي ص ٦٦٤.

ولهذا كان للإسناد مزية عظيمة ومكانة رفيعة حتى قال الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)^(١).

إنَّ اتِّساعَ علومِ السُّنَّةِ يحتاجُ إلى اتِّساعٍ في تدرسيها وفي عهد الملك خالد -رحمه الله- لوحظ ذلك التَّوسُّعُ الكبيرُ في تدرسي تلك العلوم عن طريق الكليَّات والأقسام الجامعيَّة المتخصِّصة بدراستها التي أنشئت في ذلك العهد؛ وكان لها الأثر الكبير في المحافظة على الدِّستور الثَّاني للأُمَّة الإسلاميَّة، والتَّمسُّكُ بأصالته، والنَّهَلُ من معينه الصَّافي.

ومن جملة تلك الكليَّات والأقسام:

١. كليَّة اللُّغة العربيَّة بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة - حاضنة السُّنَّة:
وقد أنشئت عام ١٣٩٥هـ، وتعنى بدراسة علوم اللُّغة العربيَّة إلى جانب التَّوحيد، والتَّفسير، وفقه السُّنَّة، والتَّاريخ الإسلامي...
٢. كليَّة الحديث الشَّريف بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة أيضا:
أنشئت عام ١٣٩٦هـ، وتعنى بعلوم السُّنَّة وغيرها من الدِّراسات الإسلاميَّة.
٣. كليَّة أصول الدِّين بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة بمدينة الرياض:
أنشئت عام ١٣٩٦هـ، ومن ضمن أقسامها قسم متخصِّص بالسُّنَّة وعلومها.
٤. كليَّة الشَّريعة وأصول الدِّين بفرع جامعة الإمام بالقصيم:
أنشئت عام ١٣٩٦هـ وتعنى هي الأخرى بالسُّنَّة عن طريق قسم الشَّريعة وقسم أصول الدِّين.
٥. كليَّة الشَّريعة وأصول الدِّين بفرع جامعة الإمام بالجَنوب^(٢):
أنشئت عام ١٣٩٦هـ، وتعنى بالسُّنَّة عن طريق قسم الشَّريعة وقسم أصول الدِّين.

(١) صحيح مسلم ١/١٥.

(٢) انضمت إلى جامعة الملك خالد بالجَنوب عام ١٤١٩هـ.

٦ - كَلِيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِفَرْعِ جَامِعَةِ الْإِمَامِ بِالْأَحْسَاءِ:
أُنشِئَتْ عَامَ ١٤٠١ هـ، وَتَعْنَى بِالسَّنَةِ عَنْ طَرِيقِ قِسْمِ الشَّرِيعَةِ وَأَصُولِ الدِّينِ.
إِنَّ مَظَاهِرَ الْاهْتِمَامِ بِالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ عَنْ طَرِيقِ الْمُنَشَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْمَمْلَكَةِ
لَا حَصْرَ لَهُ؛ لَوْجُودِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي كُلِّ مَادَّةٍ مِنَ الْمَوَادِّ الدِّرَاسِيَّةِ فِي تَخْصِصَاتِ
الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَخْتَلَفِ مَرَاهِلِ التَّعْلِيمِ بِالْمَمْلَكَةِ، وَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ نَمَاذِجٌ قَلِيلَةٌ
مِنْ اهْتِمَامِ الْمَمْلَكَةِ بِالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ.

وَتَعَدُّ رِعَايَةَ الْمَمْلَكَةِ لِلْعُلَمَاءِ وَدُرُوسِهِمْ الَّتِي يَلْقَوْنَهَا فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَكْبَرَ
دَعْمٍ لِانْتِشَارِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، حَيْثُ نَظَّمَتِ الرَّئِيسَةَ الْعَامَّةَ لِشُؤْنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الَّتِي نَشَأَتْ فِي عَهْدِ الْمَلِكِ خَالِدِ هَذِهِ الدَّرُوسِ، وَدَعَّمَتِ الْعُلَمَاءَ،
وَعَمَلَتْ عَلَى تَسْجِيلِ دُرُوسِهِمْ، وَمَحَاضِرَاتِهِمْ، وَنَشْرَ مَوْلاَفَاتِهِمْ، وَمَوْلاَفَاتِ غَيْرِهِمْ مِنْ
الْعُلَمَاءِ؛ عَنْ طَرِيقِ إِدَارَةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ وَالِدَّعْوَةَ وَالْإِرْشَادَ وَغَيْرَهَا مِنْ
الإِدَارَاتِ الْمَتَخَصِّصَةِ بِالدَّعْوَةِ^(١).

وَقَدْ أَسَهَمَتْ طِبَاعَةُ وَنَشْرُ الْمَمْلَكَةِ لِكُتُبِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَإِقَامَتِهَا لِلْمَرَاكِزِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْجَامِعَاتِ وَالْمَعَاهِدِ فِي الْخَارِجِ فِي خِدْمَةِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ،
وَأَنْتَشَارِهَا خَارِجَ الْمَمْلَكَةِ^(٢).

٢ - الدِّفَاعُ عَنِ السَّنَةِ :

إِنَّ الدِّفَاعَ عَنِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ مَنْوُوطٌ بِكُلِّ مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى الدِّفَاعِ،
وَقَدْ أَوْذِيَ الرَّسُولُ ﷺ - الَّذِي هُوَ صَاحِبُ السَّنَةِ - فِي عَهْدِ كَفَّارِ قَرِيشِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ

(١) وثائق وكالة الأنباء السعودية ص ٧٠

(٢) من أعظم الجهود التي قامت بها المملكة لخدمة السنة النبوية في عهدها الحالي إنشاء مركز خدمة

السنة والسيرة النبوية في المدينة المنورة الذي تكفل بنشر كتب السنة والسيرة تأليفاً وتحقيقاً، على
أيدي علماء أفاضل من ذوي الاختصاص. وتأتي جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود لخدمة
السنة النبوية منارا يعقد عليها آمال واسعة لخدمة عظمى لسنة المصطفى ﷺ.

واستهزؤوا به وأذوه وأصحابه المستضعفين الكرام، فدافع الله عن نبيه وعن أصحابه دفاعاً خلده في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١)، وما فتى علماء الإسلام يذّبون عن السنة كلما تعرضت للتشكيك من طرف أصحاب الشبهات قديماً وحديثاً، ويدافعون عنها ببيان نقائها ودحض ما عليه أهل البدع، ولهذا عدّ كثير من العلماء أنّ التصدي لأصحاب الأهواء والبدع الطاعنين في السنن النبوية من جنس الجهاد في سبيل الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(الردّ على أهل البدع مجاهد حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذّب عن السنة أفضل من الجهاد)^(٢).

وقد واكب التطور العلمي الذي شهدته المملكة في عهد الملك خالد-رحمه الله- نشاط ملحوظ في هذا المجال، وفي مقدّمة المدافعين عن السنة الداحضين كلّ ما يخالفها من شركيات سخيفة وبدع منكرة هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

وقد أخذت تلك الجهود المباركة في مجال الدفاع عن السنة النبوية في عهد الملك خالد-رحمه الله- مسارات هي:

أ- من خلال هيئة كبار العلماء:

وهي هيئة علمية رفيعة المستوى تضم نخبة بارزة من كبار علماء المملكة ممن رسخت في العلم أقدامهم، وشابت في الدعوة رؤوسهم، ولهم جهود مباركة في الإفتاء والدعوة والتوجيه والنصح والدفاع عن السنة النبوية وغير ذلك.

ومن أمثلة ذلك قرار هيئة كبار العلماء تحت رقم ٨٦ وتاريخ ١١ / ١١ / ١٤٠١هـ

والذي جاء فيه ما يلي:

(١) الحج: الآية ٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/١٣.

(في الدورة السادسة عشرة المنعقدة بالطائف في شوال عام ١٤٠٠هـ نظر مجلس هيئة كبار العلماء فيما عرضه سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ممّا بلغه أنّ (أحد الأشخاص) له نشاط كبير متزايد في نشر البدع والخرافات والدعوة إلى الضلال والوثنيّة، وأنّه يؤلّف الكتب ويتّصل بالنّاس ويقوم بالأسفار من أجل تلك الأمور، وقد اطّلع المجلس على كتابه الذخائر المحمّدية، وكتابه الصّلوات المأثورة، وكتابه أدعية وصلوات: وهي كتب فيها تجاوزات ومعتقدات باطلة في رسول الله ﷺ (... وقد رأى المجلس أن يحاط ولاية الأمور بحاله، والخطوات التي اتّخذت لدفع ضرره وكفّ أذاه عن المسلمين...)^(١).

ويدلّ مثل هذا القرار من هيئة كبار العلماء على متابعة واهتمام لما يحدث من مخالفات وتجاوزات تخالف سنّة المصطفى ﷺ، والوقوف في وجهها، وهو انتصار للسنّة النبوية ودفاع عنها، ورفض لكل ما يخالفها.

ب - من خلال الجهود الشخصية للعلماء :

كان للعلماء في عهد الملك خالد -رحمه الله- نشاط ظاهر في الدّفاع عن السنّة النبويّة، وتوضيح العبادة الصّحيحة للنّاس، ومن أمثلة ذلك تصديهم لبدعة الاحتفال بالمولد من خلال متابعتهم لما ينشر عنها في وسائل الإعلام في الدّاخل والخارج، ومن ثمّ الرّدّ على القائمين بها في رسائل تنشر في الصّحف، أو تطبع في الكتب، أو تذاع من خلال وسائل الإعلام.

وقد تصدى كثير من العلماء في عهد الملك خالد لهذه البدعة من أمثال سماحة الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- والشّيخ أبو بكر الجزائري^(٢)،

(١) حوار مع المالكي للشّيخ عبد الله بن منيع ص ٩ - ١٤.

(٢) عالم مفسّر تولّى التّدريس والوعظ في المسجد النبوي في المدينة المنوّرة طيلة سنوات طويلة ولا يزال.

والشيخ عبد الله بن منيع^(١) وغيرهم ممن كان لهم نشاط بارز في الدعوة إلى الله في ذلك العهد الميمون، وألفت رسائل نفيسة تؤكد على الاستمسك بالسنة والابتعاد عن البدعة، وكان لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد دور في طباعة هذه الرسائل، وجمعها في كتب وتوزيعها مجاناً.

وكما كان الجانب العلمي النظري مسخراً لخدمة السنة النبوية الشريفة في تدريسها، والدفاع عنها، كان هناك الجانب التطبيقي مسخراً لها أيضاً من خلال التقيد التلقائي بالطابع الإسلامي المتفق مع السنة النبوية الشريفة الذي تميزت به المملكة العربية السعودية في كل عهودها دون استثناء، فضلاً على أن التطور العلمي والتنظيمي في عهد الملك خالد - رحمه الله - زاد من تمسك أبناء المملكة بالطابع الإسلامي في حياتهم حتى أصبح المخالف للسنة غريباً في مجتمعهم أو على الأقل واضحاً ظاهراً بينهم^(٢).

ج - من خلال رسائل علمية :

فيها دفاع عن سنة المصطفى ﷺ سجلت في أطروحات جامعية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه.

وثمة نصوص تراثية وبحوث في مجالات متخصصة في علوم السنة سجلت هي الأخرى في أطروحات جامعية^(٣) في عهد الملك خالد - رحمه الله - ما بين سنة ١٣٩٩ - ١٤٠١ هـ، نذكر منها:

١ - الأربعون الصغرى المخرجة في أحوال العباد وأخلاقهم للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

(١) عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة له نشاط كبير في الدعوة والتعليم والإفتاء.

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز للشثري ص ٦٦.

(٣) انظر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربعين عاماً ص ٢٠٧.

- ٢ - الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للحافظ أبي بكر أحمد علي الخطيب البغدادي.
- ٣ - اختلاف الحديث للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي.
- ٤ - الضعفاء والمجروحين لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني.
- ٥ - الكشف الحثيث عمّن رمي بوضع الحديث للمحدث أبي الوفاء إبراهيم بن محمد الحلبي المشهور بسبط ابن العجمي.
- ٦ - تحريم الرد والشطرنج والملاهي للحافظ أبي بكر محمد بن الحسين الأجرّي.
- ٧ - اللّمع في أسباب الحديث لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- ٨ - تقييد المهمل وتمييز المشكل من الأسماء والكنى والأنساب لمن ذكر اسمه في كتابي البخاري ومسلم للحافظ أبي علي الحسين بن محمد الجيّاني.
- ٩ - جمع ألفاظ الجرح والتّعديل ودراستها في كتاب التّهذيب.
- ١٠ - الرّجال الذين تكلم فيهم الترمذي في جامعه تجريدا وتحقيقا.
- ١١ - عناية المحدثين بالكنى وتحقيق كتاب المقتنى في سرد الكنى للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي.
- ١٢ - منهج الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرّجال.
- ١٣ - زوائد مصنّف الحافظ عبد الرزّاق الصّنعاني على الكتب الستّة.
- ١٤ - مسند أبي يعلى.
- ١٥ - مسند أبي داود الطيالسي.
- ١٦ - المدخل إلى معرفة الصّحيحين للحاكم.

١٧ - الكامل في الضعفاء لابن عدي.

١٨ - البدر التمام شرح بلوغ المرام لابن المغربي.

والحاصل أنّ عهد الملك خالد-رحمه الله- شهد اهتماما بارزا بالسنة النبوية، وما نراه اليوم من هذا الإقبال الشديد عليها ونشر نواذر كتب السنة إلا امتداداً لتلك الفترة الزاهرة، فلا جرم أن يبارك الله تعالى في هذه المملكة العزيزة السائرة على هدي سيد البرية.

المبحث الثاني : جهود الملك خالد في خدمة العلم الشرعي وأهله.

عرف التاريخ الإسلامي خلال فتراته المتتابعة ملوكا صالحين بذلوا جهودا مشكورة في خدمة العلوم الشرعية على شتى أنواعها، كما أدركوا مقام حملة هذه العلوم وعرفوا لهم أقدارهم، وسهّلوا لهم أمر معاشهم ليتفرّغوا ما استطاعوا إلى تصنيف الكتب وتوجيه الناس وتعليمهم، وأثمر ذلك تأليف هائلة في شتى المعارف، رأى قسم منها عالم الطباعة، وبقي القسم الأكبر في خزائن الخافقين.

إنّ علماء الشريعة يحملون في صدورهم علوما تخدم في مجملها المصدرين العظيمين في الإسلام الكتاب والسنة، وهم ورثة الأنبياء الذين ورثوا هؤلاء العلماء العلم، من هنا عظمت مكانتهم، وعلا عند الله شأنهم، حتى سخر الحيتان في البحار لتستغفر لهم كما قال النبي ﷺ: (إنّ العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، و الحيتان في جوف الماء، وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر)^(١).

قال العلامة البغوي^(٢): (قيل: إنّ الله سبحانه وتعالى ألهم الحيتان وغيرها من أنواع الحيوان الاستغفار للعلماء؛ لأنّهم هم الذين بينوا الحكم فيما يحلّ منها ويحرم للناس، فأوصوا بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها مجازاة لهم على حسن صنيعهم)^(٣).

(١) أخرجه أبو داود رقم: ٣٦٤١، والترمذي رقم: ٢٦٨٢، وابن ماجه رقم: ٢٢٣، وغيرهم، من حديث أبي

الدرداء رضي الله عنه. وصحّ الحديث الألباني كما في صحيح الجامع الصغير رقم: ٦٢٩٧.

(٢) الإمام العلامة أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد البغوي الشافعي المفسّر صاحب التصانيف

المشهورة، توفّي سنة ٥١٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩.

(٣) شرح السنة ٢٧٨/١.

إنَّ رجالاً هذا شأنهم لجديرون بالتوقير والتبجيل، والاستنارة بأرائهم، واستشارتهم في شؤون الملك، ولا تقرأ في التاريخ عن ملك صالح إلا ألفيته مقدماً للعلماء، مجالساً للفقهاء، مستمعاً إلى نصائحهم، مستتيراً بأقوالهم، ونتج عن هذا سياسة حكيمة قوامها حزم الولاة والأمراء، وحسن رأي الفقهاء والعلماء، وفي القرآن الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

قال ابن كثير: (إنها عامة في كل الأمراء من الأمراء والعلماء)^(٢).

ولا شك أن اجتماع الولاة والعلماء على أمور الشرع لتحقيق مصالح الخلق من أعظم مقاصد الدين؛ ولهذا كان صلاحها صلاحاً للمجتمعات؛ وقد أثر عن عبد الله بن المبارك وغيره من السلف قولهم: (صنفان من الناس إذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس؛ قيل: من هم؟ قال: الملوك والعلماء)^(٣).

من هنا يغبط العالم بأسره هذا التلاحم العجيب بين ملوك هذه الدولة المباركة وأمرائها من جهة، وعلمائها وأعلامها من جهة أخرى، فلا يرى المتأمل استكفاً من ملك أو أمير أن يجالس عالماً أو يقصده زائراً، كما لا يرى عالماً يستنكف أن يزور ملكه أو أميره، يجمعهما حبّ ووثام، ويحدوهما صلاح البلاد والعباد.

إنَّ الملك الذي يجعل العدل بين رعيّته غايته جدير أن يحيط نفسه بأهل العلم العارفين بأحكام الشرع.

قال ابن الموصلي^(٤): (من أراد من ولاة الأمور العدل الذي أمر الله به والتوصل

(١) النساء: الآية ٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٢٩/٧.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٠/١ لابن القيم. ويروى هذا الكلام حديثاً مرفوعاً ولا يصحّ انظر

ضعيف الجامع الصغير رقم: ٧٩٣٥ للألباني.

(٤) محمّد بن محمّد بن عبد الكريم البعلبي شمس الدين بن الموصلي أديب عالم بالفقه، توفّي سنة

٧٧٤هـ، انظر أعلام الزركلي ٣٩/٧.

إليه فليسلك ما نأمره به من الطرق، يحفظ عليه ملكه في الدنيا، ويكون سببا إلى الملك الحق في الدار الأخرى... وجملة القول فيه أن يجمع السلطان إلى نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه، فهم الأدلاء على الله والقائمون بأمر الله، والحافظون لحدود الله، والناصحون لعباد الله... فيتخذ العلماء شعارا، والصالحين دثارا، فتدور المملكة على نصائح العلماء، ودعوات الصلحاء^(١).

إذا علم هذا فإن المملكة العربية السعودية في كل عهودها الزاهرة وفق ولاية أمرها إلى تقرب العلماء، والاستعانة بهم، والاستنارة بأرائهم، وما يميز عهد الملك خالد -رحمه الله- أن استعانة الدولة بالعلماء في عهده كانت واضحة جلية من خلال عدة أمور أهمها:

١. الثقة بالعلماء وتعيينهم في المناصب الكبيرة:

للعلماء مكانتهم التي تليق بهم في أي مجتمع ناجح، فهم النجوم التي يهتدى بها حين تلتبس مسارات الطرق.

وقد عنيت الدولة بالعلماء في عهد الملك خالد -رحمه الله- ووضعتهم في المكانة اللائقة، فكان لهم الدور الكبير في النجاحات التي تحققت للدعوة الإسلامية في ذلك العهد، ويتضح ذلك في تعيين بعض العلماء بمرتبة وزير في أجهزة هامة استحدثت في عهد الملك خالد -رحمه الله- وأوكل أمرها لعلماء أجلاء مثل:

أ. تعيين الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ^(٢) رئيسا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمرتبة وزير^(٣).

(١) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك ص ٧١.

(٢) من مشاهير أعلام نجد تولّى وزارة المعارف، وكان إماما وخطيبا للمسجد الحرام، توفّي عام

١٤١٠هـ.

(٣) التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية ص ١٢٢ لطامي البقمي.

ب - تعيين الشيخ عبد العزيز بن باز رئيساً للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بمرتبة وزير.

وهذه الرئاسة تعتبر أبرز الأجهزة في خدمة الدعوة الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٣٢٣هـ، وقد تطوّر نشاط هذه الرئاسة في عهد الملك خالد تطوّراً كبيراً، ووجدت عناية فائقة، ورعاية كبيرة من الدولة حيث أسند الملك خالد رئاستها لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في شوال عام ١٣٩٥هـ، يقول سماحة الشيخ بن باز: (ظللت في منصب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حتى عام ١٣٩٥هـ، ثم عدت إلى الرياض مرة ثانية في شوال ١٣٩٥هـ حين صدر أمر الملك خالد بنقلني إلى الرياض رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)^(١).

وبرئاسة هذا العالم الجليل بدأت الرئاسة عصراً جديداً من عصورها المتألّقة، وانطلقت تخدم الدعوة في الدّاخل والخارج بدعم مادي ومعنوي مباشر من ولاية الأمر. جزاهم الله خيراً.

ج - تعيين الشيخ ناصر بن حمد الرّاشد^(٢) رئيساً للرئاسة العامة لإدارة الحرمين الشريفين بمرتبة وزير.

إنّ حرص المملكة على تعيين أمثال هؤلاء العلماء الأجلاء في مقامات رفيعة هو إدراك منها لجليل مكانتهم، وقدرتهم على إدارة شؤون تلك الرئاسة، وقد درجت المملكة على هذا الصّنيع منذ عهد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - ونسج على منواله أبنائه الملوك البررة؛ ولا غرابة في هذا المسلك النّاجح فالمملكة دولة العلم والدعوة، ورافعة لواء التّوحيد، وحاضنة الحرمين الشريفين.

(١) حوار مع سماحة الشيخ ابن باز نشر على موقعه بتاريخ ١٣/٧/١٤٢٣هـ.

(٢) من مواليد حريملاء، تقلّد عدّة مناصب أهمّها رئاسة شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي كأول

رئيس لها بمرتبة وزير، تويّ في عام ١٤٢٢هـ، انظر جريدة عكاظ ع ١٠٥٨٢ (١٤١٦هـ).

٢ - الاستعانة بالعلماء في صياغة الأنظمة:

إنّ أنظمة الدولة تضبط أمور الرعايا لذا يحتاج في صياغتها وبيان تفاصيلها إلى العلماء الراسخين من ذوي الاختصاص، وقد ذكر الجويني^(١) أنّ وليّ الأمر مأمور (بمراجعة العلماء فيما يأتي ويذر، فإنهم قدوة الأحكام، وأعلام الإسلام، وورثة النبوة، وقادة الأمة، وسادة الملّة ومفاتيح الهدى، ومصابيح الدجى)^(٢). وقد صدرت في عهد الملك خالد-رحمه الله- أنظمة كثيرة طوّرت الأعمال، وجعلتها تسير وفق خطط مرسومة دقيقة.

واستعانت المملكة بالعلماء والمختصين من أبنائها لصياغة هذه الأنظمة بما يوافق الأسس التي تستند عليها المملكة بوصفها دولة تتخذ من القرآن الكريم دستوراً لها.

فبالإضافة إلى تولّي علماء الشريعة في المملكة صياغة الأنظمة المتعلقة بالشريعة الإسلاميّة، والدعوة إلى الله كمتخصّصين في هذا الجانب، هناك أمثلة تدلّ على إشراك الدولة لهم في عهد الملك خالد -رحمه الله- في اللجان والمجالس الموكل إليها أمر صياغة بعض السياسات المهمّة في المملكة؛ والتي من أهمّها: المجلس الأعلى للإعلام الذي كان من بين أعضائه علماء فضلاء منهم:

معالي الشيخ محمد بن جبير^(٣) -رحمه الله- ومعالي الدكتور عبد الله التركي^(٤) وغيرهما.

(١) إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، توفّي سنة ٤٧٨هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٦٨/١٨.

(٢) غياث الأمم ص ٢٧٤ للجويني.

(٣) تولّى عدّة مهامّ آخرها رئاسة مجلس الشورى بمرتبة وزير، توفّي عام ١٤٢٢هـ. جريدة عكاظ ع ١٠٥٨٢ (١٤١٦هـ).

(٤) الأمين العامّ لرابطة العالم الإسلامي. حاليّاً.

حيث أسهم أعضاء هذه اللجنة في صياغة السياسة الإعلامية للمملكة والتي تعتبر من أهم الأنظمة؛ لضبطها لعمل يعتبر من أهم الأعمال في كل بلاد العالم.

ومن مظاهر خدمة الملك خالد -رحمه الله- للعلم والعلماء اهتمامه بالمعاهد العلمية الذي وضع نظامها الشيخ محمد إبراهيم -رحمه الله- مفتي المملكة الأسبق ومن عاصره من العلماء السابقين، وكان نظاما دقيقا لتلقي العلوم على أيدي المشايخ بالمساجد، وقد أثبت هذا اللون من التعليم قدرته على نشر ذخائر الشريعة الإسلامية، وثبات العقيدة الصحيحة، وحفظ لغة الضاد التي نزل بها القرآن الكريم، مع إجراء بعض التعديلات التي اقتضاها العصر في الأسلوب والمنهج، وإضافة بعض العلوم والمعارف التي تثري ثقافة الدارس، وتمكينه من الإسهام في نهضة بلاده وأمته.

وكان لتلك المعاهد العلمية أهداف نبيلة من أهمها:

١- تربية الناشئة تربية إسلامية تساعد على تكوين شخصياتهم في الحياة.
٢- تزويدهم بما يحتاجون إليه من الفنون والعلوم والآداب، وبما يخدم مهاراتهم ونموهم العقلي والخلقي؛ ليكونوا قادرين على تحصين أنفسهم، وإصلاح مجتمعهم، وخدمة وطنهم.

٣- إعدادهم لاستكمال الدراسة الجامعية في كليات الجامعات المختلفة.

وقد افتتحت في عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م أربعة معاهد في البلاد، وحصل تطوّر في خطتها التعليمية، ففي العام الدراسي ١٣٩٧-١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨م عدلت خطة الدراسة للمرحلتين المتوسطة والثانوية لتتفقا مع تحديد أيام الدراسة إلى خمسة أيام أسبوعياً، فأصبحت الخطة (٣٠) حصّة في الأسبوع، وفي العام الدراسي ١٤٠١- ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م بدئ بتطبيق خطة جديدة في المرحلة الثالثة، حيث حصل فيها فصل وضمّ لبعض المواد وإدخال مادة الثقافة العلمية ضمن منهج المواد الدراسية^(١).

(١) موسوعة التعليم في المملكة ٥/٣، ٢٢٠ لعبد العزيز عبد الله السنبلي. وسيأتي في المبحث الرابع نماذج

من الجامعات والكليات والمعاهد التي افتتحت في عهد الملك خالد-رحمه الله-تعالى،، وجهوده في

استغلالها صروحا للدعوة الإسلامية.

والحاصل أنّ الملك خالد -رحمه الله- بذل جهوداً مشكورة في خدمة العلم وأهله، وكان يرنو من وراء ذلك خدمة الشريعة الفراء، فلا جرم أن حظي بجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤٠١هـ، وقد جاء في قرار لجنة الاختيار مبررات فوز جلالته بها لعدة أمور من أهمها عمله الدؤوب من أجل تحكيم الشريعة الإسلامية ونشر الدعوة.

المبحث الثالث: جهوده في خدمة الحرمين الشريفين

تشرّف الملك خالد -رحمه الله- كسائر ملوك الدولة السعودية بخدمة الحرمين الشريفين، وعرفت مكة المكرمة والمدينة المنورة في عهده الميمون جهوداً عظيمة نتناولها في مطلبين:

المطلب الأول: جهوده في خدمة الحرم المكي

إنّ مكة المكرمة هي مهبط الوحي، ومهد الرسالة، ومنها بعث سيّد الأنبياء وخاتمهم، ونشأ في أحضانها خير ولد آدم وأتقاهم، وفيها بزغت دعوة التوحيد الحقّ، وأزهقت وثنية الشرك الباطلة، وبها أوّل بيت وضع للناس بيّ الله الحرام الذي يحجّ إليه المسلمون كلّ عام، ويعتمرون في كلّ وقت وحين، بيّت كريم رفّع قواعده جدّ النبيّ محمد ﷺ بيّ الله إبراهيم ومعه ابنه البارّ نبيّ الله إسماعيل عليهما السلام: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، ولعلّوا مقام مكة وجلالة الكعبة منّ الله على أتباع ملّة الإسلام بمضاعفة أجر الصّلاة في المسجد الحرام، وجعله -فضلاً منه ورحمة- بمئة ألف صلاة فيما سواه كما قال النبيّ ﷺ: (صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه)^(٢)، وأعظّم بها نعمة منّ الله بها على معتقي الدين الحقّ.

(١) آل عمران: الآية ٩٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن رقم: ١٤٠٦، كتاب الصّلاة، باب ما جاء في فضل الصّلاة في المسجد

الحرام ومسجد النبيّ ﷺ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصحّحه البوصيري في

مصباح الزّجاجة ١٣/٢.

وبشاء الله العليم الحكيم أن ينقل نبيه محمداً ﷺ إلى المدينة مأرز الإيمان،
ودار التشريع، وسكن خير الأنام، وموضع قبره الشريف، ودار المهاجرين والأنصار،
ويمنّ

الله على أهل الإسلام أيضاً بمضاعفة الأجر في الصلاة في مسجد رسول الله
ﷺ بألف صلاة فيما سواه غير المسجد الحرام.

إنّ مدينتين كريمتين هذا شأنهما في الإسلام لحرّيتان أن يهتمّ بهما ولاة الأمور،
وقد فعلوا ذلك قديماً وحديثاً، توسيعاً للحرمين الشريفين، ونشراً للعلوم فيهما،
وتوقيراً وتقديراً لأهلها، وتيسيراً وتسهيلاً لزوَّارهما، وعنايةً بنظافتها، وحفظاً
لأمنهما، وصيانةً لكتبهما المحفوظة في خزائنها.

إنّ التاريخ ليشهد بصدق على عظمة العناية التي شرفت بها المملكة العربيّة
السعوديّة في خدمة الحرمين الشريفين، اللذين شهدا توسعة لم يسبق مثلاً في
التاريخ، وإنّ ملوك هذه الدولة ليعتزّون بهذه الخدمة ويعدونها قبل كلّ شيء قربة
من عمل صالح يرجون بها من ربّهم حسن المثوبة، ويأملون صادقين أنّهم سهّلوا كلّ
وسائل الرّاحة في مكّة والمدينة أعزّ مدينتين في قلوب أهل الإسلام.

لقد دخل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- مكّة المكرّمة
عام ١٣٤٣هـ، ولم يمض إلاّ وقت يسير حتّى أعلن البدء في ترميمات المسجدين
الشريفين، وبذل في ذلك كلّ غال ونفيس^(١).

وسنّ بذلك سنّة حسنة لأبنائه البررة الذين ساروا على درب والدهم بناءً
وتوسعة وعناية بالحرمين الشريفين، وفي ذلك أقول:

ملوكٌ يقترفون خطيئهم

ويرجون المكارم والأجورا

ويبنون المساجدَ شامخات

ويضفون المحاسن والحبورا

(١) الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام ص ٢١ - إصدار الرئاسة العامّة لشؤون
المسجد الحرام والمسجد النبوي.

ولا شك أنّ والدهم المؤسس اقتضى هدي الخلفاء ومن سار على هديهم من ملوك الإسلام وسلاطينه، وهو أمر رغبت في مثله الشريعة، وصار جوازه كلمة إجماع بين العلماء^(١).

ولما كانت مكة المكرمة البلد الذي يضم الكعبة التي يحج إليها المسلمون، وفي ربوع منى ومزدلفة تؤدى سائر المناسك، أحببت ذكر إطلالة على الحج والعمرة وفضلهما في الإسلام.

١ - تعريف الحج والعمرة:

للحج معنى في اللغة ومعنى في اصطلاح الشرع.

أما معنى الحج في اللغة فهو: القصد^(٢).

وأما معناه شرعا فهو: قصد البيت الحرام لأداء أفعال مخصوصة من الطواف والسعي والوقوف بعرفة وغيرها من الأعمال، أو: قصد الكعبة بصفة مخصوصة، في زمن مخصوص، بشروط مخصوصة^(٣).

ونلاحظ أنّ أفعال الحج مرتبطة بأماكن محددة شرعا:

١- فالإحرام مرتبط بأماكن معينة منها يهلّ الحاج بحجّه والمعتمر بعمرته، وهي المعروفة في عرف الشرع بالمواقيت.

٢- والطواف دورانا مرتبط بالكعبة، وذهبا وإيابا بالمسعى والصفى والمروة.

(١) عرّف الحرمان خلال التاريخ الإسلامي توسيعات كثيرة بمشهد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم الفقهيّة، ولم يسمع عن أحد منهم إنكار لتلك التوسيعات، وكتب الفقه مشحونة بمباحث تتعلق بزيادة اتّساع رقعة المساجد والحرمان داخلان في عموم ذلك، وانظر أخبار مكة ٦٨/٢ فما بعد للأزرقي، والبحر الرائق لابن نجيم الحنفي ٢٧٠/٥، والفواكه الدواني للنفراوي المالكي ١٦٥/٢، وحاشية الجمل على شرح المنهاج لسليمان الجمل الشافعي، ٤٢٣/٢، والإنصاف للمرداوي الحنبلي ١٠٢/٧.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ٨٦/١، وتاج العروس للزبيدي ٤٥٩/٥.

(٣) انظر المغني ٨٥/٣، والرّوض المربع ٤٥٣/١، والتّعريف للمناوي ص ٢٦٨.

٣- ومبيت الحجاج مرتبط بمنى ومزدلفة.

٤- والوقوف مرتبط بعرفة.

٥- والنحر بمنى ومكة.

وكل هذه الأماكن وغيرها حظي بعناية المملكة العربية السعودية في عهد ملوكها الميامين.

وأما العمرة فمعناها في اللغة: الزيارة^(١).

ومعناها في الشرع: زيارة الكعبة على وجه مخصوص مع الطواف والسعي

والحلق أو التقصير^(٢).

٢- فضل الحج والعمرة:

ورد في فضل الحج والعمرة نصوص كثيرة فمن ذلك:

أ- أنه ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: (إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟

قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور)^(٣).

ب- قوله ﷺ: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)^(٤).

ج- قوله ﷺ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء

إلا الجنة)^(٥).

(١) انظر تهذيب اللغة ٢/٢٣٣، وتاج العروس ١٣/١٣٠.

(٢) انظر الفروع لابن مفلح ٣/١٥١.

(٣) أخرجه البخاري رقم: ١٤٤٧، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ومسلم رقم: ٨٣، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري رقم: ١٧٢٤، كتاب الحج، باب قول الله عز وجل: ولا فسوق ولا جدال في الحج، ومسلم رقم: ١٣٥٠، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري رقم: ١٦٨٣، كتاب الحج، أبواب العمرة، ومسلم رقم: ١٣٤٩، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دلّت هذه الأحاديث على فضل الحجّ والعمرة، وأنّهما يكفّران الذنوب حتّى يعود الإنسان نقيّ الصّحيفة لا إثم عليه شبيها بحاله يوم ولادته، ومآله - فيما إذا برّ في حجّه وتقبّله منه ربّه - الجنّة.

٣ - حدّ الحرم المكي والمدني:

يحدّ الحرم المكي شمالاً من جهة المدينة المنورة التّنعيم أو مسجد العمرة، وتقدر المسافة بنحو ٧ كم.

أمّا غرباً من جهة جدّة فحدود الحرم عند المكان المسمّى العَلَمَيْن أو الحديبية، وتقدر المسافة المسافة بـ ١٨ كم.

أمّا شرقاً من جهة نجد فحدوده عند الجعرانة، وتقدر المسافة بـ ٥, ١٤ كم تقريباً.

أمّا جنوباً من جهة عرفة فحدوده عند نمرة، والمسافة بينه وبين المسجد الحرام تقدر بنحو ٢٠ كم^(١).

أمّا المدينة فقد جاء في تحديد حرّمها حديثان صحيحان:

١ - قوله ﷺ: (المدينة حرّم ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْر)^(٢).

٢ - قوله ﷺ: (اللهمّ إنّي أحرّم ما بين لأبْتَيْهَا بمثل ما حرّم إبراهيم مكّة)^(٣).

ففي الحديثين بيان لحدود حرم المدينة من الجهات الأربع، فمن جهة الشّمال جبل ثور وهو جبل صغير شمالي أحد، ومن جهة الجنوب جبل عَيْر - وهو ممتدّ من

(١) توسّعات الحرم المكي عبر الزّمن ضمن موقع الحجّ على الشّبكة العنكبوتية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: ٦٣٧٤، كتاب الفرائض، باب ميراث السّائبة، ومسلم رقم: ١٣٧٠،

كتاب الحجّ، باب فضل المدينة، من حديث عليّ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم: ٢٩٠٢، عن أنس، ومسلم رقم: ١٣٦١، باب فضل المدينة، عن رافع بن خديج

رضي الله عنه.

الشَّرق إلى الغرب، ويشرف طرفه الغربي على ذي الحليفة، وطرفه الشَّرقي على المنطقة المتَّصلة بمنطقة قباء من جهة الجنوب الغربي، ومن جهة الشَّرق الحرَّة الشَّرقيَّة، وهي إحدى اللَّابَتَيْنِ حيث إنَّ المراد باللَّابَّة الحرَّة، وهي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود^(١)، ومن الغرب الحرَّة الغربيَّة. وهي اللَّابَّة الأخرى. وقد صرَّح النَّووي-رحمه الله- وغيره بدخول الحرَّتَيْنِ في حرم المدينة^(٢).

(١) انظر تهذيب اللِّغة ٢٧٥/١٥، والنَّهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٧٤/٤.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٣/٩.

المبحث الثالث: جهود الملك خالد في خدمة المسجد الحرام

أنجزت الدولة في عهد الملك خالد-رحمه الله- أعمالاً جليلة في المسجد الحرام منها:

١- إتمام توسعة المسجد:

نظراً لزيادة وفود الحجاج إلى بيت الله الحرام وكثرة قاصديه طيلة الوقت ارتأت الدولة ابتداءً من عهد المؤسس رفع الطاقة الاستيعابية ليستوعب المسجد الحرام أكبر عدد ممكن، وفي عهد الملك خالد-رحمه الله- انتهت تلك المشاريع المباركة والتي بدأ العمل فيها خلال عهود سابقة لعهد، وسعد المسلمون حقاً في شهر رجب سنة ١٣٩٦هـ بانتهاء تلك المشاريع الجبارة بعد أكثر من عقدين من العمل المتواصل.

٢- توسعة المطاف^(١):

الطواف بالكعبة من أجل الطاعات التي يتقرب بها المسلمون إلى ربهم وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ﴾^(٢)، وإن أول اعتناء أمر به الله تعالى هو تطهير هذا البيت الكريم من كل مظاهر الشرك ليتسنى الطواف به تقرباً إلى الله وحده لا شريك له، وبهذا الأمر كلف نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٣)، ومضى الأمر على التوحيد إلى أن أغوى الشيطان مشركي العرب واتخذوا في الكعبة أصناماً آلهة، لكن الله تعالى طهرها على يد سيد الأنبياء

(١) المطاف: المكان الذي يحصل حوله الطواف، والطواف في عرف أهل اللغة الدوران، وفي الشرع:

الدوران حول البيت الحرام، انظر لسان العرب ٢٢٥/٩، والشرح الممتع على زاد المستقنع للعثيمين

٦٧/٧، وقواعد الفقه للبركتي ص ٣٦٥.

(٢) الحج: الآية ٢٩.

(٣) البقرة: الآية ١٢٥.

وإمام المرسلين محمد ﷺ، وبقي صفاء التوحيد في مكة من لدن عهد النبوة وعصر الخلفاء الراشدين ومن شاء الله بعدهم، وفي العصور المتأخرة ظهر شيء من مخالفات شرعية يسر الله زوالها على يد دولة التوحيد المملكة العربية السعودية ممثلة بقادتها الأشاوس سلفا وخلفا...

إن بيتا هذا شأنه في الإسلام، وكعبة هذا قدرها عند الله، لحرمان باهتمام أولي الأمر، وهذا ما فعله الملك خالد -رحمه الله- الذي تم في عهده الميمون عام ١٣٩٨ هـ: أ - توسيع المطاف في صورته الحاضرة.

ب - إلغاء (الحصاوي والمشائيات) التي كانت في المسجد، ونقل المنبرو (المكبرية)، وذلك زيادة في تحقيق الاتساع المطلوب.

ج - توسيع قبو زمزم.

د - فرش أرضية المطاف برخام مقاوم للحرارة زاد من راحة المصلين والطائفين في الظهيرة، ووقاهم - بفضل من الله - وهج الشمس، وشدة الحر.

هـ - العمل على زيادة مساحة المسجد الحرام القديم بحيث أصبحت لأول مرة في التاريخ كلها مطافا.

إن مثل هذه التوسعة تقرها قواعد الشريعة التي رغبت في أداء العبادات على وجه تتحقق فيه الطمأنينة والخشوع والسكينة واليسر، والمنطقة المحيطة بالكعبة وإن طال اتساعها فحكمها حكم ما قاربها، وعلماء القواعد يقولون: (حريم الشيء له حكم ما هو حريم له)^(١)، وكل هذا من يسر الشريعة السمحاء، وصدق النبي ﷺ القائل: (إن هذا الدين يسر)^(٢).

٣. الكعبة المشرفة:

من حكمة الله تعالى وجليل قدرته أن جعل في السماء بيتاً معموراً يطوف به

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٢٥

(٢) أخرجه البخاري رقم: ٣٩، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الملائكة، ولعظمته وجلالة شأنه أقسم الله به في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾^(١)، وهو بيت كريم تدخله أعداد هائلة من ملائكة الرحمن كما قال النبي ﷺ: (البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه)^(٢). وبمقابل هذا البيت المعمور بالملائكة في السماء جعل بيتا آخر معمورا في الأرض بالطائفين والقائمين والركع السجود وهو الكعبة البيت الحرام، ومن حكمته تعالى أن جعل هذين البيتين المعمورين متقابلين حيال بعضهما أحدهما في السماء السابعة والآخر في الأرض، فعن قتادة بن دعامة السدوسي قال: (ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال يوما لأصحابه: هل تدرّون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه مسجد في السماء تحته الكعبة لو خرّ لخرّ عليها)^(٣). وكما أقسم الله تعالى بالبيت المعمور فقد أقسم بالبلد الحرام الذي فيه بيت الكعبة ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾^(٤). وما ذلك إلا لجلالة شأن الكعبة التي فيها آيات عظيمة: مقام إبراهيم نبي التوحيد، والحجر الأسود المنزل من الجنة، وماء زمزم المبارك.

ونظرا لجلالة شأن الكعبة في الإسلام تآقت النفوس إلى بذل كل غال ونفيس من أجل صيانتها ورعايتها، ولقد شرفت المملكة العربية السعودية بخدمة الكعبة المشرفة بمظهرها المعنوي صيانة لها عن أي شائبة تمس جناب التوحيد، والمادّي ترميما لجدرانها، وتجديدا لرخامها، واستبدالاً للإطار الحديدي المحيط بالحجر الأسود المبارك بإطار آخر غير قابل للصدأ، كل ذلك أمر به الملك خالد-رحمه الله-تعالى.

(١) الطور: الآية ٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/٣، والحاكم ٥٠٨/٢ وصحّحه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وانظر شواهد في الصحيحة رقم: ٤٧٧.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٧/٢٧ مرسلا، وله شواهد تقويه مذكورة في السلسلة الصحيحة رقم: ٤٧٧.

(٤) التين: الآية ٣.

وفي عام ١٣٩٧هـ تمّ تركيب سلّم جديد داخل الكعبة دائري الشكل مصنوع من الألمنيوم القويّ مكوّن من خمسين درجة بدلا من السلّم الخشبي القديم الذي أصابه التآكل، وفي العام نفسه أمر الملك خالد بصنع باب جديد للكعبة المشرفة، وباب آخر لسلّم الكعبة الداخلي المؤدّي إلى سطحها من الذهب الخالص، وقد بلغ مقدار الذهب المستخدم للبابين (٢٨٠) كلف بتكلفة زادت على (٤٢٠) مليون ريالاً سعودياً، كما صنع قفلاً جديداً لباب الكعبة مماثلاً للقفل القديم في مواصفاته.

وفي سنة ١٣٩٧هـ من عهده الميمون -رحمه الله- تمّ افتتاح المبنى الجديد لمصنع كسوة الكعبة بأمر الجود بمكة المكرمة، وانتهى ما خطّطت له المملكة -في تلك الفترة- من توسعة للمسجد الحرام الذي بدأ بحلّة جديدة فضلا من الله ونعمة^(١).

٤. بئر زمزم^(٢) :

إنّ ماء زمزم آية من آيات الله الدالّة على عظيمة قدرته، لم ينقطع نبعه ولم يجفّ مورده منذ أن ركضه بعقبه الملك الكريم جبريل عليه السّلام، لتسقي أمّ إسماعيل ولدها المبارك إسماعيل عليه السّلام، وقد استعجلت لجمع الماء ولو تركته لكان سيلانه أعظم، في قصّة عجيبة يتجلّى فيها حفظ الله لأوليائه، وفضل الالتجاء إليه وحده، وإنّ عيني لتدمع كلّما قرأت هذه القصّة، وأقتطع للقارىء جزءاً منها كما ورد في حديث عبد الله بن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ حيث يقول:

(جاء بها - أي هاجر^(٣) - إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتّى وضعها

(١) انظر نبذة وجيزة عن عمارة الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام إلى عهد خادم الحرمين الشريفين ص ١٤ - ١٥ لمحمد بن عبد الله السبيل.

(٢) يقال في اللغة زَمَّ القَرْبَةَ إذا مَلَأَهَا وَمَاءَ زَمَزَمٍ أي كثير، وهاجر عليها السّلام حين ظهر الماء في مكة جعلت تحوّطه بيديها ليمتلاً فتسقي ولدها ومن أجل ذلك سمّي ذاك الماء زمزم. وانظر تاج العروس ٣٢٨/٣٢ - ٣٢٩.

(٣) هي هاجر بنت تويث القبطيّة أمّ إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصّلاة والسّلام، كانت مملوكة لسارة

عند البيت عند دوحه^(١) فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعها هنالك ووضع عندهما جراباً^(٢) فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قضي إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت إذن لا يضيئنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية^(٣) حيث لا يرونها استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع - حتى بلغ - يشكرون^(٤)، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرّات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فذلك سعي الناس بينهما. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو

فأهدتها إلى خليل الرحمن فولدت له إسماعيل، انظر خبرها في تاريخ دمشق لابن عساكر ١٤٦/٧٠،

وفتح الباري ١٢٨/٩، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/٦٧٤.

(١) الدوحة: الشجرة الكبيرة فتح الباري ٤٠١/٦.

(٢) الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد انظر مختار الصحاح ص ١١٩، والمعجم الوسيط ١/١١٤.

(٣) الثنية في الجبل كالعقبة. وقيل: هو الطريق العالي فيه. وقيل: أعلى المسيل في راسه. عمدة القاري

للعيني ٢٣/٢٣٢.

(٤) الإشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

فَأَجْعَلَ آفِئِدَةً مِنْكَ النَّاسِ يَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْتُفِقَهُمْ مِنَ الْكُمُرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ إبراهيم: الآية ٣٨ - ٣٩.

قال: بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوِّضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا. قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله بينيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله^(١).

حقاً إن الله تعالى لا يضيع من صدق في اللجوء إليه، وتوكل في جميع أموره عليه، يقول ابن كثير-رحمه الله:-

(لما خافت على ولدها الضيعة هنالك ونفذ ما عندهما قامت تطلب الغوث من الله عز وجل، فلم تزل تتردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة، متذلة خائفة وجلة، مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل، حتى كشف الله كربتها، وأنس غربتها، وفرج شدتها، وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم، وشفاء سقم)^(٢).

إن المسلم - حين يشهد هذه الأماكن المشرفة - ينبغي له أن يتذكر هذه القصة، وحين يرتوي من ماء زمزم المبارك فليجمع قلبه على نية صالحة ففي الحديث النبوي: (ماء زمزم لما شرب له)^(٣)، ولا ينسى - متكرماً - أن يبتهل إلى الله بدعوات صادقة للملك خالد-رحمه الله- الذي تم في عهده الميمون عام ١٣٩٥هـ الاعتناء بتقوية وتعقيم هذا الماء المبارك، ليرتوي قاصدوه عذبا زلالا.

ومن مظاهر اعتناؤه-رحمه الله- بهذا الماء المبارك ما تم في عهده أيضا عام

(١) أخرجه البخاري رقم: ٣١٨٤، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٢٠٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه رقم: ٣٠٦٢ وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وله طرق ترتقي به إلى الحسن لغيره، انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل رقم: ١١٢٣ للألباني.

١٣٩٨هـ من توسيع مساحة قبو زمزم حتّى بلغت بعد التّوسعة ١٤٥٠ متراً مربّعاً تستوعب قرابة ٢٥٠٠ شخص في أوقات الذّروة أيّام موسم الحجّ، وتيسّر للحجّاج والمعتمرين الوصول إلى منطقة البئر، ورؤيته من خلال الرّجّاج المحيط به، وركبت نافورات شرب اقتصادية تحول دون إهدار مياه زمزم، وبلغ عددها في الدّور الأرضي ٢٨٤ نافورة تزوّد زائري بيت الله الحرام بالماء البارد^(١).

إنّ العالم ليشهد على عظمة هذه التّوسعة المكيّة لبيت الله الحرام وما صاحبها من تحسينات في شتّى مرافقه، وإنّ عهد الملك خالد-رحمه الله- لانطلاقه جديدة فرح لها المسلمون في شتّى بقاع الأرض، وقد تلاها توسعات عملاقة في عهد أخيه -المغفور له بإذن الله- خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وعلى دربهما يمضي أخوهما سيّدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله تعالى، يسّر الله له مبتغاه، وزاده توفيقاً فيما خطّط له وارتأه.

ثانياً: وكالة الرّئاسة العامّة لشؤون المسجد الحرام^(٢)

من مظاهر عناية الدّولة بالمسجد الحرام في عهد الملك خالد-رحمه الله- صرح عملاق تولّى شؤون المسجد المبارك وهو وكالة الرّئاسة العامّة لشؤون المسجد الحرام، فيها إدارات متعدّدة من أهمّها:

١. إدارة شؤون المصاحف:

تهتمّ بتوفير المصاحف لرواد المسجد الحرام، وتوزيعها في عدّة أماكن، وترتيبها في رفوف مناسبة.

(١) الحرمان الشّريفان التّوسعة والخدمات خلال مئة عام ص ٢٧٧ - ٢٧٩. إصدار الرّئاسة العامّة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النّبوي.

(٢) موقع الوكالة على الشّبكة العنكبوتيّة www.wmn.gov.sa

٢. إدارة الأبواب:

تهتمّ بنظافة المسجد الحرام، ومنع إدخال ما من شأنه المساس بأمن المصلين.

٣. إدارة الساحات:

تشرف على ساحات الحرم، وتبلغ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أيّ تجاوزات أخلاقيّة، وتحثّ على المحافظة على إدراك صلاة الجماعة في المسجد الحرام.

٤. إدارة العربات والشبّاري^(١):

تخدم العاجزين والمعوقين والمرضى من قاصدي بيت الله الحرام، وتحرص على توفير الوسائل اللاّزمة لأداء نسكهم في أحسن حال، كما توفّر العربات المجانيّة داخل الحرم، وتشرف على سيرها وتنظيمها.

٥. إدارة الفرش والأثاث:

تقوم على تهيئة الفرش والبُسُط في بيت الله الحرام طوال العام، وتحرص جدًّا على نظافته يوميًّا، وإظهاره بالمظهر اللائق بقديسيّة المسجد الحرام، وتقوم باستبداله كلّما تقادم به العهد.

٦. إدارة سقيا زمزم:

تشرف على خدمات سقيا زمزم، وتوفّره لرواد بيت الله الحرام مبرّدًا معقّمًا سائغًا للشاربين.

٧. إدارة التّشغيل:

تهتمّ بتطوير وتحسين أعمال الإشراف وتنظيم أعمال الشركات المكلفة بالتّشغيل والصّيانة بالحرم المكي الشريف.

(١) العربات معروفة والشبّاري حمّالات خشبيّة محاطة بجوانب مرتفعة مخصّصة لطواف العجزة وذوي الوزن الزائد من الحجّاج والمعتمرين تحمل على الرّؤوس. ينظر مقال عن (الشبّريّة) في جريدة الشرق الأوسط العدد ١٠٥٣٥.

٨. إدارة التطويق:

تقوم بتنظيم عمل المطوفين والمراقبين، والإشراف عليهم وإرشادهم، وتوجيههم إلى الالتزام بالآداب الشرعية، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة.

كما تضطلع هذه الوكالة بشؤون الدعوة وتهتمّ بما يلي:

- ١ - تعيين أئمة الصلوات والمؤذنين في الحرمين الشريفين، والإشراف عليهم.
- ٢ - تعيين مرشدين ومعلمين ووعاظ، طوال السنة - بما في ذلك موسم الحج - والإشراف على أعمالهم.
- ٣ - المراقبة العامة على أمن الحرمين والحيلولة دون حدوث الفوضى والشغب داخلهما في أوقات الصلوات وغيرها.
- ٤ - الإشراف على معهد الحرم المكي وتوفير احتياجاته.

٥ - الإشراف على مكتبتي الحرمين وتوفير ما تتطلبهما من كتب ولوازم.

إنّ ضخامة مبنى المسجد الحرام احتاج حقاً إلى كلّ هذه الإدارات، ومن فضل الله تعالى حرصت الدولة على حسن سيرها في سلاسة ودقّة ونظام منقطع النظير، وقد لا تدرك العين ضخامة الأعمال المناطة بهذه الإدارات وغيرها، وإلاّ فهي على ثغر عظيم لا يعلم قدره ولا يدرك شأوه إلاّ من خالط وعاین.

ثالثاً: وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي

نظراً للبعد الجغرافي بين موقع الحرمين الشريفين، وكون المقر الرسمي للرئاسة بمكة المكرمة، فقد تمّ في عهد الملك خالد -رحمه الله- إنشاء وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي بالمدينة المنورة، يقوم عليها نائب الرئيس العام، ويرتبط به إدارياً، ويتولّى الإشراف على مهامّ الوكالة وإدارتها، وكان لذلك أثر كبير في نفوس زوّار مسجد رسول الله ﷺ^(١).

(١) انظر رعاية الحرمين الشريفين للسبيل ص ٨٢.

ولهذه الوكالة إدارات عدّة تقوم بخدمة المسجد النبوي الشريف ومن أهمّها^(١):

١. إدارة التنسيق والمتابعة:

تهتمّ بالتنسيق بين الإدارات وتقويم أدائها، وتحصر على التوصيات التي تؤدي إلى تطوير العمل، وتشارك في اللجان التي تتولّى دراسة احتياجات الأجهزة الماليّة والإداريّة والوظيفيّة، وتشارك في إعداد الشروط والمواصفات، ونطاق الأعمال لعقود التشغيل والصيانة وخدمات النظافة والسّقيا للمسجد النبوي الشريف.

٢. إدارة خدمات الأبواب:

تقوم بتكثيف عدد البوابين والمراقبين على الأبواب، وتفتح أبواب السّلالم الكهربائيّة الداخليّة المؤدّية إلى السّطح، وتضع الترتيب اللازم الذي يمنع التّزاحم، كما تلبي رغبات طالبي العربات الخاصّة بالعجزة، ومن مهمّتها إبلاغ سيّارات الإسعاف عن المرضى الذين يحتاجون النّقل إلى المستشفيات.

٣. إدارة خدمات السّاحات:

تتولّى إرشاد الزّائرين والمصلّين من الرّجال والنّساء، وتوجّه التّائّهين، وتساعد كبار السنّ، وتمنع البيع والتّسول في ساحات المسجد النبوي، وتقوم بفتح الممرّات المؤدّية إلى أبواب المسجد وأبواب السّلالم الكهربائيّة التي تنقل المصلّين إلى السّطح، وتشرف على تنظيم مواعيد إفطار الصّائمين في شهر رمضان المبارك.

وثمّة إدارات أخرى لخدمات النظافة والفرش، والصّيانة والسّقيا، تقوم بما تقوم به مثيلاتها في مكة المكرمة، كما أنّ هناك إدارة التطّوير تهتمّ بإرشاد الزّوّار إلى آداب زيارة قبر النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، دون إحداث مخالفات شرعيّة.

(١) موقع الوكالة على الشبكة العنكبوتيّة www.wmn.gov.sa

فهذه بعض آثار الملك خالد-رحمه الله- في خدمة الحرمين الشريفين، تشهد بصدق على عظمة الجهود التي تشرفت بها المملكة في عهده الميمون، وما زالت تبتذل قصارى عنايتها تجاه الحرمين لترقى قُدماً إلى أفضل ما يمكن تحقيقه، وهي لا تنسى أبداً ثالث الحرمين ومسرى سيّد الثّقَلين المسجد الأقصى المبارك، وترجو من الله العليّ القدير أن يطهّره من رجس الصّهاينة المعتدين، واليهود الغاصبين^(١)، ويجمع - على كلمة واحدة - جميع المسلمين، ورحم الله الملك خالد الذي قال في افتتاح مؤتمر القمة الإسلامي الثالث - مذكراً بأهميّة الوحدة والاجتماع:

(إنّ التّقاءنا اليوم في هذا المنعطف الزّمني من تاريخنا الإسلامي ضرورة حتميّة تقتضيها هذه الصّحوة المباركة، ويوجبها ما آلت إليه أراضى الأمّة الإسلاميّة ومقدساتها من رزوح تحت وطأة الاحتلال الصّهيوني الاستيطاني في القدس وفلسطين والأراضي العربيّة المحتلّة)^(٢).

(١) يأبى القلم وهو يسرد جهود الملك خالد-رحمه الله- في خدمة الإسلام والمسلمين إلّا أن يشارك بقلب مكلوم - مستنكراً مستهجنًا - ما تفعله هذه الأيام العصابة المجرمة من اليهود، في غزّة الأبيّة، من قتل ودمار، وسفك وإضرار، ولا غرابة فهم المجترئون على ربّ السّماء، القاتلون للرّسل والأنبياء، ولم يحلّ بالمسلمين من نكبات وويلات إلّا وراءها اليهود ومن شايعهم... نسأل الله أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كيد الأعداء الماكرين.

(٢) ضمن كلمة تاريخيّة ألقاها نيابة عن الملك خالد وليّ عهده آنذاك الأمير فهد بن عبد العزيز -رحمهما الله تعالى- نشرتها جريدة أمّ القرى العدد ٢٧٥٤.

المبحث الرابع: جهوده في مجال خدمة الدعوة إلى الله تعالى في الدّاخل والخارج.

إنّ الإسلام دين عالمي بعث نبيّه محمّد ﷺ إلى النّاس كافّة عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، قال تعالى: ﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(١)، واعتبر القرآن الكريم محمّدا ﷺ رحمة للعالم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، ولأنّه الدّين الحقّ الذي ارتضاه الله لعباده فقد أمر أتباعه الذين التزموا به أن يدعوا غيرهم إليه ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾^(٣)، واعتبر نبيّ الإسلام أنّ اهتداء من اهتدى فيه أجر عظيم لمن كان سببا - بعد الله - في حصول هذه الهداية: (والله لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من أن يكون لك حُمُرُ النَّعَمِ)^(٤).

وحُمُرُ النَّعَمِ: هي أقوى الإبل وأجلدها وهي أنفس أموال العرب^(٥).

وفي هذا دلالة على فضل الدّعوة إلى الله تعالى، وجلالة شأن الحرص على هداية النّاس، ووصول الخير إليهم، وأعظم ذلك كلّه أن يكون المسلم سببا في دخول الكفّار إلى الإسلام؛ وقد عقد الإمام البخاري لهذا الحديث بابا في فضل من أسلم على يديه رجل، ولهذا اعتبر القرآن الكريم الدّعوة إلى الله مرتبة من أجلّ المراتب: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٦)، وهذا

(١) سبأ: الآية ٢٨.

(٢) الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) آل عمران: الآية ١٠٤.

(٤) أخرجه البخاري رقم: ٢٨٤٧، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥) مشارق الأنوار للقاضي عياض ١٧/٢، وعون المعبود ٦٩/١٠ لشمس الدّين أبادي.

(٦) فضّلت: الآية ٣٣.

استفهام تقريرية معناه^(١): لا أحد أحسن حالا من ذلك المذكور في هذه الآية، وهي عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد.

إن الدعوة إلى الله تشمل جميع أنواع البر الذي يدعى إليه، وأهم ذلك وأوله وأولاه الدعوة إلى توحيد الله عز وجل.

قال أبو السُّعود^(٢) المفسر عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾^(٣): (أي إلى توحيدهِ وطاعته)^(٤).

وقال السَّعدي عند الآية -مقررًا ما يدعو إليه الداعي:

(لتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن..والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه)^(٥).

إن فضلًا عظيمًا مثل هذا يترتب على الدعوة كان الدافع القوي خلال تاريخ الإسلام المجيد للدعاة الصالحين أن يتجشّموا كل الصعاب من أجل إيصال هذا الخير العظيم لمن لم يصل إليه من أهل المشارق والمغارب، وضرب الصحابة والتابعون ومن تبعهم أروع الأمثلة في دعوة الناس إلى الهدى، سالكين سبيل الحكمة

(١) هذا المبحث حول هذه الآية الكريمة من دراسة نشرها المؤلف عنوانها: فضائل الدعوة إلى الله، نشرت في مجلة التوعية الإسلامية العدد ٢٢٨.

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين، له تفسير مشهور به سمّاه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفّي سنة ٩٨٢هـ، انظر أعلام الزركلي ٥٩/٧.

(٣) فصّلت: الآية ٣٣.

(٤) تفسير أبي السُّعود ١٣/٨.

(٥) تفسير السَّعدي ص ٧٤٩.

الذي أمر الله به في كتابه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١)، وكان للخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء دور جليل في هذا المقام نظرا لمكانتهم وقدرتهم - كولاة للبلدان - على فعل ما لا يتيسر فعله لسائر الناس، ولهذا جاء في الأثر: (إنَّ اللهَ لِيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ)^(٢).

إنَّ أساس نجاح دعوة النَّاس يتوقَّف - بعد توفيق الله - على مدى امتثال الدّاعي في نفسه لما يدعو إليه من أخلاق فاضلة وشيم نبيلة، وإنَّ النَّاس لينفرون حقًا من داعية يدعوهم إلى الأخلاق وهو سيِّئها، وإلى العبادة وهو مهملها، وإلى الفضائل وهو تاركها، أمَّا الدّاعية العامل بما سبق، الممتثل لأوامر الشّرع وآداب الإسلام، فإنَّه يجد لدى دعوته أذانا صاغية، ويقبل عليه المدعوون، ويجدون لكلامه حلاوة في نفوسهم، وأثرا عظيما في قلوبهم، وكلُّ هذا من بركة صدق التّعامل مع الحقّ، الذي يثمر قبولا في نفوس الخلق.

إنَّ أعظم النَّاس حاجة إلى تطبيق هذا المبدأ لوليّ الأمر الذي مكّن الله له في الأرض، ويسر له - بمنّهِ وفضلهِ - رعاية شؤون البلاد، وعادة ما تكون الأنظار متوجّهة إليه، وترمق كلُّ صغيرة وكبيرة تصدر عنه، ولهذا كان صلاح الولاة صلاحا للرعيّة، وفسادهم فسادا لهم، وإنَّ قلوب النَّاس لتميل جدّا إلى الملك الصّالح وتطمئنّ إليه ولا تنفر عنه.

قال الخيريّتي: (ينبغي أن يكون الإمام متّقيا عن الحرام والشّبهات، ويكون ورعا صالحا ليأمن الخلائق على أنفسهم وأموالهم، وتميل قلوب الخلائق إليه، ولا تنفر عنه)^(٣).

(١) النحل: الآية ٢٥.

(٢) ورد موقوفا عن عثمان بن عفّان، ونحوه عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، ولا يثبت مرفوعا إلى النَّبِيِّ ﷺ. انظر الجّد الحثيث فيما ليس بحديث رقم: ٥٧ للعامري.

(٣) الدّرّة الغرّاء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ١٢٣.

لقد أردنا بهذا التمهيد أن نلفت النظر إلى حال الملك خالد-رحمه الله- الذي عاش قبل توليه الحكم حياة رجل مؤمن صادق في إيمانه، محب للدعوة، حريص على إيصال الخير إلى الناس، وكان-رحمه الله- يمضي أوقات فراغه في التعبّد وقراءة القرآن الكريم^(١)، وهذا يدلّ على مسلك حسن في الانفراد عن الخلق، للتفرّغ إلى عبادة الحقّ.

ولقد لبث الملك خالد-رحمه الله- على هذا المسلك بعد توليه الحكم، شأن الملوك الصالحين الذين إن مكّن الله لهم في الأرض حكّموا الشريعة، واشتغلوا بالدعوة، وسعوا إلى تحقيق مصالح الرعيّة، وفي القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٢).

لقد أدرك الملك خالد-رحمه الله- واجبه تجاه الدعوة إلى الله باعتباره ملكا لدولة ترفع راية التوحيد، وتتخذ من الكتاب والسنة نهجا لها، فكان نموذجا فريدا للملك الداعية إلى الله بسلوك حسن رفيع، وأقوال مؤثرة طافحة بتعاليم الإسلام.

وإنّ أعظم ما كان يدعو إليه الملك خالد-رحمه الله- ويردّده في مجالسه، ويكثر الحديث عنه في المناسبات الدعوية إلى توحيد الله، والبعد التام عن أيّ مظهر من مظاهر الشرك المحبطة للأعمال، وهو- لثاقب نظره- ينبّه إلى أهميّة صلاح العقيدة في ثبات أركان الملك، وأمثله في التاريخ الإسلامي أوضح من سردها، وآخرها ما يسره الله تعالى على يد المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي سهّل الله له بناء دولة شعارها التوحيد، وفي ذلك قال الملك خالد-رحمه الله-:

(لا شكّ أنّ ما كان يتمتع به جلالة المغفور له - بإذن الله - الملك عبد العزيز من صدق وصبر، وإيمان وصلاح عقيدة، وسلامة نيّة، كانت من العوامل التي أسهمت في نجاحه)^(٣).

(١) تتمة أعلام ١٥٩ لمحمد خير يوسف رمضان.

(٢) الحجّ: الآية ٤١.

(٣) مختارات من الخطب الملكية ٥٣/٢ - ٥٤. نشر دار الملك عبد العزيز.

وهذا إدراك عميق لأثر العقيدة في ثبات الدول، ومصداق هذا كله قول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾^(١).

فانظر إلى هذا الوعد الربّاني بالاستخلاف في الأرض، والتمكين للدين الحقّ وأتباعه، وإسباغ الأمن في المجتمع، شرط تحقيق العبوديّة لله، وإبطال كل مظهر من مظاهر الشرك؛ ولهذا كان التطوّر الحضاري الذي لا يقيم وزنا للتوحيد مآله الإخفاق، وقد تنبّه لهذا الملك خالد-رحمه الله- حين قال: (إنّ علينا جميعا أن ندرك أن تطلّعنا إلى المزيد من التّقدّم والرّقي، يستلزم أوّل ما يستلزم التّمسك بالعقيدة الإسلاميّة الصّحيحة، والالتفاف حولها).

ويرشد إلى ضرورة البدء بها: (لا شكّ أنّ أوّل مراحل العمل أن نصلح ما بأنفسنا، وأن نلتزم بعقيدتنا، ولا شكّ أنّ ما ننشد من أمن ورخاء وسعة رزق أو اطمئنان لا بدّ أن يرتكز أوّلا وأخيرا على العقيدة السّميحة).

ويؤكد على الواجب التاريخي المناط بالأمة المحمّديّة في دعوة البشريّة إلى نور التّوحيد وإخراجهم من ظلمات الشرك والوثنيّة:

(لا شكّ أنّ من واجبنا أن نعمل بكلّ إخلاص على تحمّل دورنا التاريخي كأمة مسلمة نحو إنقاذ البشريّة من هاوية الضلال والشرك).

ويحدّد مكنم الداء الذي أدّى إلى تخلف الأمة وتكالب الأعداء عليها بسبب بعدها عن عقيدتها التي عزّ بها السلف الصّالح: (إنّ أمتنا الإسلاميّة تعيش حاضرها اليوم في ظلّ البعد عن ساحة الإسلام إلاّ من رحم الله، فكان أن اشتدّ عليها البلاء، وتغلّب عليها الخصم، وتكاثرت عليها الأمم، ولأنّ الأمة الإسلاميّة لم تغلب لضعف

(١) النور: الآية ٥٥.

في عددها وعدتها بل لأنها باعدت بينها وبين عقيدتها، ولم تتمسك بما صلح به أولها^(١).

إن ملكا ينطق بهذه الكلمات الذهبية ليحمل في أعماق نفسه هموم النهوض الحقيقي بركب الأمة، القائم أساسا على أعظم شيء دعا إليه الأنبياء المصلحون وهو نصره التوحيد وإبطال الشرك، ولهذا تراه دائما يؤكد على التوحيد وجلالة المسؤولية المناطة بمن شرفهم الله بخدمة الحرمين الشريفين - منبع التوحيد والشريعة: (علينا أن ندرك أيضا المسؤوليات الملقاة على عاتقنا داخليا بالتمسك بعقيدتنا، وإنني أسأل الله عز وجل أن يوفقنا إلى التمسك بعقيدتنا السمة، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وإذا كانت الأمم الإسلامية عليها مسؤوليات كبيرة تجاه العقيدة الإسلامية فإن مسؤوليتنا أكبر حيث قد شرفنا الله بخدمة الحرمين الشريفين)^(٢).

إن المرء ليمكنه القول بكل ثقة أن خالدًا -رحمه الله- كان ملكا حكيما، وداعية إلى التوحيد بصيرا، فلا جرم أن كتب الله له حُسن الذكر، شأن كل من رفع راية التوحيد قديما وحديثا.

ولم ينس -رحمه الله- مع الدعوة إلى التوحيد أن يهتم بالدعوة إلى الشريعة تحكيما لها في سياسة الشعوب، وتطبيقا لأحكامها وآدابها في النفوس، ومن أعظم ما اشتهر به في أوساط الناس محافظته الشديدة على الصلاة وأدائها في أوقاتها مع الجماعات، يشهد به المقربون منه يقول الشيخ ناصر الشثري: (كان الملك خالد محافظا على أداء الصلوات في أوقاتها جماعة، وتأدية الفروض والسُنن، حتى إنه كان محافظا على صلاة الشفع والوتر لا يتركها في أي ظرف)^(٣).

(١) جريدة أم القرى العدد ٢٧٩٠.

(٢) جريدة أم القرى العدد ٢٧٩٠.

(٣) ذكريات خالدة، مجلة الحرس الوطني، العدد ١٠، ص ٢٠١.

ولم يعهد عنه مطلقاً تأخّر عن صلاة الفجر في الحضر، ولورعه وتقواه وحرصه على حضور الفريضة المهمة جماعةً كان يضع أكثر من منبه لتوكيد صحوته مع أذان الفجر^(١).

إنّ حباً للصلاة تنطوي عليه نفس هذا الملك الحكيم لجديرة أن تحمله على دعوة الناس إليها، والحثّ المتكرّر على المحافظة عليها: (إنّ من أهمّ ما يجب القيام به والتذكّر فيه: الصلاة، فهي عماد الدّين ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع، فيجب المحافظة عليها في أوقاتها مع جماعة المسلمين وملاحظة ذلك في أنفسنا وأبنائنا وأهلينا فقد قال جلّ وعلا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلنَّاقِثِينَ﴾^(٢) (٢).

وهكذا الدّاعية الصّادق لا يفتأ يذكر الأقربين والأبعدين بهذه العبادة الجليلة التي كانت قرّة عين سيّد الدّعاة وإمام المتّقين محمد ﷺ، الذي كان يأمر مؤذنه بلالاً رضي الله عنه أن يعجل بها لتحظى نفسه وأصحابه الكرام بالراحة النّفسيّة والسّكينة الإيمانيّة فيقول له: (يا بلال أقم الصّلاة أرحنا بها)^(٤).

ولما كانت المساجد المكان الذي تؤدّى فيه الصّلاة، وأهمّ منبر من منابر الدّعوة إلى الله تعالى، أقبل الملك خالد -رحمه الله- بكلّ حبّ وصدق على بناء عدد كثير من المساجد داخل المملكة وخارجها.

يقول الشّيخ ناصر الشّثري: (كان مكثراً في تبني الأعمال الخيريّة، وبناء المساجد داخل المملكة أو خارجها؛ عن طريق الأفراد أو الجمعيات، أو المراكز الإسلاميّة)^(٥).

(١) سيرة ملك ونهضة مملكة لأحمد بن زيد الدّعجاني ص ٨٢.

(٢) طه: الآية ١٣٢

(٣) جريدة أمّ القرى، العدد ٢٨٥٣، ص ١

(٤) أخرجه أبو داود رقم: ٤٩٨٥، كتاب الصّلاة، باب في صلاة العتمة، وصحّحه الألباني كما في صحيح

الجامع الصّغير رقم: ٧٨٩٢.

(٥) ذكريات خالدة، مجلّة الحرس الوطني، العدد ١٠، ص ٢.

ومن جملة ذلك الجامع الكبير بمدينة عنيزة وهو جامع كبير يقع في وسطها، وقد كان مبنياً من الطين، ثم هدم وأعيد بناؤه على نفقة الملك خالد^(١) -رحمه الله. كما أمر -رحمه الله- بصرف ستين مليون ريال لبناء وترميم المساجد في الجهات المحتاجة إلى ذلك بالداخل، وفي هذا كله دلالة على اهتمامه الكبير بهذا الجانب^(٢).

ولست أشك أن هذا الجود والإكثار في بناء بيوت الله عز وجل وراءه نفس صالحة أدرك صاحبها الثواب العظيم المرجو من هذا العمل الجليل. بإذن الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)^(٣).

لقد تميّزت مملكتنا الحبيبة في جميع ربوعها بكثرة مساجدها المرتفعة مناراتها في أفق السماء، معلنة يومياً راية التوحيد، داعية إلى الصلاة، مرغبة في الفوز والفلاح. ولا يدرك عظمة هذه النعمة إلا من ارتحل وشاهد البلدان، وعان بنفسه قلة ما فيها من مساجد، حينها يرفع يديه داعياً لمؤسس المملكة وأولاده الملوك الميامين الذين بذلوا جهوداً جبّارة حتى صارت المساجد بهذه الكثرة التي يفرح لها المؤمنون.

ومن دلائل فطنة الملك خالد -رحمه الله- في جانب الدعوة استغلاله للصروح العلميّة. وفي مقدّماتها الجامعات. لإنشاء ما يمكن أن يساعد في نشر الدعوة، وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من النخبة العلميّة من شباب هذا البلد المعطاء،

(١) نماذج من جهود حكومة المملكة العربيّة السّعوديّة في بناء المساجد داخل المملكة ص ٢٠، طبع وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد.

(٢) جريدة أمّ القرى، العدد ٢٩٢٤، ص ١.

(٣) أخرجه البخاري رقم: ٤٣٩، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، ومسلم رقم: ٥٣٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحثّ عليها، من حديث عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

ويتجلى هذا مع جامعة أمّ القرى التي أنشئت في عهده الميمون، وصدر مرسوم ملكي بالموافقة على نظامها بتاريخ ٢٨/٩/١٤٠١هـ، وحظيت الجامعة منذ ذلك الحين بدعم الملك مادياً ومعنوياً، وتولّى رئاستها الفخرية^(١).

وتعدّ جامعة أمّ القرى من الجامعات التي أنشأتها الدولة في عهد الملك خالد- رحمه الله- بهدف خدمة الإسلام، وإعداد جيل من الشباب المسلم المتسلح بسلاح العلم في تخصصات الدراسات الإسلامية والدعوية والتربوية وغيرها من العلوم، والنّاظر في كليّاتها يتجلى له الأمر بوضوح وهي: كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية، كليّة التربية، كليّة العلوم التطبيقية، كليّة الدعوة وأصول الدين، كليّة اللغة العربية، كليّة العلوم الاجتماعية، كليّة العلوم الزراعيّة.

إنّ اجتماع هذه الكليّات في صرح جامعة أمّ القرى كان المقصود منه تخريج أجيال واعية متسلحة بعلوم شرعية تصحّح لها دينها، وعلوم دنيوية تكفيها. بإذن الله. أمر معاشها، ويتجلى في الجامعة الجانب الدعوي أكثر من خلال ما يلي:

١. كليّة الدعوة وأصول الدين:

وهي صرح علمي دعوي يسعى إلى المحافظة على كتاب الله تعالى تلاوة وحفظاً وفهماً، وفهم الأصول الإسلامية تفسيراً وحديثاً وعقيدة، وإبراز عظمة الإسلام دعوة وإعلاماً بمجالاته المختلفة^(٢).

٢. أقسام ومراكز الدراسات العليا بكليّات الجامعة:

وهي أقسام علمية دقيقة تعمق من ثقافة منتسبيها، وقد تخرّج منها دعاة بارزون في ميادينهم التي يعملون بها.

(١) دليل القبول نشرة أصدرتها جامعة أمّ القرى عام ١٤٢٣هـ، ص ٢-٣.

(٢) الملك عبد العزيز والتعليم ص ٤٨٨ لعبد الله أبورأس والديب.

٣. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي:

أنشئ هذا المركز في جامعة أمّ القرى عام ١٣٩٦هـ، ومن أهدافه:

- ١ - جمع التراث الإسلامي المخطوط، وتيسير الاطلاع عليه للباحثين، واختيار المناسب لكتابة أطروحات علمية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه.
- ٢ - التعاون مع العاملين في تحقيق التراث في العالم الإسلامي بتبني إنتاجهم ونشره.

٣ - التعاون مع المراكز والمؤسسات المماثلة في نشر الموسوعات وتحقيق التراث.

٤ - إعداد الكفاءات العلمية المتخصصة في مجال التراث.

٥ - نشر البحوث العلمية الأصيلة.

٦ - إتاحة الفرصة للأساتذة الذين يتفرغون للبحث العلمي.

٧ - اختيار الموضوعات التي تعالج مشكلات العصر وطرحها للباحثين.

٨ - دراسة أحوال الأقليات المسلمة في العالم.

٩ - دراسة العالم الإسلامي دراسة علمية تقوم على الإحصاء.

فكلّ هذه الأهداف والغايات تصبّ في مصلحة الدعوة الإسلامية ونشر العلم الصحيح في الأوساط العلمية والدعوية.

وقد كان لهذا المركز نشاطات كثيرة برزت من خلال طباعته للكثير من كتب التراث الإسلامي منذ تأسيسه^(١).

٤. مركز أبحاث الحج:

أنشئ هذا المركز عام ١٣٩٥هـ لإجراء دراسات علمية دقيقة تقترح الحلول

(١) دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربيّة ص ٢٣٤.

المناسبة للمشكلات التّظيميّة الناجمة عن أداء عدد هائل من الحجّاج في موسم الحجّ، كما يهتمّ بالنّواحي الهندسيّة والبيئيّة والبيولوجيّة لتقييم الأضاحي، ويعنى بتسجيل المعلومات وتبويبها. وقد صار هذا المركز تابعا لجامعة أمّ القرى اعتبارا من بداية عام ١٤٠٣هـ^(١)، ويعرف الآن باسم معهد خادم الحرمين الشّريفين لأبحاث الحجّ، ومركزه الرّئيس في مكّة المكرّمة، وله فرع في المدينة المنورة.

٥. المركز العالمي للتّعليم الإسلامي:

وأُسند الإشراف عليه عام ١٤٠١هـ إلى جامعة أمّ القرى، وهو يقوم بدور تربوي هامّ، ويصدر كثيرا من البحوث العلميّة، وله نشرة شهرية تعنى بأخباره، ومجلة علميّة تنشر أبحاثا أكاديميّة في مجال التّربية والتّعليم في البلاد الإسلاميّة.

٦. معهد اللّغة العربيّة:

أنشئ عام ١٣٩٥هـ باسم مركز اللّغة العربيّة، ثمّ تحوّل إلى معهد عام ١٤٠٠هـ، وهو مؤسّسة علميّة تهدف إلى تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، وتخرج معلّمين لتدريس هذه اللّغة لغير أبنائها، كما يقوم المعهد بإعداد الطّلاب من غير النّاطقين بالعربيّة تمهيدا لالتحاقهم بإحدى كليّات الجامعة^(٢).

٧. الإصدارات العلميّة:

وتصدر مختلف الجهات في جامعة أمّ القرى العديد من الإصدارات منها:

١. مجلّة كليّة الشّريعة والدراسات الإسلاميّة.

٢. مجلّة ثمرات الإيمان.

٣. مجلّة كليّة الدّعوة وأصول الدّين.

(١) المصدر نفسه ص ٣٣٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٧ - ٣٣٩.

٤ . مجلة الإعلام الإسلامي .

٥ . مجلة المركز العالمي للتعليم الإسلامي^(١) .

وجميعها مجلات دعوية تزيد من ثقافة الداعية .

إنَّ كلَّ ما سبق عن جامعة أمّ القرى ليؤكّد دورها البارز منذ تأسيسها في عهد الملك خالد -رحمه الله- في مجال الدّعوة، وعظيم الدّعم الذي لقيته من ولاية هذه البلاد المباركة، فلا جرم أن أتت أكلها، وأينعت ثمارها، وزاد نطاق الدّعوة زيادة فرح لها المسلمون داخل المملكة وخارجها .

صروح مشهورة في مجال الدّعوة:

ويقف إلى جانب الجامعة وملحقاتها جهات أخرى كان لها دور بارز - ولا يزال - في توسيع نطاق الدّعوة إلى الله تعالى نذكر منها:

١ . الجمعيات الخيرية:

أدركت المملكة أهمية الجمعيات الخيرية ودورها في الدّعوة إلى الله تعالى، كونها دليل تكافل المجتمع، وعلامة تعاون أخوي، ومواساة اجتماعية عظيمة الأثر في النّفس . فأسهمت الدّولة في إنشاء تلك الجمعيات، وبذلت تبرّعات سخية لها، وحثّ أهل الخير في المملكة على إنشاء المزيد لتعمّ المدن والقرى .

وشهد عهد الملك خالد -رحمه الله- إنشاء الكثير من الجمعيات التعاونية والخيرية بلغت قرابة السّتين، وأربعة وأربعين جمعية خيرية في جميع مناطق المملكة .

وفيما يلي بيان لبعض الجمعيات الخيرية التي أنشئت في عهد الملك خالد في

بعض مدن المملكة:

(١) الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية ص ٩٩ - ١٠٠ للسّدلان .

- ١ - جمعيّة البرّ بالشرقيّة ٢٤ / ٦ / ١٣٩٧هـ.
- ٢ - الجمعيّة الخيريّة بمكّة المكرّمة ١٦ / ٨ / ١٣٩٧هـ.
- ٣ - جمعيّة طبيبة النّسائيّة ١٧ / ٥ / ١٣٩٨هـ.
- ٤ - الجمعيّة النّسائيّة بالدّمام ٩ / ٨ / ١٣٩٨هـ.
- ٥ - جمعيّة البرّ بمكّة المكرّمة ٢٣ / ٤ / ١٣٩٩هـ.
- ٦ - الجمعيّة الخيريّة بجازان ١٠ / ٥ / ١٣٩٩هـ.
- ٧ - جمعيّة البرّ بالأحساء ٢٤ / ٦ / ١٣٩٩هـ.
- ٨ - الجمعيّة الخيريّة بحائل ٢٩ / ١١ / ١٣٩٩هـ.
- ٩ - الجمعيّة الخيريّة للخدمات بنجران ١ / ٥ / ١٤٠٠هـ.
- ٩ - جمعيّة البرّ ببريدة ٢٤ / ٩ / ١٤٠٠هـ.
- ١٠ - جمعيّة الملك عبد العزيز بتبوك ١١ / ٣ / ١٤٠١هـ.
- ١١ - جمعيّة البرّ بالباحة ٢٤ / ٢ / ١٤٠٢هـ.
- ١٢ - الجمعيّة الخيريّة الصّالحيّة بعنيزة ٢٠ / ٤ / ١٤٠٢هـ.
- ١٣ - جمعيّة الجنوب النّسائيّة بأبها ٢٩ / ٥ / ١٤٠٢هـ.
- ١٤ - جمعيّة القرّيّات الخيريّة ٢ / ٨ / ١٤٠٢هـ^(١).

وكّلها جمعيّات تسدي خدمات اجتماعيّة جليّة تحقيقا لمبدأ التّكافل في الإسلام، ممّا زاد المستفيدين منها حبّا لهذا الدّين، وشجّعهم على الثّبات على مبادئه الشرعيّة، وهكذا شأن الإحسان يعمل في النّفس ما لا تعمله كلمات وكلمات، وقد نال

(١) سيرة ملك ونهضة مملكة لأحمد بن زيد الدّعاجي ص ٢٣٥-٢٣٦.

الملك خالد-رحمه الله- من حبّ النَّاسِ جرّاء هذا الإحسان المقرون بالعدل والتّدين حبّهم العظيم وثناءهم الجميل، وأقول أنا: ما أحرّاه-رحمه الله- بما قاله الشّاعر في ممدوحه:

لقد بسَطَ الإحسانَ والعدْلَ في الأرض

إمامٌ بحكم الله في خلقه يقْضي^(١)

٢. رابطة العالم الإسلامي:

أنشئ هذا الصّرح الدّعوي العملاق في بلد الله الحرام مكة المكرمة ١٤ ذي الحجّة عام ١٣٨١هـ، وهي منظمة إسلامية سياسية واجتماعية تهدف إلى تبليغ دعوة الإسلام، والدّفاع عن المسلمين، والحفاظ على هويّتهم خاصّة في البلاد التي يُعدّون فيها أقلّيّة^(٢).

وقد كان للمملكة العربيّة السّعوديّة دورها البارز في تأسيسها ودعمها وتطويرها وإظهار نشاطاتها بشكل ملحوظ.

وفيما يلي بيان لتطوّر الرّابطة ونماذج من نشاطاتها الدّعوية في عهد الملك خالد-رحمه الله-تعالى:

١. أجهزة الرّابطة التّنظيميّة التي نشأت في عهد الملك خالد:

كانت الرّابطة تتكوّن من ثلاثة أجهزة تنظيمية قبل عهد الملك خالد هي: المؤتمر الإسلامي العامّ، والمجلس التأسيسي، والأمانة العامّة^(٣)، ثم أضيف إلى ذلك جهاز رابع في عهد الملك خالد هو المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وهو من الهيئات الرّئيسيّة التي تعمل تحت مظلة الرّابطة، حيث تمّ تشكيله بناء على قرار مؤتمر

(١) ديوان عماد الدّين الأصبهاني ٢٣١/١.

(٢) دور المملكة العربيّة السّعوديّة في إنشاء المنظّمات الإسلاميّة ورعايتها ص ٢٢-٢٤.

(٣) المنظّمات الدّوليّة الإسلاميّة والتّظيم الدّولي ص ٣٨٨ للجويبر.

رسالة المسجد الذي انعقد بمكة المكرمة في ١٥ رمضان ١٣٩٥هـ بدعوة من الرّابطة، ويتألّف هذا المجلس من هيئة تأسيسية يبلغ عدد أعضائها خمسة وخمسون عضواً يمثلون مختلف الشّعوب والأقليات الإسلاميّة في العالم؛ ومن أهداف هذا المجلس:

أ - تكوين رأي عامّ إسلامي في مختلف القضايا الإسلاميّة في ضوء الكتاب والسنة.

ب - حماية المساجد من كلّ اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها.

ج - المحافظة على الأوقاف الإسلاميّة.

د - تحقيق رسالة المسجد وإعادة دوره في نشر الإسلام.

هـ - العمل على حرّية الدّعوة إلى الله تعالى.

و - الدّفاع عن حقوق الأقليات الإسلاميّة.

وتنبثق من المجلس الأعلى العالمي للمساجد عدّة مجالس قارّية هي:

المجلس القارّي للمساجد في آسيا والمحيط الهادي، ومقرّه جاكارتا.

المجلس القارّي للمساجد في أوروبا، ومقرّه بروكسل.

المجلس القارّي للمساجد في أمريكا وكندا، ومقرّه أوتاوا بكندا.

المجلس القارّي للمساجد في أفريقيا، ومقرّه الخرطوم.

وتضمّ هذه المجالس القارّية عدداً من المجالس المحليّة للمساجد، وذلك لإيجاد صلة بين المجلس الأعلى العالمي للمساجد وكلّ مسجد في كلّ بقعة من بقاع الأرض.

وقد انبثق عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد صندوق خيري لمساعدة المساجد في العالم، وتتكوّن ميزانية هذا الصندوق أساساً من تبرّع حكومة المملكة، وينفق الصندوق (٢٥) مليون ريال سنويّاً لبناء وصيانة وترميم المساجد في العالم^(١).

(١) نفس المصدر ص ٣٩١ - ٣٩٣.

وقد سارعت المملكة - بقيادة الملك خالد - إلى دعم هذا المجلس العالمي حرصاً منها على دعم كل ما له صلة بالدعوة الإسلامية، ويقدم خدمة للإسلام والمسلمين.

مرحلة التنظيم الإداري للرابطة عام ١٣٩٨هـ:

حصل تنظيم إداري جديد للرابطة في عهد الملك خالد - رحمه الله - عام ١٣٩٨هـ لتكون في مستوى المستجدات والتطورات التي حدثت في ذلك العصر؛ وكان من أهم تلك الإدارات: إدارة الأقليات الإسلامية، وإدارة تحفيظ ونشر القرآن الكريم وعلومه، وإدارة المجمع الفقهي الإسلامي، وإدارة المنظمات الإسلامية والحركات الهدامة المعادية للإسلام^(١).

وفي ذلك دلالة واضحة على حجم العمل الدعوي المكثف الذي تميّز به عهد الملك خالد - رحمه الله عليه - من خلال هذا الصرح العملاق رابطة العالم الإسلامي.

نشاطات الرابطة الدعوية في عهد الملك خالد:

نصّ ميثاق الرابطة على أهدافه الأساسية ومنها:

أ - تبليغ دعوة الإسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات عنه.

ب - التصدي للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم، وتشيتيت شملهم، وتمزيق وحدتهم.

ج - الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحلّ مشاكلهم.

وقد آلت الرابطة على نفسها أن تحقّق هذه الأهداف النبيلة منذ تأسيسها، وكان عهد الملك خالد - رحمه الله - من الفترات التي ظهرت فيها نشاطات الرابطة وتنوّعت وشملت أجزاء عديدة من دول العالم،

(١) نفس المصدر ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

ومن جملة تلك النشاطات الدعوية:

أ. عقد الدورات التدريبية للأئمة والدعاة:

ومن تلك الدورات التي أقامتها الرابطة في عهد الملك خالد ما يلي:

دورة جاكرتا ١٣٩٨هـ، وسراييفو ١٤٠٠هـ، وجاكرتا ١٤٠١هـ.

ب. الاهتمام بالمساجد:

إنشاء لصروحها، وإحياء لرسالتها التعليمية والدعوية.

ت. العناية بالقرآن الكريم:

تحفيظا وتجويدا وطباعة وترجمة وتوزيعا وتعلّما، وإيفادا لحفظه كتاب الله

إلى بلدان أفريقيا وآسيا لتعليم أبناء المسلمين كتاب ربهم.

ث. توزيع الكتب الإسلامية:

على مستوى الأفراد، والجمعيات، والمنظمات، والمراكز الإسلامية في العالم،

مما يساهم في نشر الثقافة الإسلامية، وترسيخ العقيدة الصحيحة لدى المسلمين.

ح. تقديم المنح الدراسية:

لأبناء المسلمين ليتضلّعوا من العلوم الشرعية، ويفيدوا بعد تخرّجهم بلدانهم

دعوة وتعلّما.

ح. تنسيق جهود العاملين في مجال الدعوة:

بعقد المؤتمرات الدعوية التي تجمع العلماء والدعاة في ربوع العالم.

ومن المؤتمرات التي عقدت في هذا الشأن:

١. المؤتمر الإسلامي الأفريقي الأول في موريتانيا عام ١٣٩٦هـ.

٢. المؤتمر الإسلامي لأمريكا الشماليّة في نيوجرسي عام ١٣٩٧هـ.

٣. المؤتمر الإسلامي الآسيوي الأوّل بكراتشي عام ١٣٩٨هـ.

وتبعته بعد ذلك مؤتمرات كثيرة جدًّا.

خ. الاستفادة من وسائل الإعلام:

تميّز عهد الملك خالد - رحمه الله - بنقلة نوعيّة بلغت فيها التّقنية العالميّة مستوى رفيعا من الفاعلين والتّطوّر، وصار جهاز الحاسب عنصرا أساسيا في معظم مجالات الحياة^(١)، وقد سهّل ذلك كلّ استفادةً مثلى من أحدث ما عرفته هذه التّقنية في مجال الدّعوة، واشتدّ عضد هذه الوسائل الحديثة بالدّوريات والمجلّات مثل مجلّة رابطة العالم الإسلامي، وجريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعيّة، ومجلّة رسالة المسجد، والكتاب الشهري دعوة الحقّ...

د. الدّعوة إلى تطبيق الشّريعة الإسلاميّة:

اهتمّت الرّابطة منذ نشأتها بدعوة الدّول الإسلاميّة إلى تطبيق الشّريعة، وقامت بعرض ذلك في العديد من المؤتمرات التي عقدتها مثل مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد عام ١٣٩٥هـ، ودورات المجلس الأعلى العالمي للمساجد عام ١٣٩٦هـ وعام ١٣٩٧هـ. وفي كلّ هذه المؤتمرات والدّورات توصي بمطالبة حكومات البلاد الإسلاميّة بتحكيم الشّريعة، وتطبيقها في جميع أمور الدّين والدّنيا، وإدخال مادّة الفقه الإسلامي في كليّات الحقوق والتّجارة والإدارة، وتنقية الكتب التي تتناول أحكام الشّريعة الإسلاميّة ممّا علق بها من شوائب^(٢).

وقد انتهجت الرّابطة في دعوتها أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة كما هو منهج

(١) هذه بلادنا، الإصدار الأوّل لوزارة الإعلام بالمملكة العربيّة السّعوديّة في عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) جريدة أخبار العالم الإسلامي ع ١٠٣٨٤.

الإسلام: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١)، وقد هيأت الأوضاع المناسبة التي من شأنها حث الحكومات الإسلامية على الأخذ بتوصيات الرابطة في شأن تطبيق الشريعة الإسلامية^(٢).

فهذا خلاصة ما يتعلق بجهود الملك خالد -رحمه الله- في مجال خدمة الدعوة إلى الله تعالى داخلياً، وهي جهود مباركة تدل على مدى انتشار التدبير الصحيح في ربوع المملكة الحبيبية، وعلو مظاهر الشريعة في المجتمع، فضلاً عن الله ونعمة على هذا الملك الصالح الذي حقق الصلاح في نفسه فحقق الله له الصلاح في رعيته.

جهود الملك خالد -رحمه الله- في خدمة الدعوة في الخارج

كان لزاماً بعد تأصل الدعوة داخلياً أن يكون لها أثر في الخارج، تماماً كما فعل سيد الدعاة محمد رسول الله ﷺ، الذي حقق الدعوة في ربوع الجزيرة العربية، وبعدها راسل ملوك الأرض، داعياً لهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وخلع الأوثان والأصنام، وإبطال الشرك. وعلى ذلك سار خلفاؤه الراشدون الذين أرسلوا الصحابة الكرام داعين إلى الله، شارحين - بحكمة ولين - دين الإسلام، مبينين عظمتهم بسمو أخلاقهم، ورفيع أعمالهم، وحسن بيانهم، فدخل الشعوب والأمم في دين الله أفواجا، مختارين غير مكرهين، ووجدوا في هذا الدين الكريم سعادة أرواحهم، واطمئنان نفوسهم. وهكذا خلفاء الإسلام وملوكه بعد الصحابة درجوا على هذا المنوال في دعوة الأمم دعوة قوامها التوحيد، وميدانها الشريعة، وأسلوبها الحكمة، فتحقق لهم نجاح باهر ما زالت دواوين الكتب شاهدة على ذلك. ومرّت بعد ذلك قرون خفت فيها دعوة التوحيد كما هي سنة البشر في النسيان مع التّقدم، ومن أجل ذلك كان الله تعالى يرسل نبياً تلو نبيّ يذكر الناس ما نسوه من عبادة الله

(١) النحل: الآية ١٢٥.

(٢) الإسلام في السياسة الخارجية السعودية ص ١٤٠ للصويغ.

وحده وينهاهم عمّا ولج إليهم من شرك، ولما كان محمّد ﷺ خاتم النبيين ولا نبي بعده فإنّ المصلحين دعاة التوحيد قاموا بعده بوظيفة الدعوة جيلا بعد جيل من لدن الصحابة إلى يوم الناس هذا، وعرف التاريخ دعاة مصلحين بذلوا أعمارهم في توضيح الطريق الصحيح، وحذروا من كلّ دخيل شوه جمال الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا، ومن هؤلاء في القرن الثاني عشر شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب النجدي التميمي الذي يسّر الله له الالتقاء بقائد محنك هو الإمام محمّد بن سعود، وكان ذلك اللقاء عام ١١٥٧هـ، اتفقا فيه على القيام بواجب الدعوة وفق منهج قام على ثلاثة أصول هي:

١ - تصحيح العقيدة وتجريدها ممّا علق بها من بدع وخرافات، مع إفراد الله تعالى وحده بكلّ أنواع العبادة.

٢ - تحكيم شرع الله والالتزام بمنهج الإسلام في شؤون الحياة.

٣ - القيام بواجب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذا هو لبّ الدعوة السلفية التي درج عليها الصحابة والتابعون^(١).

لقد واجهت هذه الدعوة المباركة في البداية رفضا من أعلام درجوا على التقليد، وتعودوا على رفض كلّ جديد يدعوهم إلى التفكير والإصلاح، ونبزوا دعوة التوحيد بألقاب قصدوا منها التنفير كالوهّابية والسلفية^(٢) والدين الجديد ونحو ذلك، كما فعلوا مع شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة العلم والهدى، رغم أنّ مضمون هذه

(١) الدعوة الإصلاحية ص ١٨٤ لمحمّد الشثري.

(٢) نشير هنا أنّ السلفية لا تطلق على فترة أو مرحلة من الزمن، ولكنّها تطلق على منهج ربّاني نبويّ

الترم به أهل القرون الخيرة المفضلة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان علما وعملا قولاً وفعلاً

وتصرّفا سلوكا ومنهجيا، ينظر حوار مطوّل عن السلفية وأنها ليست مرحلة زمنية انقضت. رقم: ٣٤

للمؤلف.

الدعوة الإصلاحية الرجوع إلى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً.

يقول مؤسس المملكة الملك عبد العزيز آل سعود-رحمه الله-: (يسمونا بالوهَّابيين، ويسمّون مذهبنا بالوهَّابي، باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض.. نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهَّاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح، نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا)^(١).

وهذا وضوح في الرؤية سديد، وبيان ناصع للسبيل المنتهج قائم على البصيرة والعلم، وفي القرآن الكريم حث على مثل هذا الوضوح والدارية: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسَجَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، وعلى هذا الدرب سارت المملكة العربية السعودية حاملة راية التوحيد، داعية إلى الله وشريعته، منتهجة الحكمة واللين والبصيرة، مذكرة بأن الاستمسك بالإسلام هو السبيل الصحيح المنقذ للبشرية ممّا تعانیه، وفي هذا قال الملك خالد-رحمه الله-:

(حين تعلق كلمة الله، وحيث يصير الحق هو القاعدة الأساس التي تحكم فإن العالم سيعيش السلام الحقيقي الذي عاشه في عصور الإسلام الزاهية التي لم يشهد لها العالم نظيراً أو مثيلاً حتى اليوم)^(٣).

إن على الأمم أن تطمئن ولا تتوجس خيفة من هذا الدين الحق الذي ارتضاه

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص ٢١٧ للزركلي.

(٢) يوسف: الآية ١٠٨.

(٣) مختارات من الخطب الملكية ٨٠/٢ نشر دار الملك عبد العزيز.

الله لعباده، وتعلم أنها غير خاسرة شيئاً لو اتخذته منهج حياة، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ النَّسَاءِ ﴾^(١)، فهم لا يخسرون شيئاً بل سعادتهم تكمن في دخولهم الإسلام وعبادة الله وحده دون سائر الأوثان.

قال ابن كثير - شارحا الآية: (أي شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحميدة، وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله، رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن يحسن عمله)^(٢).

وقد تنبّه لهذا الملك خالد - رحمه الله - فقال:

(إننا نعلن من هذا المكان الطاهر المبارك أنّ صحوة الإسلام ليست خطراً على أحد، بل بشرى بمجتمع جديد يؤمن للإنسان المسلم تطلّعاته إلى الحياة الكريمة التي تليق بالكرامة الإنسانية، ويحقق للبشرية ما تصبو إليه من أمن وسلام وتقدّم)^(٣).

ومن أجل ذلك عقدت المملكة في عهده الميمون علاقات جيدة مع دول العالم، حققت بها حسناً في الجوار، وتبادلاً في الزيارات والهدايا، وبدأنا نرى الإسلام يدخل رويدا رويدا مدناً أوروبية مثل جنيف وبروكسل ولندن وغيرها، وأدركت أمم أوروبا سماحة الإسلام الذي ترفع المملكة العربية السعودية شعاره، وحين انقضت زيارة الملك خالد - رحمه الله - لمدينة بروكسل عاصمة بلجيكا صدر قرار ملكي بلجيكي يقضي بالاعتراف الرسمي بالتعليم الإسلامي في بلجيكا، لتكون بلجيكا أول دولة أوروبية تعترف بالديانة الإسلامية على قدم المساواة مع الديانات الأخرى^(٤)، وهذا من أعظم التوفيق الذي أكرم الله به هذه المملكة بقيادة الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود الذي صرح بثقة العالم بالمملكة وإدراك ساسته صدقها

(١) النساء: الآية ٣٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٤٩٨.

(٣) جريدة أم القرى العدد ٢٨٥٣.

(٤) سيرة ملك ونهضة مملكة لأحمد بن زيد الدعجاني ص ٣٢٩.

وأمانتها ووضوح معالم سياستها، وقد عبّر عن ذلك صادقا حيث قال: (أصبحت بلادنا بفضل من الله عزيزة الجانب قويّة البنيان لها أثرها وتأثيرها في مجريات قضايا الأسرة الدوليّة باعتبار أنّ كلمتنا تعتمد الصدق والأمانة قولاً وعملاً، الأمر الذي أكسبنا ثقة الأمة العربيّة والإسلاميّة خاصّة، والمجتمع الدولي بصفة عامّة، لأننا نسلك في سياستنا طريقاً واضح المعالم، وهي سياسة تأخذ في اعتبارها نصره دين الله وعزّة الأمة الإسلاميّة وتأييد قضاياها والأخذ بجميع الأسباب وصولاً إلى غايتها النبيلة ليس من أجل سعادة ورخاء الإنسان السعودي فحسب بل وفي سبيل رخاء الأسرة الدوليّة، لهذا فإنّ بلادنا تعطي من ذاتها ما تراه ضروريّاً لحفظ أمن وسلام العالم مدرّكة مسؤوليّاتها تجاه المجتمع الإنساني وازدهاره)^(١).

٣. جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة:

وهي صرح علمي عملاق أولت الدعوة اهتماماً عظيماً، ولها جهود مباركة لا يتسع المقام لسردها هنا، وحسبنا الإشارة إلى تلك البادرة الناجحة في احتضان الدعوة إلى الله في بلدانهم من خلال معاهد علميّة في ستّ دول هي: الإمارات العربيّة المتّحدة، وموريتانيا، وجيبوتي، وإندونيسيا، واليابان، وأمريكا.

وفيما يلي تعريف موجز بهذه المعاهد:

١. معهد العلوم الإسلاميّة والعربيّة في رأس الخيمة بدولة الإمارات:

أسّس هذا المعهد عام ١٣٨٨هـ ليكون باكورة نشاط الجامعة خارج المملكة، وليتولّى توسيع قاعدة الفرص التعليميّة للراغبين في دراسة العلوم الشرعيّة وعلوم اللّغة العربيّة في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة وأبناء المسلمين المقيمين على أرضها.

٢. معهد العلوم الإسلاميّة والعربيّة في موريتانيا:

(١) مختارات من الخطب الملكيّة ٧٤/٢ نشر داره الملك عبد العزيز.

أنشئ في نواكشوط عاصمة موريتانيا عام ١٣٩٩هـ، ليتوسّع بعد ذلك بإضافة قسم للدراسات الجامعية عام ١٤٠٦هـ.

٣. معهد العلوم الإسلامية والعربية في جيبوتي:

افتتح عام ١٤٠١هـ ليسهم بدوره في تأهيل الدعاة إلى الله تعالى بتعليمهم اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

٤. معهد تعليم اللغة العربية في إندونيسيا:

افتتح عام ١٣٩٩هـ في جاكرتا، ويواصل تعليمه للغة العربية صباحا ومساء، وقد حقّق هذا المعهد نجاحا كبيرا في تعليم اللغة العربية، ونشر العلم الشرعي إلى الآلاف من المسلمين، وله نشاط واسع من خلال المحاضرات واللقاءات العلمية التي تعقد في أنحاء إندونيسيا.

وهذه المعاهد - وأخرى أنشئت في أمريكا واليابان بعد وفاة الملك خالد-رحمه الله- هي محاضن للدعاة إلى الله تعالى، وقّعت جامعة الإمام إلى إنشائها ودعمها. وهي في الحقيقة جزء من رسالة المملكة العربية السعودية في رعاية هذا الدين الحقّ والعناية بدعائه.

لقد وضع لنا جليّا عظمة الجهد الذي بذلته المملكة العربية السعودية في عهد الملك خالد-رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى من خلال تلك الصّروح الأنف ذكّرها، ويضاف إلى ذلك دعمها المتواصل للمراكز والجمعيات الإسلامية والمساجد في بلاد شتى نذكر منها - بلا فخر:

١. في قارة آسيا:

مسجد الملك فيصل في إسلام آباد، ومسجد الملك فيصل في الشارقة، ومركز الملك فهد الإسلامي في جزر المالديف، ومسجد خورفكان في الشارقة، ومسجد جامع

الحصم في البحرين... والمركز الإسلامي في طوكيو، والمركز الإسلامي الإندونيسي السعودي للدراسات والتنمية الإسلامية، وثلاثة مساجد في الصين في كل من تايبيه وتايجون وكاوتشونغ.

٢. القارة الأفريقية:

مسجد الملك فيصل في نجامينا بتشاد، ومسجد ومركز الملك فيصل في كوناكري بغينيا، ومسجد ياوندي بالعاصمة، ومسجد باموكومبالي، ومسجد التضامن الإسلامي في مقديشو، وأربعة مساجد أقيمت في المدن الرئيسية في الجابون، ومسجد يوغبا وتوغان في بوركينا فاسو، وجامع زنجبار بتنزانيا، والجامع الكبير بالسنغال...ومن أهم المراكز والمساجد التي أسهمت المملكة في إنشائها أيضا المركز الإسلامي في أبوجا بنيجيريا، والمركز الإسلامي الأفريقي في الخرطوم، ومسجد الأمير عبد القادر في الجزائر.

٣. القارة الأوروبية:

المركز الإسلامي في جنيف، والمركز الإسلامي الثقافي في بروكسل، والمركز الإسلامي في مدريد بإسبانيا، والمركز الإسلامي الثقافي في لندن، والمركز الإسلامي الثقافي في مدينة زغرب بيوغوسلافيا، والمركز الإسلامي في لشبونة بالبرتغال، والمركز الإسلامي في روما، والمركز الإسلامي في فيينا...

٤. القارة الأمريكية:

المركز الإسلامي في واشنطن، والمركز الإسلامي في نيويورك، ومسجد عمر بن الخطاب في لوس أنجلوس، ومسجد فرزنو بولاية كاليفورنيا، والمركز الإسلامي في بولدر بولاية كلورادو، والمركز الإسلامي لمدينة كولومبيا بولاية ميسوري، والمركز الثقافي الإسلامي في ضاحية هاريسون بنيويورك، والمركز الإسلامي بمدينة بتبدا بولاية ميرلاند، ومسجد جامع جنوب غرب شيكاغو، والمركز الإسلامي في توليدو

بولاية أوهايو، ومؤسسة دار السلام، والمركز الإسلامي في مدينة نيويورك ونزويك بوسط جرسى، ومسجد الجالية اللبنانية في شيكاغو، والمركز الإسلامي في مدينة إيست لانسج بولاية ميتشجان، والمركز الإسلامي في لوس أنجلوس بجنوب كاليفورنيا، والمركز الإسلامي بشمال فرجينيا. وفي كندا: المركز الإسلامي بمدينة تورنتو، والمركز الإسلامي في مدينة كيوبك، ومسجد أوتاوا، ومسجد كالغاري...

وفي البرازيل: المركز الإسلامي في برازيليا، والمركز الإسلامي الثقافى الخيري في فوزدو إيقوا سمو، والمركز الإسلامي في مدينة كامبيناس، ومسجد مدينة باراناغوبا، ومسجد جمعية لاجوس، ومسجد الجمعية الخيرية في مدينة ساو بالو، ومسجد مدينة سانتوس، ومسجد سانتومارو.

وفي الأرجنتين: المركز الإسلامي في بيونس آيرس، ومسجد مندوسابا.

٥. قارة أستراليا والجزر المحيطة بها:

الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية، والمركز الإسلامي في مدينة تونسفيل بولاية كونزيلاند، والمركز الإسلامي بنيوزيلندا، والمركز الإسلامي بجزر فيجي.

وللمملكة أعمال من دون ذلك تشهد بجهودها الدعوية الجليلة لإيصال الدعوة الإسلامية إلى ما تيسر من ربوع الأرض، قناعة منها بدورها المناط بها في مجال الدعوة، وهي مملكة الهداية التي فيها الحرمان الشريفان، ومنها انطلقت دعوة سيّد ولد عدنان ﷺ.

إنّ الملك خالد -رحمه الله- قد وفق إلى الجمع بين إدارة شؤون الحكم، والدعوة إلى الله تعالى داخلياً وخارجياً، والمتأمل في حياته يلاحظ أنّ الدعوة كانت هاجسه ولا تكاد تمرّ فرصة إلاّ وذكر بأهمّيتها:

(من أهمّ الأمور وأعظم الواجبات التي بها صلاح أمر الدنيا والآخرة التناصح في الله والدعوة إليه، والتواصي بالحقّ والصبر عليه، والتعاون على البرّ والتقوى

والتأمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر، وهذا هو سبيل السعادة والفلاح كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١). وقال النبي ﷺ: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان^(٢) (٣).

وبيّن أنها سبيل عزّ الدين ورفعته أهله:

(فلنسرع رحمكم الله بالرجوع إلى الله، وليفّش التناصح بيننا، ولنسلك سبيل الدعوة إلى الله، والطريق المستقيم، تصلح أحوالنا، وتستقم أمورنا، ويعزّ الدين وأهله، وينقشع الشرّ وحزبه)^(٤).

ومن سعة أفقه-رحمه الله- وحرصه على انتشار الخير تطلّعه الدائم إلى قيام الأفراد بواجبهم تجاه الدعوة إلى الله تعالى خاصة مع ما يسّره المولى من وسائل إعلامية حديثة تساعد حقاً على انتشار الدعوة:

(إن رسالة الإسلام رسالة إنسانية عالمية، لا تفريق فيها ولا تمييز، وإنني لأتطلع إلى مقبل الأعوام وقد قام كل فرد مسلم وكل عالم ومفكر إسلامي وكل قائد مسلم بواجبه في نشر هذه الرسالة الخالدة والتعريف بها. وقد هيأت لنا العلوم والثقافة والتقنية ووسائل الإعلام كلّ الإمكانيات والسبيل لإبلاغ هذه الرسالة، وعندها سنعيد للتاريخ عهداً من عهوده المجيدة المتوّجة بالحضارة الإسلامية حيث يحيا الإنسان في ظلّ السّلام والأمن والعدل والمساواة)^(٥).

(١) المائدة: الآية ٢.

(٢) أخرجه مسلم رقم: ٤٩، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، من حديث أبي

سعید الخدری رضي الله عنه.

(٣) جريدة أمّ القرى العدد ٢٦٠٣.

(٤) نفس المصدر العدد ٢٨٥٣.

(٥) نفس المصدر العدد ٢٨٥٤.

ومن عمقه في فهم الإسلام بيانه أن لب الدعوة الإسلامية هو تحقيق التوحيد ودحض الشرك، وذلك يعني عودة الإنسان إلى فطرته السليمة وخروجه من عبادة الإنسان إلى عبادة خالق الإنسان، وهذا هو الانتصار المظفر، وهذه هي الحرية الحقيقية، وما أسعد الإنسانية كافة بهذا لو وقفت إليه: (لم يكن انطلاق الدعوة إلى الله وإفراده بالعبودية والخلوص من الشرك والوثنية إلا انتصارا للإنسان والإنسانية ونقله لهما من مهاوي الذل إلى ذرى العزة؛ لأن الله تبارك وتعالى كرم هذا الإنسان ومنحه العقل الذي يميز به بين الغث والسمين، والصالح والطالح، فأراد له التفقه في الدين، والإمام بأصول الشريعة الإسلامية التي تحقق لكل معتقها العدالة والحرية والمساواة والمحبة والأخوة)^(١).

فهذا هو الملك خالد-رحمه الله- داعيا، وهذه بعض آثار المملكة الحبيبة. وهو قائدها. في نشر دعوة الإسلام الصحيحة في ربوع الأرض، وهذه ثمارها للعيان ظاهرة، فلا جرم أن أنعم الله على هذا البلد. الداعي إليه بولاته وعلمائه وأفراده. بنعم جزيلة، ومواهب عظيمة، أجلها اجتماع القلوب على عبادة الله وحده، والسير على هدي النبي محمد ﷺ، واتحاد في الكلمة، واستتباب في الأمن، وسعة في الرزق، وصدق الله القائل في كتابه الخالد: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾^(٢)، وهو ما نتمناه لكل الإنسانية حين تعود إلى رشدها، وتتخذ من شريعة السماء منهجا، ونور الإسلام منارا.

المبحث الخامس: جهوده في مجال العمل الإغاثي في الداخل والخارج.

حث دين الإسلام على رحمة الخلق عدّها سببا لنيل رحمة الخالق ففي الحديث

(١) نفس المصدر العدد ٢٦٠٣.

(٢) التور: الآية ٥٥.

النَّبوي: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّن فِي السَّمَاءِ)^(١)، وذلك يعني أنّ مسلوب الرّحمة لا يحظى برحمة الله وأعظم به من خسران، ولهذا جاء في حديث آخر: (من لا يرحم النَّاس لا يرحمه الله)^(٢).

وإنّ من أعظم مظاهر الرّحمة فزع المسلم لإغاثة النَّاس عند نزول المصائب، والتّخفيف عنهم بمواساتهم ومساعدتهم، ولا ريب أنّ ذلك من بدهيات الإسلام الذي يعتبر المسلمين جسدا واحدا إذا أصيب عضو منه بالحمى تأثرت بذلك سائر الأعضاء ففي الحديث عنه ﷺ: (مثل المؤمن في توأدهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى)^(٣).

فالحديث يدلّ على أنّ من صفات الإيمان التّوَادُّ والتّراحم والتّعاطف، ولا يكون ذلك إلاّ بتفقد أحوال النَّاس، والاهتمام بمعرفة احتياجاتهم، والسّؤال عن أخبارهم، وسرعة نجدتهم عند نزول البلاء بهم، ولا يكتفي الإسلام بذلك بل يحثّ أيضا على إدخال السّرور والبهجة والفرح على النفوس كما في قوله ﷺ:

(من أفضل الأعمال بعد الفرائض إدخال السّرور على المؤمن)^(٤).

وإنّ أعظم النَّاس قدرة على تطبيق هذا المبدأ الإسلامي الرّفيح وليّ أمر المسلمين الذي أنيطت به مسؤوليّة الرّعيّة، فهو يسعى جهده لتوفير حاجياتهم، وتيسير أمور

(١) أخرجه أبو داود رقم: ٤٩٤١، باب في الرّحمة، والتّرمذي رقم: ١٩٢٤، باب ما جاء في رحمة المسلمين،

من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قال التّرمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود رقم: ٤٩٤١، باب في الرّحمة، والتّرمذي رقم: ١٩٢٤، باب ما جاء في رحمة المسلمين،

من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قال التّرمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم رقم: ٢٥٨٦، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، من حديث

النّعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مرسلًا ابنُ وهب في الجامع رقم: ٢٥٤، والبيهقي في شعب الإيمان رقم: ٧٦٧٩، وله شاهد

يقوّيه، انظر سلسلة الأحاديث الصّحيحة للألباني رقم: ٢٢٩١.

معاشهم، وهو أول الناس بدارا في مواساة أهل المصائب، وإغاثة أهل النكبات؛ وقد جاء في السيرة النبوية أن أهل المدينة أصيبوا يوما بفرع شديد جرأ أمر حدث فكان أول المتفقدين له رسول الله ﷺ الذي امتطى حصانا سريعا لأحد الصحابة الكرام وقصد المكان قبل سائر الناس، ثم عاد إلى الناس وهم فزعون وطمأنهم وخفف عنهم حالهم^(١)، وهذا يؤكد أن العمل الإغاثي من صلب أخلاق الإسلام، وشيمه العظام.

(١) انظر القصة في صحيح البخاري رقم: ٢٤٨٤، وصحيح مسلم رقم: ٢٣٠٧.

المبحث الخامس: جهوده في مجال العمل الإغاثي في الداخل والخارج.

تعريف الإغاثة:

الإغاثة في عرف أهل اللغة: هي النصرة والعون على الفكك من الشدائد، يقال: أغاثته غوثًا وغياثًا إذا أعانه ونصره⁽¹⁾.

وتطلق الإغاثة في عصرنا الحاضر على الإعانة المادية العاجلة التي تقدمها الدولة للفقراء والمحتاجين والمشردين واللاجئين ومن أمت بهم جائحة أو كارثة طبيعية أو بيئية؛ كالجفاف أو الزلازل أو الفيضانات أو البراكين⁽²⁾..

وتتمثل هذه الإعانات في الغذاء، والكساء، والمسكن، والعلاج، والدواء، والإيواء...

وهو في الحقيقة أوسع نطاقًا من ذلك⁽³⁾ إذا لاحظنا مقاصد الإسلام في نصرة المنكوبين، وإعانة المصابين، حيث يفاثون ماديًا بما سبق، ومعنويًا بالدعاء لهم أن يحفظهم الله ويكلاهم وينصرهم على من ظلمهم.

إن المملكة العربية السعودية دولة ذات ريادة في العمل الإغاثي، وقد وفقت في عهد الملك خالد-رحمه الله- إلى إنشاء هيئة الإغاثة الإسلامية التي انبثقت من رابطة العالم الإسلامي، بموجب الموافقة الملكية السامية الكريمة رقم ٤٧٣٤ وتاريخ ٣٠ / ٢ / ١٣٩٩هـ، وقد أحاطتها المملكة برعايتها الكريمة وعنايتها الفاتحة.

(١) انظر تاج العروس ٣١٤/٥.

(٢) ينظر كتابنا المملكة العربية السعودية والعمل الإغاثي (حقائق وأرقام) ص ١١. نشير هنا أيضا إلى العمل الإغاثي الضخم الذي أمر به - هذه الأيام - خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - إلى أهالي غزّة جرّاء العدوان الظالم الذي اقترفته يد الصهاينة الأثمين.

(٣) للتوسّع في مبحث المنظور الشرعي للإغاثة يراجع كتابنا المملكة العربية السعودية والعمل الإغاثي ص ٣١ - ٢٤.

وقد اختطت هذه الهيئة لنفسها جملة أهداف نجملها فيما يلي:

١ - تقديم العون للمحتاجين شعوباً وجماعات حيثما وجدوا حين تحلّ بهم الكوارث في أنفسهم أو ممتلكاتهم.

٢ - تقديم ما يمكن أن يقي الناس - بإذن الله - شرّ الكوارث ويرفع من مستواهم عموماً بقصد الحفاظ على كياناتهم ووجودهم.

٣ - الاهتمام بالأقليات المسلمة وتنمية مجتمعاتهم بالتعليم وغيره.

٤ - تقديم الدعم المعنوي والمساعدات العينية والنقدية للفقراء والمعوزين من المسلمين.

٥ - تقديم الرعاية للفقراء من الأرامل والعجزة والأطفال والأيتام^(١).

٦ - إنشاء وإدارة المستشفيات والمستوصفات في المجتمعات المحتاجة إلى ذلك.

٧ - التنسيق والتعاون مع الهيئات الإسلامية العاملة في الإغاثة والهيئات العالمية الخيرية^(٢).

ويقع المقرّ الرئيس لهذه الهيئة بمكة المكرمة، ولها فروع إقليمية في معظم دول العالم تتولّى أهدافها^(٣).

وكعادة المملكة الكريمة في الدعم المادي والمعنوي - دون منّة أو شروط - فقد تولّت الإسهام بنسبة ١٠٠/٩٠ من ميزانية الهيئة^(٤).

(١) مجلّة الإغاثة، العدد ١٧.

(٢) انظر تاج العروس ٢١٤/٥.

(٣) انظر الإسلام في السياسة الخارجية السعودية للصّوغ ص ١٢٢.

(٤) انظر جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ص ٢٣٨.

ولتساع مجال الأعمال الخيريّة لهذه الهيئة من رعاية الأيتام والأرامل والمُعوزين، وإغاثة المصابين في الكوارث والحروب وغير ذلك، فقد هبّ المحسنون في المملكة العربيّة السّعوديّة وخارجها وقدموا ما يشكرون عليه ويؤجرون بإذن الله، وفاق دخل الهيئة دخل رابطة العالم الإسلامي عدّة أضعاف، ومكّنها ذلك - بفضل الله ثمّ دعم المسؤولين، ونشاط الشّباب المتطوّع من أبناء المملكة، وأطباء ومهندسين ورجال أعمال واقتصاد وإدارة، ممّن أسهموا بجهد واضح في التّخطيط والتّنفيد والإشراف على العمل الميداني في أكثر من مائة دولة - على الانتشار السّريع، وتلبية احتياجات المجتمعات الإسلاميّة المحتاجة بطريقة منظمّة وسريعة⁽¹⁾.

وتشرف على الهيئة لجنة شرعيّة تضمّ صفوة من خيرة العلماء بالمملكة، وتتكوّن من أجهزة متعدّدة يرأسها أمين عام، ولها مجلس إدارة يعتبر هو السّلطة العليا؛ ويضمّ خمسة عشر عضواً من المهتمّين بالعمل الإغاثي والإنساني من داخل المملكة وخارجها. وللهيئة نظام رقابي على الأموال والتبرّعات التي ترد من المتبرّعين، ولها عدّة قنوات لصرف الأمور والتبرّعات في تمويل مشاريعها في الدّول المستفيدة، ومتابعة تقويم الأداء في مختلف أنحاء العالم⁽²⁾.

مجالات العمل الإغاثي في عهد الملك خالد:

من المجالات الرّحية في العمل الإغاثي السّعي إلى حقن دماء المسلمين والصّح بين الأطراف المتنازعة التي تجرّ نزاعاتهم الحربيّة عادة إلى كوارث إنسانيّة، وقد كثّف الملك خالد - رحمه الله - جهوده الدّبلوماسية لوقف الحرب العراقيّة الإيرانيّة عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وطرحت المملكة في هذه الفترة مشروعاً رائداً يهدف إلى

(١) انظر إنجازات المملكة العربيّة السّعوديّة في خدمة الإسلام والمسلمين - المنظّمات الإسلاميّة لعبد الله بن عمر نصيف ص ٥٨.

(٢) انظر مجلّة الإغاثة، العدد ١٧، ص ١٧ - ٢٠.

تحقيق الأمن الجماعي لدول الخليج العربيّة، وناشدة المنظمات الدّولية لوقف هذه الحرب بين البلدين المسلمين الجارين.

كما سعى الملك خالد جاهاً لوقف الحرب الأهليّة في لبنان عام ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م بين مسلّحين فلسطينيّين ومسلّحين من حزب الكتائب اللّبناني، واستطاع بتوفيق الله - احتواء الأزمة انطلاقاً من أهداف سياسة المملكة الخارجيّة المتمثّلة في تعزيز التّضامن العربي، وشاركت المملكة في قوّات الرّدع العربيّة، كما شاركت في تمويل الميزانيّة الخاصّة بتلك القوّات، وكان لمرونة السياسة السّعوديّة وهدوتها ومصداقيتها وراء إعادة الأمن والسّلام للإخوة في لبنان.

كما وقف الملك خالد-رحمه الله- إلى جانب الشّعوب العربيّة والإسلاميّة من أجل نيل استقلالها الوطني، واستضاف عدداً من قادة حركات التّحرير المشروع، وقدم لهم الدّعم المادي والمعنوي لتحقيق أمنياتهم، واعترف المجتمع الدّولي بهم، كما حصل مع شعب كشمير في المطالبة بحقه، والعمل على وقف العدوان الأثيوبي على الصومال، واستنكار الغزو السّوفيتي لأراضي أفغانستان.

وللملك-رحمه الله- مواقف سياسية أخرى ناجحة كان من ثمراتها حقن دماء الأبرياء وتحقيق مصالحت بين المتحاربين والمنتازعين عادت بالفائدة على تلك الدّول بالتّوجّه للتّنمية والمضيّ قدماً في تحقيق الأمن والاستقرار.

أمّا جهود المملكة في عهد الملك خالد-رحمه الله- في مساندة الدّول المتضرّرة اقتصادياً فيتجلّى من خلال محورين هما:

المحور الأوّل:

تركز فيه الجهد على تقديم ما يلي:

١ - مساعدات عاجلة في الأزمات كالزلازل والجفاف والفيضانات:

ومن أمثلة ذلك:

أ. صرف مبلغ ٣٨٢ مليون ريال للمتضررين من الجفاف في أفريقيا عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ب. تقديم معونات عاجلة من المواد الطبيّة والغذائيّة والكسائيّة، ومبلغ خمسة ملايين دولار إسهاماً منه -رحمه الله- في التخفيف عن المتضررين من الفيضانات والسّيول في الصومال^(١).

ج. تقديم معونات عاجلة من الخيام والأغذية والأغطية والأكسية والموادّ الطبيّة لتوزيعها على المصابين والمتضررين من السّيول الجارفة التي اجتاحت بعض مناطق اليمن الشّقيق عام ١٤٠١هـ، ١٤٠٢هـ^(٢).

والأمثلة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها وهي تدلّ على شيم ملوك هذه الدّولة السّعوديّة المباركة التي تعوّدت على المبادرة إلى إغاثة شعوب العالم في نكباتهم، ومواساتهم في مصائبهم، وكان لهذا آثاراً حميدة في تحسين صورة الإسلام لدى الأمم الأخرى التي أثار الإعلام المتعصّب في عقولهم حتّى ارتسمت في أذهانهم صورة مشوّهة عن الإسلام والمسلمين، كانت لتبقى أمداً أطول لولا مثل هذه الأعمال الإغاثيّة المباركة التي تقوم بها المملكة قديماً وحديثاً.

٢. مساعدات دائمة مؤقّته بطبيعة ظروفها كجمع التبرّعات لمجاهدي فلسطين وأفغانستان، ومن ذلك مبلغ ١٨٤ مليون دولار للفلسطينيين عام ١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ.

٣. مساعدات على شكل قروض لتنمية الموارد البشريّة والاقتصاديّة وتأهيلها.

المحور الثاني:

تجسّد في الإسهامات الفاعلة في تأسيس منظمات إسلاميّة وعالميّة تحقّق أهدافاً

(١) جريدة أمّ القرى، العدد ٢٨٦٩، ص ١.

(٢) جريدة أمّ القرى، العدد ٢٨٦٩، ص ١، والعدد ٢٩١٢، ص ١.

نبيلة في عملية الإغاثة فمن ذلك:

١. منظمة المؤتمر الإسلامي ومقرها جدة:

ويقدم معونته عن طريق البنك الإسلامي للتنمية، وقد بدأ عمله في عهد الملك خالد-رحمه الله- عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، وجادت المملكة كعادتها وتبرعت عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م بمبلغ (٢٣,٧٠٠,٠٠٠) مليون ريال، ومن خلال هذه المنظمة ظهرت عدة مؤسسات عامّة في المجالات الاقتصادية والعلمية والثقافية، ساعدت على تنمية الدول الإسلامية.

٢. رابطة العالم الإسلامي:

وتقوم بتقديم الدعم المادي والمعنوي للمسلمين، ومقرها مكة المكرمة، وبلغ مجموع ما قدمته عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م (٣,٤٢٨,٠٠٠) مليون ريال، وانبتقت منها هيئة الإغاثة الإسلامية عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م في عهد الملك خالد الميمون، ولها دور فاعل في المساعدات الإنسانية.

٣. الصندوق السعودي للتنمية:

لا يخفى الأثر الريادي للصندوق السعودي للتنمية الذي مقره الرياض، وقد بلغ ما قدمه عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م (٢٠,٢٦٩,٣٨) مليون ريال من خلال القروض للدول النامية في أفريقيا وآسيا، وبلغ إجمالي المساعدات والقروض المقدمة من المملكة للدول النامية ومعظمها دول إسلامية حوالي (٤,٤٤٥,٠٠٠,٠٠٠) ريال سعودي لعام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤. برنامج الخليج لمؤازرة المنظمات الإنسانية والإنمائية التابعة للأمم

المتحدة:

أسهمت المملكة من خلال هذا البرنامج بدور كبير في تقديم الدعم المادي للدول النامية والمتضررة اقتصادياً، وقدمت بمفردها عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م نحو ٧٨/١٠٠

من موارد هذا البرنامج، وأسهمت في إنشاء وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وكذلك أسهمت في إنشاء الصندوق الدولي للتنمية الزراعية عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م من أجل دعم التنمية في المناطق الريفية.

وكذلك مدت المملكة العون للدول النامية عندما ارتفعت أسعار النفط من خلال برنامج تمويل التسهيل البترولي الذي أنشأته منظمة الأوبك، فقدّمت عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م مبلغاً هائلاً لتمويل هذا البرنامج ممّا ساعد على استقرار اقتصاد هذه الدول.

وقد أصدر الملك خالد -رحمه الله- بياناً عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م رسم فيه السياسة البترولية للدولة، ونوّه حكومته في الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي العالمي.

وللمملكة دور فاعل من خلال صندوق النقد الدولي لمساعدة الدول المتضررة، وقد بلغت إسهاماتها عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م (٢,٥) مليار دولار، وأصبح لها عضوية دائمة داخل المجلس التنفيذي للصندوق ممّا أهلها للقيام بدور أكبر في الدفاع عن مصالح الدول النامية، وتقديراً لجهودها أثنى رئيس البنك الدولي على دور المملكة فقال: (إننا في البنك الدولي نقدر كثيراً مساعدة المملكة للدول النامية).

والجدير بالذكر أنّ المملكة تسهم سنوياً في دعم صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) بمبلغ مليون دولار أميركي من أجل إغاثة الملايين من أطفال العالم في الدول التي تتأثر بالأزمات الاقتصادية أو أصيبت بكوارث طبيعية أو تعاني من ويلات الحروب.. فضلاً عن توفير الخدمات الأساسية في حالة تدهور أوضاع الأطفال في المناطق الريفية والأحياء الفقيرة المزدهمة بالسكان في كثير من الدول

النامية، وتشمل هذه الخدمات الرعاية الصحية للأمهات والأطفال، وتوفير مياه النقية، والتأهيل الغذائي، وسدّ الاحتياجات التعليمية والصحية الأساسية^(١).

(١) جريدة الجزيرة بتاريخ ٤٠/٤/١٤٠٠هـ.

وعبر دراسة اقتصادية أعدتها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية مقرها باريس أعلنت أنّ المملكة العربية السعودية في مقدمة الدول التي تساعد العالم الثالث، وإنّ مساعداتها بلغت عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ما يعادل (١٩٧٠) مليون دولار، ويمثّل حجم هذه المساعدات ١٠٠/٣,٥ من إجمالي الدّخل القومي.

وتقديرا لجهود الملك خالد-رحمه الله- في توطيد الأمن والسّلام والإغاثة فقد نال عدّة جوائز عالميّة فمن ذلك:

١ - اختياره من خلال استفتاء الصّحف العالميّة من بين الشّخصيات العالميّة لعام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م؛ تقديرا لجهوده في إنهاء الحرب الأهليّة بلبنان، وإيجاد سلام عادل في الشرق الأوسط، والاستقرار المعقول لأسعار البترول.

٢ - حصوله على الميداليّة الذهبيّة للسّلام من الأمم المتّحدة، اعترافا من المنظّمة الدّولية، وتقديرا لإسهاماته من أجل استتباب السّلام في العالم في عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٣ - منحه الدّكتوراه الفخريّة من جامعة سيبسيون الأرجنتينيّة تقديرا وعرفانا لجهود المملكة في شخصه من أجل السّلام، والجهود المبذولة لإحياء الثقافة الإسلاميّة في عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤ - فوزه بجائزة الملك فيصل العالميّة لخدمة الإسلام؛ تقديرا لجهوده في المجالات الإسلاميّة، وخصوصا في حقل التضامن الإسلامي، ودعوته إلى عقد مؤتمر القمّة الثالث عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م بجوار البيت العتيق مكّة المكرّمة، حيث اجتمع بزعماء العالم الإسلامي لمناقشة قضايا المسلمين وتوحيد صفوفهم، ورأب الصدع بين الإخوة الأشقاء في الأقطار العربيّة والإسلاميّة، وقد حضر هذا المؤتمر ٣٨ شخصا من ملوك ورؤساء وأمراء الدول الإسلاميّة.

٥ - الدّكتوراه الفخريّة من جامعة الملك عبد العزيز وفاء لما قدّمه من أعمال جليلة لخدمة الإسلام وتضامن المسلمين.

وتقديرًا لأعمال هذا الملك الهمام، ووفاء لإسهاماته الرائدة فقد أطلق اسمه على العديد من المنشآت في المملكة وهي: مدينة الملك خالد العسكرية بحفر الباطن، وقاعدة الملك خالد العسكرية بخميس مشيط، وكلية الملك خالد العسكرية بالرياض، ولها إصدار مميّز باسم مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ومستشفى الملك خالد بالبحرس الوطني بجدة، ومستشفى الملك خالد الجامعي بجامعة الملك سعود بالرياض، ومستشفى الملك خالد التخصصي للعيون بالرياض، ومستشفى الملك خالد بالخرج، ومطار الملك خالد الدولي بالرياض، وجامعة الملك خالد بأبها، ومدينة الملك خالد الرياضية بتبوك، ومركز الملك خالد الحضاري ببريدة^(١).

فهذه لمحات من جهد المملكة - في عهد الملك خالد - تجاه العمل الإغاثي خارجيًا، أمّا داخليًا فشأنه معلوم، وهو أوضح من أن يفصل فيه الكلام، وصدق الشاعر العربي حين قال:

وليس يصحّ في الأذهان شيءٌ

إذا احتاج النهار إلى دليل

إنّ الدولة هي راعية الشعب، ووليّ الأمر مسؤول عن هذه الرعيّة، وما زالت المملكة - رعاها الله - مستوفزة لكلّ نكبة تصيب الشعب السعودي الكريم، ومتأهبة لكلّ نازلة تحلّ بدارهم، من سيول جارفة، أو فيضانات زائدة، أو حوادث طارئة، أو حرائق مفاجئة، أو اضطرابات بشرية مخلة بالأمن، كلّ هذا وغيره تفرع له الدولة المباركة بكلّ طاقاتها وإمكاناتها ووزاراتها ورجالاتها وجهات الاختصاص فيها، أداءً لواجب الراعي تجاه الرعيّة، وابتغاء للأجر والمثوبة من ربّ البرية، وقد ذكروا أنّ من صفات الملك الصّالح: (العمل بالعدل، والإفضال والفضل، وحبّ الصدقات، وفعل الخيرات، والتّنفيس عن المكروبين، والإحسان إلى جميع المسلمين المقيمين بمقرّه والنّازحين، وإغاثة الملهوف، وتحبّيس الوقوف، وإعطاء الجزيل، وإسداء الجميل)^(٢).

(١) انظر الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود دراسة تاريخية لنوال خياط ص ٧١.

(٢) الجوهر النّفيس في سياسة الرّئيس لابن حبيش الموصلي ص ١١٩.

وكلّ هذه الصّفات يعرفها عن الملك خالد-رحمه الله- شعب المملكة العربيّة السّعوديّة، بل ويشهد له بها غيرهم ممّن عرف هذا الملك الصّالح وخبر أحواله.

إنّ تحقيق عمليّة الإغاثة الدّاخلية على الوجه المطلوب استوجب تكوين جهة خاصّة سمّيت في عهد الملك خالد-رحمه الله- بلجنة الإغاثة المحليّة، وقد تكمّلت بوضع خطّة متكاملة تهدف إلى زيادة فاعليّة الأعمال التي تقدّمها في مجال إغاثة المواطنين الذين يتعرّضون للكوارث.

وتمّ وضع هذه الخطّة في اجتماع عقد بمقرّ اللّجنة التي تتشكّل من أعضاء من وزارات الدّفاع والطيران والدّاخلية والصّحة والعمل والشؤون الاجتماعيّة والماليّة والخارجيّة إلى جانب أعضاء من الحرس الوطني والهلال الأحمر السّعودي، وتقوم هذه اللّجنة بتنظيم أعمال الإغاثة وزيادة فاعليتها عن طريق التّسيق مع القطاعات الأخرى ذات العلاقة^(١).

ومن مظاهر اهتمام الدّولة في عهد الملك خالد-رحمه الله- ما ناشد به نائب أمير منطقة الرياض آنذاك صاحب السّموّ الملكي الأمير سّطام بن عبد العزيز- حفظه الله- من مزيد الدّعم العيني للجنة الإغاثة المحليّة بالرياض.

وأفاد الأستاذ محمّد عبد الله الحميد رئيس مكتب لجنة الإغاثة المحليّة بالنيابة أنّ وزارة الدّفاع والطيران قد قامت بالإسهام في زيادة رصيد اللّجنة من تلك الإعانات الإيوائيّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه اللّجنة قد شكّلت بناء على قرار وزراء الصّحة العرب الذي عقد في ليبيا والقاضي بتشكيل لجان محليّة للإغاثة بكلّ الدّول العربيّة، تختصّ كلّ منها ببذل الجهود والسّعي لتخفيف حدّة الكوارث، وإغاثة المنكوبين من

(١) جريدة الجزيرة بتاريخ ١١/٢/١٣٩٩هـ.

السّيول والعوامل الطبيعيّة المختلفة، والانهيّارات والزلازل والبراكين والحرائق والأوبئة، سواء داخل الأقطار العربيّة أو خارجها.

هذا وقد تمّ تشكيل مكتب لجنة الإغاثة محليًّا، وتمّ تشكيل أعضاء لجنة الإغاثة المحليّة من ممثّلين:

١- لوزارة الدّاخلية (الدّفاع المدني).

٢- وزارة الدّفاع والطيران (الخدمات الطّبيّة)، (الحرس الوطني)، (الخدمات الطّبيّة).

٣- وزارة الصّحّة ووزارة العمل والشؤون الاجتماعيّة (الرّعاية الاجتماعيّة والهلال الأحمر السّعودي).

وأشاد الحميد بدعم أمير منطقة الرّياض ونائبه للجنة^(١).

وختاماً نسأل الله أن يجعل ما قامت به المملكة العربيّة السّعوديّة في عهد الملك خالد-رحمه الله- من جهود إغاثيّة في الدّاخل والخارج في موازين الحسنات، وأن يبارك في الجهود أيضا حاضرا ومستقبلا.

(١) جريدة الجزيرة بتاريخ ١٤٠١/٢/٨هـ.

المبحث السادس: موقفه من حادثة الحرم المكي الشريف

إن إدارة الدول وسياسة شعوبها أمر صعب للغاية، ولا يدرك هذا إلا من خبر شؤون الحكم من الملوك والسلاطين والأمراء والولاة، أو رجل سبر أغوار التاريخ وعرف أخبار الدول المتعاقبة، واستوعب الصراعات السياسية التي أرهقت الدول، وفداحة الخسائر في الأرواح والأموال الناجمة عن الحروب والفتن، أما عامة الناس المشغولون بأمور معاشهم فلا قبل لهم بإدراك ضخامة المسؤولية المناطة بولي الأمر^(١) في إدارة شؤون الدولة، وتوفير الأمن للمجتمع^(٢)، وتحقيق العدل بين الرعية، وتيسير ضروريات الحياة، وضبط أمور الشرع وتحقيق مقاصده الجليلة في حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وتزداد الصعوبة بتأسع الرقعة الجغرافية للدولة وترامي أطرافها، وتشعب قبائلها، ولهذا كانت النعمة العظمى والمنة الجسيمة باجتماع الكلمة على ولي الأمر، وحب الرعية له، وحبهم له، وظهور الشريعة، واستتباب الأمن، واطمئنان الناس، وكل هذا أساس لانطلاق أي مسيرة تنموية حضارية يراد لها الاستمرار والنجاح.

لقد كانت المملكة العربية السعودية قبل توحيدها مقسمة إلى اثني عشر إقليمًا، كل إقليم مستقل عن الآخر، يسود تلك الأقاليم تاحر وتقاتل ونهب للأموال وسفك للدماء، فجالها قبل التوحد كما وصفها الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي (١٣١٨ هـ) ١٤٠٢ هـ) وصفا مؤثرا:

فَرَّقَ فَرَّقَ الشُّقَاقُ عِصَاهَا وَتَلَطَّتْ عَلَى سَعِيرِ شِقَائِهِ
وَاسْتَبَدَّتْ بِهَا النُّوَابِ حَتَّى كَادَ يَقْضِي كَيْانَهَا مِنْ عِيَائِهِ

(١) لمعرفة المقصود ب: (ولي الأمر) ينظر كتاب طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن ٢١- ٢٣

للمؤلف.

(٢) فصلنا الكلام في أثر السمع والطاعة على أمن الوطن في كتابنا المذكور ص ١٢٩ فما بعد.

عات فيها الضلال قرنا قرنا ومشى فوقها على أشلائه

ولولا أن الله تعالى من على هذه الأقاليم بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود للبت أهلها على سيرتهم الجاهلية الأولى؛ وقد انصهرت تلك الأقاليم المتعددة في كيان واحد، وأصبحت عشرات القبائل المتقاتلة المتناحرة المتباغضة جسدا واحدا، مطمئنين تحت ظلال الشريعة الإسلامية، والملة المحمدية، تسودهم المحبة والألفة والمودة والإخاء، وأصبحت الجماعة واحدة بعد أن بايعت الملك عبد العزيز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فيا لها من نعمة جلية تذكر فتشكر، ومنّة عظيمة نحمد الله عليها ليلا ونهارا، سرّا وجهارا.

وما أحسن ما قاله الأديب الكبير خير الدين الزركلي- أحد مستشاري الملك عبد العزيز والمؤرخين له - في ذكرى جلوس الملك عبد العزيز على العرش:

(تعيد هذه الذكرى إلى الأذهان أحداث نصف قرن لم يعرف قلب الجزيرة مثلها.. إمارات تتوحد، وأمة تتكون، ودولة تبنى، وحضارة تشاد، وتحول في الأخلاق والعادات من فوضى إلى نظام، ومن إسفاف إلى إصعاد..)^(١).

ولقد صدق الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين (١٢٧٠ - ١٣٦٣هـ) حين قال مشيدا بالاجتماع والوحدة التي حصلت بعد تملك الملك عبد العزيز رحمه الله:

تألّفت بك أهواء مفرقة
تأججت بينهم من قبلك النار
فأصبحوا بعد توفيق الإله لهم
بعد الشقا والجفا في الدين أيار

(١) مجلة العالم، العدد ٥، ١٩٤١هـ، ص ٥٠، مقال بعنوان: شهادة حقّ برجل الحقّ لخير الدين الزركلي.

إنَّ رجالاً يغمضون أعينهم عن هذه المكاسب التي تحققت للدولة التي ينعمون بخيراتها الوفيرة، ويتفوّون بظلالها المديدة، في ظلّ تحكيم منقطع النظير للشريعة المحمّديّة، وسلوك حازم للملّة التّوحيديّة، ويعمدون إلى ما يحسبون. لقصور نظرهم وضيق عطنهم. أخطاء في سياسة الحكم، مضخّمين شأنها، ناشرينها. تلبيساً - بين أوساط العامّة، قادحين لفرط جهلهم في حقوق وليّ الأمر، لهمّ بحق أصحاب بلاهة في التّفكير، وسذاجة في النّظر، وسطحيّة في الفهم، والتّاريخ يشهد أنّ أمثال هؤلاء دعاة فتنة وشدّاء فساد، فرّخ الشّيطان في عقولهم شبهاً هزيلة اتّخذوها مطيّة لشقّ عصا الطّاعة، نبذوا من أجلها نصيحة كلّ عالم، وتوجيه كلّ فاضل، واتّخذوا لهم رؤساء ضالّين مضلّين جاهلين ساذجين يدعونهم إلى أبواب جهنّم وهم لا يشعرون. ولطيش في عقولهم وجرأة في نفوسهم يتجمّعون في سرايب مظلمة، ويدخلون في عزلة رهيبة عن النّاس، ويزيّن لهم جهلهم تكفير المجتمع برعيّته وراعيه، ويجرّهم الشّيطان وأعداؤه إلى حمل السّلاح، ويلبسون جريمتهم النّكراء لبوس الجهاد، ويدخلون في صراع مرير مع دولهم عاقبته. كما يشهد التّاريخ. تشرذمهم وتشتتّهم وفساد دينهم ودنياهم.

إنّ ظاهرة (الخوارج) لشاهد صدق على ما يمكن أن يجرّه الجهل والسّذاجة والتّهوّر والحمق والطّيش من فتن تذهب معها الأرواح، وقلّقل تنتهك فيها الأعراض، وبلايل يزول بسببها الأمن على النّفوس والأموال، ولهذا كان الإسلام حازماً للغاية في قطع دابر هذه الظّاهرة، ووسم أصحابها بالضّلال والغواية.

بيان حقيقة الخوارج:

الخوارج: جمع مفرده خارج، وهو ضدّ الدّاخل، وهم طائفة ضالّة تدين بمعتقدات مخالفة لما عليه أهل السنّة والجماعة، تكفّر مرتكب الكبيرة، وتستحلّ في الأمّة المحمّديّة السّيف، وترى الخروج على وليّ أمر المسلمين^(١).

(١) المغني لابن قدامة ٣/٩، وفتح الباري ٤٢٢/١، ٣٠٠/١٢.

وقد تتوّعت تعاريف العلماء لطائفة الخوارج ومن أضبطها أنّ: (كلّ من خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفقت الجماعة عليه يسمّى خارجياً، سواء أكان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمّة الراشدين، أو كان بعدهم على التّابعين بإحسان، والأئمّة في كلّ زمان)^(١).

وصنّيعهم ضلال مبين لم يتبعوا فيه الحقّ، ولم يرحموا فيه الخلق.

قال ابن تيميّة - رحمه الله:

(الخوارج هم أوّل من كفر المسلمين، يكفّرون بالذنوب، ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلّون دمه وماله. وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفّرون من خالفهم فيها، وأهل السنّة والجماعة يتبعون الكتاب والسنّة ويطيعون الله ورسوله فيتبعون الحقّ ويرحمون الخلق)^(٢).

ولهم أسماء بها يعرفون منها:

١ - الحرورية: نسبة إلى موضع بظاهر الكوفة يسمّى حروراء حصل فيه أوّل اجتماع للخوارج اتّفقوا فيه على التحكيم حين خالفوا الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣).

٢ - الشراة: مأخوذ من أشرى بمعنى خرج من طاعة السلطان، وإنّما لزم الخوارج هذا اللقب لأنّهم زعموا أنّهم شروا دنياهم بالآخرة أي باعوها فهم شراة جمع شار^(٤).

٣ - القعدية: وهم طائفة خطيرة من الخوارج يرون الخروج على وليّ الأمر ويحسّنونه لغيرهم، ويقعدون ولا يباشرون بأنفسهم القتال^(٥).

(١) طاعة وليّ الأمر ص ١١٧ للمؤلف.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/٢٧٩.

(٣) السنّة لابن أبي عاصم ٢/٤٤٣، وتهذيب اللّغة للأزهري ٣/٢٧٧.

(٤) غريب الحديث للخطّابي ٢/٣٩٢.

(٥) هدي السّاري لابن حجر ١/٤٣٢، وتدريب الرّاوي للسيوطي ١/٣٢٩.

فهم داعون إلى الخروج بالسنتهم، ويزيّنونه ويحسنونه للأحداث السفهاء بأقلامهم وكتاباتهم، غير أنّهم قاعدون عن خوض جرائم القتل بأيديهم تدليسا وتلبيسا، حتّى إذا سئلوا عن عواقب فتنة الخروج قالوا: ما خرجنا، وإذا سألهم الخارجون أين كنتم؟ قالوا: قد أمرنا وشجّعنا!

وهذا الصنف منتشر في العصر الحاضر، وهم أساس البلاء في كثير من الدول الإسلامية، والشّرارة الأولى التي اتكأ عليها الخارجون.

إنّ ظهور فرقة الخوارج كان بمثابة أوّل تفرّق بغيض وابتداع مشين عرف في الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة-رحمه الله-تعالى:

(أوّل التفرّق والابتداع في الإسلام بعد مقتل عثمان وافتراق المسلمين، فلما اتفق عليّ ومعاوية على التّحكيم أنكرت الخوارج وقالوا: لا حكم إلاّ لله، وفارقوا جماعة المسلمين^(١)، فأرسل إليهم ابن عبّاس فناظرهم، فرجع نصفهم والآخرين أغاروا على ماشية النّاس واستحلّوا دماءهم، فقتلوا ابن خبّاب وقالوا: كلنا قتله. وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتّباعه لكن خرجوا عن السنّة والجماعة، فهم لا يرون اتّباع السنّة التي يظنّون أنّها تخالف القرآن كالرّجم ونصاب السرقة وغير ذلك، فضلوا فإنّ الرّسول+ أعلم بما أنزل الله عليه والله قد أنزل عليه، الكتاب والحكمة، وجوّزوا على النّبويّ أن يكون ظلما فلم ينقادوا لحكم النّبويّ ولا لحكم الأئمّة بعده)^(٢).

موقف الإسلام من الخوارج:

إنّ الشريعة الإسلامية كانت حازمة للغاية تجاه طائفة الخوارج ويتجلّى ذلك بجملة أمور أهمّها:

(١) المراد بجماعة المسلمين أو الجماعة في إطلاقات أهل العلم الجماعة المجتمعة على إمام أو أمير وهو ما رجّحناه في كتابنا طاعة وليّ الأمر ص ١٠٧-١٠٨، وانظر لمعرفة ضوابط منهج أهل السنّة والجماعة حوارا مطوّلا مع المؤلّف نشر في إحدى الصّحف بالمملكة.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٣.

١. ذمهم والتحذير منهم والتنبيه على عدم الاغترار بصلاحتهم الظاهر:

وهو ما نراه جلياً في قصة ذي الخويصرة - أول نبتة الخوارج - الذي تجرأ على سيد الخلق ﷺ واتهمه بالظلم وعدم العدل في القسمة.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدهم صلواته مع صلواتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) (١).

وفي رواية: (فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله. قال: ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟ قال: ثم ولي الرجل. قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: لا لعله أن يكون يصلي. فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم. قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل قوم) (٢).

فانظر إلى مظاهر صلاح خادعة اتصف بها ذو الخويصرة من إرخاء للحية الكثيفة، وشد للإزار القصير، وحلق للشعر، وخشوع شديد في الصلاة، وجلد عظيم

(١) أخرجه البخاري رقم: ٣٤١٤، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم رقم: ١٠٦٤، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) أخرجه البخاري رقم: ٤٠٩٤، باب بعث علي بن أبي طالب، ومسلم رقم: ١٠٦٤، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

على الصيام، خوِّلت له في وهمه الخاطيء أن يظنَّ بسيدِّ العادلين وإمام المتقين حيفا في قسمة أموال الدنيا، وجرَّاه الشيطان أن يقول للنبيِّ الكريم. كما في بعض الروايات: (هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) ^(١)، ويأتي وحي السماء ليخبر محمداً ﷺ أن هذا الرجل سيخرج من صلبه أقوام يتلون القرآن قراءة لا تتعدى حناجرهم، ولا تجاوز حلوَقهم، لا يثبتون على تدين بل يخرجون سريعاً من الدين خروج السهم من القوس، فهم بشذوذهم عن جماعة المسلمين لا يقيمون دنيا، وبارتكابهم لبدعة الخروج لا يفلحون في الأخرى؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تعالى: (أمر النبيِّ ﷺ بقتالهم. أي الخوارج. لأنَّ معهم دنيا فاسدا لا تصلح به دنيا ولا آخرة) ^(٢).

ويدخل في باب ذمهم صنيع علماء الجرح والتعديل مع رواة للحديث ابتلوا برأي الخوارج، فأبت ديانة أولئك العلماء الأفاضل وأمانتهم العلمية إلا الإفصاح عمَّن تأثَّر بهذا الرأي الخبيث: (الخروج على وليِّ الأمر واستحلال السيف في الأمة) الذي تسلَّل إلى عقول أولئك الرواة، وقد تنوعت عبارات علماء الجرح والتعديل في هذا المقام مثل قولهم: (ضعيف من الخوارج، كان خارجياً، متلون خارجي، يرى السيف على الأمة، كان حرورياً يرى السيف) ^(٣).

إذاً لا محاباة في دين الله تعالى تجاه قضية (الخروج على وليِّ الأمر واستحلال السيف في الأمة)، وما هذه القوة والصلابة في التحذير من هذه البلية إلا الرزايا التي اكتوت بناها الأمة الإسلامية خلال مسيرتها الحضارية جرَّاء صنيع الخوارج المارقين الذي سلَّوا السيف في الأمة، وسالت جرَّاء ذلك دماء، وانتهكت أعراض،

(١) أخرجه البخاري رقم: ٤٠٩٤، باب بعث علي بن أبي طالب، ومسلم رقم: ١٠٦٤، باب ذكَّر الخوارج وصفاتهم.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ٧٤.

(٣) انظر على سبيل المثال من كتب الجرح والتعديل الكامل في ضعفاء الرجال ٢٠٢/٥ لابن عدي، والضعفاء ١٠٢/٢ للعقيلي، وميزان الاعتدال ٢٠٩/٥، ٢٨٧ للذهبي، ولسان الميزان ٣١٦/٦ لابن حجر.

وسلبت أموال، وأدبر الأمن حتى لم يعرف الناس أيام الخوارج قرارا، لولا لطف الله الذي يجريه على أيدي ولاة أمور حازمين يقضون على الفتنة في مهدها، ويقفون بالمرصاد لشدة الفتنة، ودعاة الفساد.

٢. بيان سوء عاقبتهم في الآخرة:

وفي ذلك أحاديث كثيرة تهدي كل مارق من الخوارج لو كانوا يهتدون، ولكن دون ذلك خرط القتاد فلم يعرف التاريخ خوارج رجعوا عن غيهم ونبذوا وراء ظهورهم بدعتهم إلا عددا ضئيلا ناله التوفيق الإلهي على يد علماء ربانيين، وولاة في السياسة محنكين.

ومن تلك الأحاديث الدالة على سوء عاقبتهم في الآخرة قوله ﷺ: (الخوارج كلاب النار)^(١).

وهذا وعيد شديد دال بظاهره على أن الخوارج يكونون في نار جهنم على صورة كلاب جزاء لهم من جنس أعمالهم في الدنيا التي كانوا ينبحون فيها على الناس تكفيرا للمؤمنين وقتلا لهم كما قال النبي ﷺ: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)^(٢)، ولهم جلد وثبات وتكرار لهذا الصنيع كالكلب تماما الذي لا ينقطع لهثه جرى أو توقف: ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾^(٣).

قال المناوي: (مرقوا من الدين بإغواء شيطانهم حتى كفروا الموحدين بذنوب واحد، وتأولوا التنزيل على غير وجهه فخذلوا بعد ما أيّدوا حتى صاروا كلاب النار؛

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن رقم: ١٧٣ من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، وصححه

الألباني كما في صحيح الجامع الصغير رقم: ٥٦٥٨.

(٢) أخرجه البخاري رقم: ٣١٦٦، باب قول الله تعالى: «وَأَلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا»، ومسلم رقم: ١٠٦٤، باب

ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٣) الأعراف: الآية ١٧٦

فالمؤمن يسترويرحم ويرجو المغفرة والرّحمة، والمفتون الخارجي يهتك ويعير ويقنط، وهذه أخلاق الكلاب وأفعالهم، فلما كلبوا على عباد الله ونظروا لهم بعين النقص والعداوة ودخلوا النار صاروا في هيئة أعمالهم كلابا كما كانوا على أهل السنة في الدنيا كلابا) (١).

٣. بيان أنهم شرّ الخلق والخليقة:

وردت أحاديث وأحاديث وأثار كثيرة تدلّ على أنّ الخوارج هم شرّ الخلق والخليقة، وأنّ السّماء ما أظلت قتلى شرّاً منهم:

أ. فعن أبي غالب قال: (رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار شرّ قتلى تحت أديم السّماء، خير قتلى من قتلوه، ثمّ قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (٢) إلى آخر الآية. قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا حتى عدّ سبعا ما حدّثتكموه) (٣).

ب. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هم شرّ الخلق والخليقة) (٤).

ج. عن بكير بن عبد الله بن الأشجّ أنّه سأل نافعاً كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله، انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين (٥).

(١) فيض القدير بشرح الجامع الصّغير ٥٠٩/٣.

(٢) آل عمران: الآية ١٠٦.

(٣) أخرجه التّرمذي رقم: ٣٠٠٠، وابن ماجه رقم: ١٧٦، قال التّرمذي: (هذا حديث حسن).

(٤) أخرجه مسلم رقم: ١٠٦٧.

(٥) أخرجه البخاري تعليقا في صحيحه رقم: ٦٥٣٠، ووصله الطّبري في تهذيب الآثار. كما في فتح الباري

٢٨٦/١٢. وصحّ إسناده ابن حجر العسقلاني.

فدلّت هذه النصوص على فساد شأن الخوارج، وأنهم شرّ الناس، ويؤكد ذلك ما أخبر به سيّد الخلق محمد ﷺ من رغبته في قتلهم شرّ قتلة: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود)^(١)، فأبيّ خير في رجل ينتمي إلى طائفة همّ النبيّ الكريم بقتلها، وقد قال ﷺ: (أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبيّ أو قتل نبياً)^(٢).

٤. إدراج علماء الإسلام الأصل العظيم (طاعة وليّ الأمر) والتّحذير من فعل

الخوارج في كتب أصول الدّين:

نظراً للوعيد الشّديد الوارد في شأن الخوارج، وعظيم فسادهم في الأرض، ودورهم الكبير في زرع الفتنة وزوال أمن النّفوس والأموال والأعراض، أدرج علماء الإسلام قضيتهم في كتب الاعتقاد التي تهتمّ ببيان عقائد الإسلام الصّحيحة، وما كان عليه السّلف الصّالح من الصّحابة الكرام وأتباعهم الأخيار، ومن سار على هديهم من أئمة الحديث والسّنة والآثار، ونقتصر هنا على ثلاثة نصوص توضّح المراد:

أ. قال أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم وأبو حاتم محمد بن إدريس الرّازيّان: (ولا نرى الخروج على الأئمة، ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عزّ وجلّ أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، نتبّع السّنة والجماعة، ونجتنب الشّدوذ والخلاف والفرقة)^(٣).

ب. وقال المزني: (والطّاعة لأوليّ الأمر فيما كان عند الله عزّ وجلّ مرضياً، واجتناب ما كان عند الله مسخّطاً، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتّوبة إلى الله عزّ وجلّ كيما يعطف بهم على رعيّتهم)^(٤).

(١) جزء من حديث تقدّم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: ٢٨٦٨ وصحّحه الألباني في الصّحيحة رقم: ٢٨١ من حديث عبد الله

بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) اعتقاد أهل السّنة للألكائي ١/١٧٧.

(٤) شرح السّنة ص ٨٥ للمزني.

ج. وقال الطحاوي في عقيدته الطحاوية المشهورة: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضةً، ما لم يأمرنا بمعصية^(١)، وندعوا لهم بالصّلاح والمعافاة، ونتبع السنّة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة)^(٢).

وغير هذه من النصوص العقديّة المتينة التي درج علماء السنّة على سردها ملخّصة جليّة، وكلّها تؤكّد على موقف أهل السنّة والجماعة من قضية الخروج والشذوذ عن جماعة المسلمين.

إنّ المتأمل في تاريخ الفتن التي مرّت بها الأمة الإسلاميّة يلحظ أنّ أغلبها ناتج عن تضييع هذا الأصل العظيم الذي أصله أهل السنّة وأوضحوه، وقد ارتكب الخوارج جرائمهم ولا يزالون بحجّة تغيير المنكر - لو كان منكراً -، وغفلوا عمّا أصله علماء الشريعة واشترطوه في تغيير المنكر أن لا يؤدي إلى منكر أعظم منه، وأي منكر أعظم من إزهاق الأرواح، وانتهاك الأعراض، وزوال الأمن، النّاجمة كلّها عن صنيع الخوارج بخروجهم عن طاعة الإمام، وشذوذهم عن جماعة المسلمين، ولله درّ الإمام ابن قيمّ الجوزيّة - رحمه الله - حين يقول:

(شرع النبي ﷺ لأُمَّته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله

(١) فلا يطاعوا إذا أمروا بمعصية الله تعالى، ولكن ذلك - كما لا يخفى - غير موجب للخروج عليهم والشذوذ عن جماعة المسلمين، خاصّة وأنّ وصف الشّيء بالمعصية أو الخطأ ونحو ذلك ليس من وظيفة الجهال، بل هو من شأن العالم الرّاسخه قدمه في العلم الذي يفرّق بين الحلال والحرام، والصّحيح والخطأ، ويوازن بين المصالح والمفاسد، وهو - إذا رأى خطأ - أسدى النّصح راحماً غير فاضح، مصلحاً غير مفسد، لكنّ الخوارج ديدنهم تصيّد الأخطاء فيسهل عليهم - لجهلهم - التّكفير، ويهون عليهم التّفجير والتّدمير.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٧.

فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولادة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شرّ وفتنة إلى آخر الدهر... ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه^(١).

٤. الإخبار باستمرار خروج الخوارج إلى آخر الزمان:

إن من دلائل صدق نبوة نبينا محمد ﷺ ما أخبر به من حدوث أمور مستقبلية مغيبة ومن ذلك تكرّر ظهور الخوارج إلى آخر الزمان.

عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: (ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرنٌ قطع).

قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلما خرج قرنٌ قطع - أكثر من عشرين مرة - حتى يخرج في عراضهم الدجال^(٢).

فدلّ الحديث على استمرار خروجهم وأنهم كلما خرجوا قطع دابرههم وانتهى أمرهم، إلى أن يأتي زمن الدجال.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي: (المراد منه - والله أعلم - أنّ أهل الحق يقاتلونهم ويقطعون دابرههم أكثر من عشرين مرة في كل قرن ومع ذلك يبقى منهم فرقة حتى يخرج في عراضهم ومواجهتهم الدجال).

والحاصل أنّ أهل الأهواء وإن قاتلهم أهل الحق في قرن واحد أكثر من عشرين مرة لا يتركون أهواءهم^(٣).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم: ١٧٠ وصحّحه البوصيري في مصباح الزجاجة ٢٦/١ بينما اقتصر الألباني في الصحيحة رقم: ٢٤٥٥ على تحسينه.

(٣) شرح سنن ابن ماجه ص ١٦.

الخوارج وحادثة الحرم المكي:

إنّ الواقع التاريخي يؤكّد ظهور الخوارج المستمرّ، ولا نذهب بعيدا فعصرنا الحاضر شاهد حيّ على صدق ما أخبر به النبي ﷺ، فكم ابتليت الدول الإسلاميّة بطوائف خارجة أحدثت فتنا كقطع الليل المظلم، وما حادثة الحرم المكي التي خرجت فيها طائفة ضالّة - على غرار أسلافهم - إلاّ دليل آخر على هذا الاستمرار الذي أخبر به الصادق المصدوق، ولعلّ من حكمة الله تعالى في هذا التقدير أن يستعدّ المجتمع المسلم برعيّته وراعيه لمثل هذه الفتن، ويزداد تلاحم الجميع من أجل تحقيق الطمأنينة والأمن.

إذا عرفنا كلّ هذه الأصول التي قرّرها العلماء سهل علينا أن نفهم في ضوئها حادثة الحرم المكي، وندرك الموقف الصّحيح الذي اتّخذته المملكة العربيّة السّعوديّة في ظلّ قيادة الملك الصّالح خالد بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- تعالى..

لقد تولّى كبر تلك الحادثة النّكراء رجل اسمه جهيمان بن محمّد بن سيف العتيبي، كان موظّفا في الحرس الوطني السّعودي لمدة ثمانية عشر عاما، ثمّ التقى بشخص يدعى محمّد بن عبد الله القحطاني، وتوطّدت العلاقة بينهما والتقيا فكريّا على رؤى متطرّفة أعظمها تكفيرهم للمجتمع على عادة الخوارج المارقين، وتزوّج محمّد القحطاني بأخت جهيمان العتيبي ممّا زاد التقارب بين الرجلين بشكل أكبر وأخطر. وعلى سيرة دعاة الفتن والضلال بدأ جهيمان ينشر سرا أفكاره الخطيرة، واغترّ به عدد من جهلة النّاس العوامّ، وأشربوا فكرة التّكفير التي جرّتهم إلى الانعزال عن المجتمع، وبدأ الشّيطان يفرّخ في رؤوسهم فكرة الخروج، وكان ادّعاء (المهدويّة) الوسيلة التي قذفها إبليس في قلب جهيمان المخذول وصهره المردول، ففي أواخر عام ١٣٩٩هـ أبلغ محمّد بن عبد الله القحطاني صهره جهيمان أنّه رأى في منامه أنّه هو المهديّ المنتظر! وأنّه سوف يحرّر الجزيرة العربيّة والعالم كلّ من الظّالمين، ولا شك أنّها رؤيا شيطانيّة صادفت صاحبا جاهلا وصهرا طائشا، وصدّق

الرجلان ما أوحى به الشيطان، وسوّل لهما انتهاك حرمة بيت الله الحرام، فمع بزوغ فجر غرة محرّم من عام ١٤٠٠هـ، الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م دخل جهيمان وجماعته المسجد الحرام في مكة المكرمة لأداء صلاة الفجر، يحملون نعوشاً وأهموا الحراس أنها نعوش لموتى قدموا بها لأداء صلاة الجنازة عليها بعد الفجر، ولم تكن تلك النعوش إلا مخازن للأسلحة النارية والدخائر، وما إن انقضت صلاة الفجر حتى قام جهيمان وصهره - بجرأة ووقاحة وطيش وجهالة - أمام المصلين في المسجد الحرام ليعلموا للناس نبأ المهدي المنتظر وفراره من أعداء الله واعتصامه بالمسجد الحرام، وقدم جهيمان الجاهل صهره الأجهل منه محمد بن عبد الله القحطاني على أنه المهدي المنتظر، ومجدد هذا الدين، في ذاك اليوم من بداية القرن الهجري الجديد، وقام مع أتباعه العوام الجهلة المغرّ بهم بمبايعة (المهدي المنتظر المزعوم)، وطلب من جموع المصلين مبايعته، وأوصد - إيغالا في التخويف والإرهاب - أبواب المسجد الحرام، ووجد المصلون - رجالاً ونساءً أطفالاً وكهولاً - أنفسهم محاصرين داخل المسجد لا حول لهم ولا قوة، قد احتجزهم الخوارج الجهلة الذين أدخلوا فيما بعد سبيل النساء والأطفال وبقي عدد كبير من المحتجزين يأملون فرج الله على يد حكومة المملكة بقيادة الملك خالد - رحمه الله - تعالى.

وسلوكا لسبيل الشرع المنيف والعقل الحكيم بذلت الحكومة السعودية منذ اللحظات الأولى حل هذه المشكلة ودياً مع الضالّ المفتون جهيمان، وطلبت منه أن يقلع عن جريمته بالاستسلام للدولة، ووضع السلاح، والخروج من بيت الله الحرام، وإطلاق سراح الرهائن المحتجزين، إلا أنه ركب رأسه وأخذته العزة بالإثم - كما هو ديدن الخوارج مدى التاريخ - ورفض الانقياد لأوامر الدولة، ممّا تسبّب في تعطيل الصلاة ومناسك العمرة في المسجد الحرام، وتبادل الطرفان إطلاق النيران الكثيفة، وأصاب المسجد الحرام ضررٌ بالغٌ جرّاء هذه الأحداث المؤلمة التي تسبّب فيها أحداث أغمار، وجاهلون فجّار، واضطرت الدولة - بعد نفاذ صبرها - إلى

استخدام تقنيّات عسكريّة حديثة، وقامت قوّاتها بهجوم شامل تفاجأ له جهيمان وأتباعه الذين سقط منهم الكثير قتلى ومنهم مدّعي المهدويّة صهر جهيمان (محمد بن عبد الله القحطاني)، وصدّم أتباعه لما رأوه قتيلا، وعلموا أنّهم خدعوا وزيّن لهم الشيطان أعمالهم، فأنهاروا واستسلموا بسيف الشّرع، وقطع دابر القوم الظّالمين، ولسان حالهم يقول:

ظننّا أنّه المهديّ حقّا ولا تقع الأمور كما ظننّا

ولا والله ما المهديّ إلاّ إمام فضله أعلى وأسنى^(١)

وبعد فترة صدر حكم المحكمة الشّرعيّة بتنفيذ حدّ الله في الطائفة الخارجة وضربت أعناق واحد وستين شخصا في جملتهم رئيس الفتنة جهيمان العتيبي، لتنتهي بذلك جريمتهم النكراء، واستشهد من القوّات العسكريّة رجال نحسبهم شهداء عند الله تعالى، فهم (قتلوا الخوارج)، وقتيلهم - أي من قتله الخوارج - قال فيه الصّادق المصدوق: (خير قتلى من قتلوه) كما تقدّم لنا في حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ولهذا الحدث المؤلم تفاصيل أخرى ليس مهمّا في نظري أن نستقصي في كتابنا هذا أخبارها فهي معلومة مدوّنة في صحف المملكة وجرائدها ووثائقها، وزبدتها ما سبق لنا تلخيصه، والمهمّ منها استخلاص العبر والدروس وكشف طبيعة عمل هذه الفئة الضالّة في ضوء ما تقرّره الشريعة الإسلاميّة فأقول:

لقد تجمّعت هذه الفئة عند الكعبة المشرفة معها أسلحة متنوّعة من أجل مبايعة رجل معهم ادّعوا - جهلا وحمقا - أنّه المهدي المنتظر، فارتكبوا بصنيعهم الأرعن جملة مخالفات خطيرة جدّا من بينها:

(١) ديوان الحميري ١/٢٦٥.

أولاً: الدّعوة إلى مبايعة رجل في دولة لها سيادة تحت قيادة وليّ أمرها حيثئذ الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود-رحمه الله- الذي بويع بيعة شرعية^(١) على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ومعلوم شرعاً أنّ الدّعوة إلى ظهور وليّ أمر جديد في ظلّ وليّ أمر قائم مستوجب بصرامة دون هوادة قتل هذا الجديد المدعو إليه مهما كان أمره علماً وصلاً حكمة وشجاعة؛ وهو ما بيّنه رسول الله ﷺ في عدّة أحاديث صحيحة منها:

أ. قوله ﷺ: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشقّ عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه)^(٢).

ب. قوله ﷺ: (إنّها ستكون هنأت وهنأت فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)^(٣).

ج. قوله ﷺ: (من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)^(٤).

فدلّت هذه الأحاديث الصحيحة على أنّ الأمر جدُّ لا لعب فيه، وحزْمٌ لا هوادة معه، وأنّ شقّ العصا وتفريق الأمة المجتمعة على وليّ أمر واحد موجب لقتل المفرّق مهما كان شأنه.

(١) المراد بالبيعة العهد على الطّاعة وتكون بالمصافحة والكلام أو بالكلام وحده أو بالكتابة ينظر كتابنا طاعة وليّ الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) أخرجه مسلم رقم: ١٨٥٢، كتاب الإمارة، باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع، من حديث عرفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أيضاً مسلم رقم: ١٨٥٢، كتاب الإمارة، باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع، من حديث عرفة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم رقم: ١٨٤٤، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء بببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قال النووي: (فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك، وينهى عن ذلك، فإن لم ينته قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بقتله قتل) (١).

وكذلك كان شأن هذه الفرقة المارقة (الجهيمانيّة) التي حملت السلاح في بيت الله الحرام، واستعدت لقتل النفوس والإجرام، وسعت إلى نصب رجل جاهل على أنه المهديّ الإمام، وكلّ ذلك تلبيس من الشيطان على عقول الطغام، الذين ركض معهم حين خرجوا عن طاعة الملك الصالح خالد الهمام، وصدق سيّد الأنام القائل فيما صحّ من حديثه: (يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض) (٢).

ثانيا: ادعاء (المهدويّة) لرجل عامّي جاهل بغير برهان بل استنادا إلى رؤيا شيطانيّة، والرؤى لا تقرّر بها الأحكام، نعم هي للأنبياء وحي يتّبع، ومن سائر الناس قد تكون أضغاث أحلام، فكيف يبني إنسان عاقل على هذه الرؤية الشاذّة صنيعا مهولا يستحلّ به بيت الله الحرام، في ظلّ دولة سنّية سلفيّة ترفع شعار التوحيد في ربوع الأرض، وتعجّ بالسياسة الحكماء، والفقهاء العلماء، تالله لا يفعل هذا إلاّ مخذول محروم، طمس الشيطان بصيرته، وأفسد له سريرته.

ثمّ إنّ المهدي المنتظر أوصافه معلومة عند أهل السنّة والجماعة، فاسمه محمّد بن عبد الله، يوافق الرّسول ﷺ في اسمه واسم أبيه، وهو من عترته ﷺ من جهة الحسن بن عليّ ولد فاطمة رضي الله عنه، يصلحه الله في ليلة، أجلي الجبهة، أقتى الأنف، يصلّي نبيّ الله عيسى بن مريم خلفه بعد أن يقول المهدي لعيسى: صلّ بنا، فيقول: لا إنّ بعضهم أمير بعض تكرمه الله لهذه الأمّة، وهو يخرج في زمن عيسى ويساعده على قتل الدّجال، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يملك

(١) شرح صحيح مسلم ١٢/٢٤١.

(٢) أخرجه النسائي في سننه رقم: ٤٠٢٠، كتاب تحريم الدّم، باب قتل من فارق الجماعة، وصحّحه

الألباني كما في صحيح الجامع الصّغير رقم: ٥٩٣٤.

سبع سنين، يخرج في آخر الزمان، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا، وتكثر الماشية، إلى غير ذلك من الأوصاف التي جاءت بها أحاديث ثابتة عن سيد الخلق ﷺ^(١).

فأين هذه الأوصاف، وأين هذه الأحداث، وهل ظهر نبي الله عيسى، وأين هو الدجال؟ واطرح ما شئت من أسئلة على ضوء علامات المهدي لتدرك جلياً أن صنيع جهيمان وأتباعه ضلالة، وخروج صريح على طريقة أهل الفساد والغواية.

إن أحاديث المهدي ترشد إلى أنه منصور من الله تعالى، ويصلي بالمسلمين مع عيسى بن مريم عليه السلام في يسر وسهولة واطمئنان، وراءه أهل الصلاح والعلم والإيمان، ولا يحتاج إلى هذه الفوضى القائمة على الكذب والدجل والرؤى الشيطانية والإلحاد في حرم الله والدعوى لمبايعة مجهول مخذول بقوة السلاح.

إن المرء العاقل لا يستغرب من صنيع هؤلاء (التمهدين) فالتاريخ شاهد على أن لباس (المهدوية) اتخذ كثير من المفسدين مطية للخروج على ولاة الأمور، تلبسوا على الناس ليدخلوا في طاعتهم، ويسعون بعد ذلك في الأرض فسادا باسم إعلاء كلمة الله، وهم يبيئون وراء ذلك أطماعا شخصية، ومآرب دنيوية، فلا جرم أن كان عاقبة أمورهم خسرانا، ومآل أفعالهم ذلاً وهواناً.

وفيما يلي نورد بعض النماذج التاريخية ليعرف حقيقة التّقنّع بالمهدوية، ومآل حال أصحابها وأتباعها النّاعقين - بلا برهان - خلفها.

(١) أوصاف المهدي وعلاماته وزمنه والأحداث التي تكون في أيامه معلومة عند أهل السنة والجماعة، وهي مبنية على أحاديث وفيرة صحّحها أهل الحديث، ودان بها أهل السنة في القديم والحديث، ولا مجال في كتابنا هذا لاستقصاء التّخريج، ونحيل القارئ إلى كتاب عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر للشيخ الجليل والعالم النبيل نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقا والمدرّس بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة الشيخ عبد المحسن العباد. وفقه الله..

١ - فمن أشهرهم في التاريخ محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري المغربي الذي يقال له: (مهدي الموحدين) (٤٨٥ - ٥٢٤هـ) وقد ادعى ظلما وكذبا أنه المهدي المنتظر، وخرج على سلطان زمانه، وسعى في الأرض فسادا، وكان نقمة على خلق الله تعالى.

قال العلامة ابن القيم:

(أما مهدي المغاربة محمد بن تومرت فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتغلب والتحيل فقتل النفوس وأباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم، وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء يأمرهم أن يقولوا للناس: إنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ثم يردم عليهم ليلا لئلا يكذبوه بعد ذلك، وسمى أصحابه الجهمية الموحدين نفاة صفات الرب وكلامه وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة، واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان وتسمى بالمهدي المعصوم)^(١).

٢ - ومنهم علي بن الفضل بن أحمد القرمطي المتوفى عام ٣٠٣هـ، أظهر الدعوة للمهدي المنتظر فتبعه كثير من القبائل، وقتل خلقا كثيرا، وترقى في ضلاله إلى أن ادعى النبوة فالإلهية حتى صار يكتب إلى عماله: (من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان)^(٢).

٣ - ومنهم عبيد الله بن ميمون القداح جد العبيديين الفاطميين (٢٥٩ - ٣٢٢هـ):

قال ابن القيم:

(كان جدّه يهوديا من بيت مجوسي فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت،

(١) المنار المنيف ص ١٥٣.

(٢) الأعلام للزركلي ٣١٩/٤.

وَدَّعَى أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَلَكَ وَتَغَلَّبَ وَاسْتَفْجَلَ أَمْرَهُ إِلَى أَنْ اسْتَوْلَتْ ذُرِّيَّتُهُ الْمَلْحَدَةُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا أَعْظَمَ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ، وَاسْتَدَّتْ غَرْبَةَ الْإِسْلَامِ وَمَحْنَتَهُ وَمَصِيبَتَهُ بِهِمْ، وَكَانُوا يَدَّعُونَ الْإِلَهِيَّةَ^(١).

٤- ومنهم رجل ادَّعى المهدويَّة في البصرة وسعى في الأرض فسادا يقال له بلييا:

قال ابن كثير: (كان ينظر في النُّجُوم فاستغوى خلقا من أهلها، وزعم أنه المهدي، وأحرق من البصرة شيئا كثيرا من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم ير في الإسلام مثلها، وأتلف شيئا كثيرا من الدُّوايِبِ والمصانع)^(٢).

وهذا يدلُّ على أنَّ هؤلاء أعداء للعلم لا يعجبهم تقدُّم في الصَّنَاعَةِ أو غيرها، ويؤكد ما سبق ذكره أنَّهم لا تصلح بهم دنيا ولا أخرى.

٥- ومنهم يحيى بن بهرويه القرمطي ت ٢٩١هـ:

قال العصامي:

(ومن أعظم الحوادث في أيام المكتفي ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة أعداء الدِّين؛ فأول من خرج منهم يحيى بن بهرويه القرمطي، وكانت دار ملكهم هجر، وهم طائفة إباحية يدَّعون أنَّ الإمام الحقَّ بعد النَّبِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ، ويسندون إليه أقاويل باطلة لا أصل لها، فجهَّز عليه المكتفي جيوشا فقتله، فقام بعده أخوه الحسين وظهر شأنه، وظهر ابن عمه عيسى ابن مهرويه وتلقَّب بالمدثر، وزعم أنَّه المراد بالسُّورَةِ الشَّرِيفَةِ: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ﴾.. وزعم أنَّه المهدي، ودعا لنفسه على المنابر، وأفسد بالشَّامِ وعات، فحارب المكتفي الثلاثة وقتلهم وطيف برؤوسهم في البلاد في سنة إحدى وتسعين ومائتين)^(٣).

(١) المنار المنيف ص ١٥٣.

(٢) البداية والنهاية ١٢/١٣٦.

(٣) سمط النُّجُوم العوالي ٣/٤٨٢.

٦- وظهر باليمن مدّع للمهدويّة:

قال عبد الله بن عليّ الصنعاني: (توارى أيّاما وسمّى نفسه عبد الله، وادّعى تارة أنّه واعظ شريف، وتارة أنّه المهدي، وليس هذا زمان المهدي كما يظهر لمن راجع الآثار النبويّة والملاحم المرويّة)^(١).

٧- ومنهم تمرتاش بن النوين جوبان:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (كان شجاعا فاتكا إلا أنّه خفّ عقله فزعم أنّه المهدي الذي في آخر الزّمان، فبلغ ذلك أباه فركب إليه وردّه عن هذا المعتقد)^(٢).
والأمثلة عمّن ادّعى المهدويّة كثيرة جدّا وفيما سبق إشارة تغني اللبيب، وتكفي الحصيف، ونلاحظ من خلالها جملة أمور يشترك فيها هؤلاء المدّعون، ويشتهر بها الخوارج المارقون، والكذبة المتمهدين، وفيها عبر وعظات، ودروس لمن رام سلوك طريق الفرق المارقات:

١- الطّمع في الملك والرّكون إلى الدّنيا.

٢- خفة العقل وحمافة التّفكير:

وتعجبنى قصّة لطيفة أذكرها دائما فيما يجمعني وإخواني من مجالس العلم تدلّ على سذاجة تفكير الخوارج وخفة عقولهم وأنّ مآل أمرهم إلى التّشتت والتّفرق.
فقد أخرج الحافظ اللالكائي في كتابه الفذّ في الاعتقاد قال: أخبرنا محمّد بن محمّد بن زكريّا المطوّعي النّيسابوري-رحمه الله- بالرّي، قال: سمعت أبا العبّاس محمّد بن يعقوب بن الأصمّ يقول:

(طاف خارجيّان بالبيت فقال أحدهما لصاحبه: لا يدخل الجنّة من هذا الخلق

(١) تاريخ اليمن ١/١٩٥.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢/٦٢.

غيري وغيرك! فقال له صاحبه: جنة عرضها كعرض السماء والأرض بنيت لي ولك؟ فقال: نعم. فقال: هي لك وترك رأيه^(١).

إنه طيش النفوس، وخفة العقول، وضيق العطن الذي يحول الإنسان إلى حاقد أناني لا يحجزه عن دعوى دخوله الجنة هو فقط ومعه من يدين برأيه الفاسد، فكانت صدمة قوية لصاحبه الذي رحمه ربه فعاد إليه عقله، وأدرك - وهو أمام بيت الله الحرام - أنه أمام وحش كاسر سوف يرديه ويؤديه إلى الهلكة بدليل تجربته عن قول هذا الكلام الخطير في بيت الله الحرام، فلا عجب إذا أن يدنس الخوارج المارقون بيت الله بهذا الكلام، ويلحدوا فيه - إفسادا وإرهابا - بأفعال لا يقدم عليها إلا السفلة الطغام.

٣ - معاداة العلم والمعرفة والتحضّر.

٤ - ضلال الأفكار وفساد المعتقدات.

٥ - الطغيان والتجبر واستباحة قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان، والمرابطين حراس الأوطان.

٦ - الاستناد إلى أحلام فاسدة لادعاء المهدوية، وهي أحلام تقذفها الشياطين التي تنزل عليهم كما هو الحال في مدعى النبوة.

قال ابن تيمية:

(الشيطان الذي يقول لمن ليس بنبي: إنك نبي صادق والله أرسلني إليك، يكون من أعظم الناس كذبا، والكذب يستلزم الفجور، فلا بد أن يأمره بما ليس برا بل إثما، ويخبره بما ليس صدقا بل كذبا، كما هو الواقع ممن تضله الشياطين من جهلة العباد وممن يزين له أنه نبي أو أنه المهدي أو خاتم الأولياء وكل هؤلاء

(١) اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٢٣٤/٧.

لا بدّ أن تأمره الشياطين بإثم ولا بدّ أن يكذب في بعض ما تخبره به تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنتِظِكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١﴾﴾ (١) (٢).

إنّ دعوة الخوارج قائمة على جهل وعمى، ولشدة الأحاديث الواردة فيهم. وفيها بيان سوء حالهم. يمكن القول أنّهم دعاة إلى جهنّم من أجابهم إلى آرائهم قذوفه فيها، وهم بتدثرهم بلباس المهدويّة أشبه بمدّعي النبوة.

إنّ أحدهم يدعى - إفكا وكذبا - النبوة ولا نبيّ بعد محمّد ﷺ، وآخر يزعم أنّه المهدي المنتظر ويتخذ لبوس المهدويّة مطيئة ليخرج على وليّ أمر المسلمين، وثالث يتوشّع بصفة الإصلاح ويتخذ له منبرا إعلامياً في جنح الظلام يدعو من خلاله إلى شقّ العصا، وإشاعة الفرقة والفتنة، وكلّ هذه الدعاوى (التنبأ والمهدويّة والإصلاح وما شاكلها) مطايا يتخذها رؤساء الفتن يدعون بها الناس إلى نار جهنّم، ولا نجاة إلاّ بالبعد عنهم والاستمساك بجماعة المسلمين وطاعة وليّ الأمر، وانظر إلى الصحابيّ الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي يقول:

(كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله إنّنا كنا في جاهليّة وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم وفيه دخنٌ. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) (٣).

(١) الشعراء: الآية ٢٢١-٢٢٢.

(٢) الجواب الصحيح على من بدّل دين المسيح ٢٩٨/٦.

(٣) أخرجه البخاري رقم: ٦٦٧٣، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم رقم: ١٨٤٧، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كلّ حال وتحريم الخروج على

٧- اتّصافهم بالجهل واستعانتهم - لتغطيته - بزخارف القول التي تثير العواطف، وتحيي الفتن العواصف؛ ولأجل ذلك ينطلي أمرهم على الجهال الذين ينقادون وراء دعاة الخروج ببسر وسهولة، ولهذا كان الرجوع إلى العلماء والركون إلى كلامهم هو المسلك الصحيح الواجب سلوكه في كلّ حين، والتاريخ شاهد على ما نقول فبرابرة المغرب من أغرق الناس في الجهل وقد انقادوا ببسر وسهولة إلى دعاة الخوارج.

قال ياقوت الحموي:

(والبربر أبقى خلق الله، وأكثرهم طيشاً، وأسرعهم إلى الفتنة، وأطوعهم لداعية الضلالة، وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قطّ، ولهم أحوال عجيبة، واصطلاحات غريبة، وقد حسن لهم الشيطان الفوايات، وزين لهم الضلالات، حتّى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة، وغرائزهم في ضدّ الحقّ جائلة، فكم من ادّعى فيهم النّبوة فقبلوا، وكم زاعم فيهم أنّه المهديّ الموعود به فأجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا، وكم ادّعى فيهم مذاهب الخوارج فألى مذهبه بعد الإسلام انتقلوا، ثمّ سفكوا الدماء المحرّمة واستباحوا الفروج بغير حقّ، ونهبوا الأموال واستباحوا الرّجال، لا بشجاعة فيهم معروفة ولكن بكثرة العدد، وتواتر المدد)^(١).

٨- ونلاحظ أيضاً عدم نجاح الخوارج في ثوراتهم المبنية على إحداث الشغب وإثارة الفتن، والتاريخ شاهد على أنّهم كلّما طلع لهم قرن بتر بسيف الشّرع، مصداقاً لقول النبي ﷺ المتقدّم ذكره^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال الإمام قتادة بن دعامة السدوسي:

الطاعة ومفارقة الجماعة.

(١) معجم البلدان ١/٣٦٩.

(٢) انظر ص عند مبحث الإخبار باستمرار خروج الخوارج إلى آخر الزّمان.

(لعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع، ولكنّه كان ضلالا فتفرّق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا، فقد الأصوا هذا الأمر^(١) منذ زمان طويل فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا؟ يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم، لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه، فهم كما رأيتهم كلّما خرج لهم قرن أدحض الله حجّتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهرق دماءهم، وإن كتموا كان قرحا في قلوبهم وغما عليهم، وإن أظهره أهرق الله دماءهم، ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه)^(٢).

ولقد وفقّ الله الملك خالد-رحمه الله- إلى تطهير المسجد الحرام من أدران هذه العصابة، وحافظ ما استطاع على أرواح المسلمين وعلى سلامة بيت الله الحرام من أن يلحق بهما ضرر.

وارتكزت مهمّة الحكومة على ثلاثة أمور جوهرية هي:

- ١- تطهير المسجد الحرام من المجرمين الآثمين.
- ٢- المحافظة على أرواح الجميع وعدم إراقة الدماء في بيت الله الحرام.
- ٣- إلقاء القبض على الباغين حتى يتمّ التعرّف على أبعاد مخطّطاتهم وأسلحتهم والقوى الكامنة وراءهم.

وبسبب دقّة الأهداف وشروط التنفيذ التي رسمها الملك خالد-رحمه الله- أخذت عمليّة التطهير وقتا أطول ممّا كان يمكن أن تأخذه في الظروف العادية.

ورغم حساسيّة مثل هذه العمليّة وصعوبتها، استطاعت قوّات الأمن منذ الساعات الأولى لاقتحام الفتنة المارقة لبيت الله الحرام أن تفرض سيطرتها على المنطقة،

(١) أي أرادوه وأداروا أمورهم عليه انظر تاج العروس ١٥١/١٨.

(٢) تفسير الطبري ١٧٨/٣.

وأن تحاصر البغاة المجرمين في أضيق نطاق ممكن من حدود بيت الله الحرام، إلى أن استطاعت في نهاية الأمر أن تحصرهم في القبو السفلي للمسجد الحرام، ثم بعد ذلك إلقاء القبض عليهم وتطهير جوانب المسجد الحرام منهم.

وقد استطاعت حكومة المملكة بقيادة الملك خالد -رحمه الله- أن تعالج الموضوع بمنتهى الحكمة والتعقل، وهذه إحدى صفات حكماء المسلمين والقادة المخلصين لدينهم، ففضلوا الروية على الغضب، والحكمة على التسرع، حتى لا يمس المسلمين سوء أو أن يحقق بهم مكروه.

ونسجل هنا مواقف جليلة للملك خالد -رحمه الله- تجاه هذه الفتنة العمياء - التي وفقه الله لإخمادها وإقامة حد الله في أصحابها:

أولاً: حزنه الشديد جرّاء هذه الواقعة الأليمة، وكان -رحمة الله عليه- يبكي ويقول: (ليت هذا الحادث في بيتي ولا في الحرم)^(١)، ولا شك أنه بكاء ملك أحزنه جداً ما صنعته هذه الطائفة في بيت الله الحرام، فدمعت عيناه شفقة على بيت الله المعظم، وأسى على حال من أهدى وأجرم، ويذكرني بكأوه بكاء الصحابي الجليل أبي أمامة رضي الله عنه فيما رواه عبد الله بن بجير قال: حدثنا سيّار قال:

(جاء برؤوس من قبل العراق فنصبت عند باب المسجد، وجاء أبو أمامة فدخل المسجد فركع ركعتين، ثم خرج إليهم فنظر إليهم فرفع رأسه فقال: شرّ قتلى تحت ظلّ السماء ثلاثاً، وخير قتلى تحت ظلّ السماء من قتلوه، وقال: كلاب النار ثلاثاً، ثم إنه بكى ثم انصرف عنهم فقال له قائل: يا أبا أمامة لأي شيء بكيت؟ قال: رحمة لهم أو من رحمتهم)^(٢).

(١) مقابلة شفوية مع فهد بن محمد بن ناصر المفيريج عن قاعدة معلومات الملك خالد -رحمه الله- تعالى.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: ٢٢٢٠٥ وتقدم لنا بسياق الترمذي وابن ماجه وتحسين الترمذي له.

ثانيا: بعد انتهاء الأزمة قصد الملك خالد-رحمه الله- بيت الله الحرام، وطاف على الكعبة، وأدى العمرة، حامدا ربّه، شاكرا له على نصرته بيته الكريم، وتوفيقه له على إخماد صنيع الباغي الأثيم.

ثالثا: في لفتة أبوية حانية قصد الملك خالد-رحمه الله- مستشفى القوات المسلحة لتفقد الجرحى من رجال الأمن الذين استبسلوا في تطهير بيت الله الحرام من الفئّة الضالّة، متجوّلا بين الغرف، متفقدًا للأسرّة، سائلا أصحابها عن أحوالهم، مهنتًا إيّاهم على شجاعته، مشيدا ببطولاتهم.

والذين تابعوا هذا اللقاء بين الأب والأبناء شاهدوا بوضوح مدى الفخر المتبادل بين جلالة الأب وبين أبنائه، فالأب القائد فخور ومعتزّ ببطولة أبنائه من أفراد قوّاتنا بمختلف قطاعاتها، والأبناء البررة فخورون ومعتزّون بما قدّموه لدينهم ومليكهم ولوطنهم من تضحية كانوا يتمنّون أن تكلّل بالشهادة ويحظون بالشرف الذي حظي به زملاؤهم الذين قدّموا أرواحهم في سبيل نصره دين الله والحفاظ عليه من المارقين الخوارج، كيف لا وهم خير قتلى كما تقدّم لنا في قوله ﷺ: (خير قتلى من قتلوه).

ولقد ذكرهم الملك خالد-رحمه الله- أنهم حموا البيت الكريم فحماهم ربّ العظيم:
(لقد حميتم بيت الله الحرام وحماكم الله عزّ وجلّ.. ودفاعكم عن الدّين والعقيدة يتوّج بالنّصر، وإنّكم سعداء بهذا العمل، وإنّنا فخورون بكم)^(١).

وقد رافق الملك خالد في هذه الزيارة التي دامت ثلاث ساعات سموّ وليّ العهد آنذاك صاحب السّموّ الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز -رحمهما الله- الذي كان يقول لكلّ جريح:

(١) مجلّة الإمامة شهر محرّم عام ١٤٠٠هـ.

(لقد نصركم الله لأنكم نصرتم دينه ودافعتم عن بيته الطاهر.. وإن من استشهد منكم فقد لقي نصيبه الذي يتمناه كل منكم، وإن من أصيب منكم فقد حقق النصر وحظي بشرف كنا نتمناه، وكنا نتمنى أن نكون معكم.. وإن هذا لشرف عظيم ما بعده شرف إذ إن ذلك أرفع وسام يمكن أن يحصل عليه أي مسلم في هذه الدنيا) (١).

وأضاف سموه وهو يتحدث لكل جريح:

(إن بطولتكم محل إعجاب وتقدير كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.. وإن ما حققتموه لهو سجل تاريخي لبلادكم ولدينكم ولكم ولأسركم فأنتم أبطال أقدس معركة..) (٢).

رابعا: على عادة الملوك الصالحين في استشارة أهل العلم والفضل والحكمة والعقل جمع الملك خالد -رحمه الله- في الديوان هيئة كبار العلماء للمشاورة في هذه النازلة الغريبة عن هذا البلد الكريم، وكان الملك متأثرا للغاية من جرأ ما حدث، لولا اتصال من الشيخ عبد الله بن حميد -الذي كان في الطائف آنذاك- حيث خفف المصاب عنه وطمأنه إلى أن القضاء على فتنة هذه الفئة الضالة تحتاج شيئا من الوقت وتعود -بإذن الله- الأمور إلى مجاريها، فسكنت نفس الملك واستبشر خيرا من كلام الشيخ -رحمهما الله تعالى-.

وأخيرا:

أختم هذا المبحث بقصة لخارجي تاب من بدعته، نقتطف منه فقرات فيها دروس وعبر، وشاهد جلي على خطورة آراء الخوارج، ودور العلماء الربانيين في إزالة الشبه ممن تأثر بآراء فاسدة، وهي قصة ذكرها الحافظ أبو الحجاج المزني صاحب تهذيب الكمال نقلا عن الحافظ الكبير والإمام الشهير علي بن المديني قال: حدثنا

(١) مجلة اليمامة شهر محرم عام ١٤٠٠هـ.

(٢) نفس المصدر.

هشام بن يوسف الصنعاني أبو عبد الرحمن قاضي صنعاء، قال: أخبرني داود بن قيس قال:

(كان لي صديق من أهل بيت خَوْلان من حَضُور يقال له أبو شمر ذو خَوْلان، قال: فخرجت من صنعاء أريد قريته، فلمّا دنوت منها وجدت كتابا مختوما في ظهره إلى أبي شمر ذي خَوْلان، فجئته فوجدته مهموما حزينا فسألته عن ذلك فقال: قدم رسول من صنعاء فذكر أنّ أصدقاء لي كتبوا إليّ كتابا فضيعة الرسول، فبعثت معه من رقيقي من يلتمسه من قريتي وصنعاء فلم يجدوه، وأشفقت من ذلك قلت: فهذا الكتاب قد وجدته فقال: الحمد لله الذي أقدرك عليه، ففضّه فقرأه فقلت: أقرئنيه فقال: إنّي لأستحدث سنك، قلت: فما فيه؟ قال: ضرب الرقاب، قلت: لعله كتبه إليك ناس من أهل حروراء في زكاة مالك؟ قال: من أين تعرفهم؟ قلت: إنّي وأصحابا لي نجالس وهب بن منبّه فيقول لنا: احذروا أيّها الأحداث الأعمار هؤلاء الحروراء، لا يدخلوكم في رأيهم المخالف فإنهم عرّة لهذه الأمة. فدفع إليّ الكتاب فقرأته فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى أبي شمر ذي خَوْلان سلام عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له فإنّ دين الله رشد وهدى في الدنيا ونجاة وفوز في الآخرة، وإنّ دين الله طاعة ومخالفة من خالف سنّة نبيّه وشريعته، فإذا جاءك كتابنا هذا فانظر أن تؤدّي إن شاء الله ما افترض الله عليك من حقّه تستحقّ بذلك ولاية الله وولاية أوليائه والسلام عليك ورحمة الله.

فقلت له: فإنّي أنهاك عنهم، قال: فكيف أتبع قولك وأترك قول من هو أقدم منك؟ قال: قلت أفتحبّ أن أدخلك على وهب بن منبّه حتّى تسمع قوله ويخبرك خبرهم؟ قال: نعم، فنزلت ونزل معي إلى صنعاء، ثمّ غدونا حتّى أدخلته على وهب بن منبّه ومسهود بن عوف وال على اليمن من قبل عروة بن محمّد، قال علي بن المديني: هو عروة بن محمّد بن عطية السعدي.. فقال لي بعضهم: من هذا الشيخ؟

فقلت: هذا أبو شمر ذو خَوْلَانٍ من أهل حَضُورٍ وله حاجة إلى أبي عبد الله، قالوا: أفلا يذكرها؟ قلت: إنها حاجة يريد أن يستشيره في بعض أمره، فقام القوم وقال وهب: ما حاجتك يا ذا خَوْلَانٍ؟ فهرج وجبن من الكلام، فقال لي وهب: عبّر عن شيخك، فقلت: نعم يا أبا عبد الله إن ذا خَوْلَانٍ من أهل القرآن وأهل الصّلاح فيما علمنا والله أعلم بسريرته، فأخبرني أنّه عرض له نفر من أهل صنعاء من أهل حروراء فقالوا له: زكاتك التي تؤدّيها إلى الأمراء لا تجزىء عنك فيما بينك وبين الله لأنهم لا يضعونها في مواضعها فأدّها إلينا فإننا نضعها في مواضعها نقسمها في فقراء المسلمين، ونقيم الحدود، ورأيت أنّ كلامك يا أبا عبد الله أشفى له من كلامي، ولقد ذكر لي أنّه يؤدّي إليهم الثمّرة للواحد مائة فرق على دوابّه، ويبعث بها مع رفيقه، فقال له وهب: يا ذا خَوْلَانٍ أتريد أن تكون بعد الكبر حروريّاً تشهد على من هو خير منك بالضلالة؟ فماذا أنت قائل لله غدا حين يقفك الله ومن شهدت عليه، الله يشهد له بالإيمان وأنت تشهد عليه بالكفر، والله يشهد له بالهدى وأنت تشهد عليه بالضلالة، فأين تقع إذا خالف رأيك أمر الله، وشهادتك شهادة الله، أخبرني يا ذا خَوْلَانٍ ماذا يقولون لك؟ فتكلم عند ذلك ذو خَوْلَانٍ وقال لوهب: إنهم يأمروني أن لا أتصدّق إلا على من يرى رأيهم ولا أستغفر إلاّ له، فقال له وهب: صدقت هذه محنتهم الكاذبة.

فأمّا قولهم في الصدقة:

فإنّه قد بلغني أنّ رسول الله ﷺ ذكر أنّ امرأة من أهل اليمن دخلت النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، أفإنسان ممّن يعبد الله ويوحّده ولا يشرك به شيئاً أحبّ إلى الله من أن يطعمه من جوع أو هرة، والله يقول في كتابه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿﴾ يقول: يوما عسيرا غضوبا على أهل معصيته لغضب

اللَّهِ عَلَيْهِمْ ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾^(١) ، ثُمَّ قَالَ وَهَبُ: مَا كَادَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَفْرَغَ مِنْ نِعْتِ مَا أَعَدَّ لَهُمْ بِذَلِكَ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: لَا يَسْتَغْفِرُ إِلَّا مَنْ يَرَىٰ رَأْيَهُمْ أَهَمُّ خَيْرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ فِي سُورَةِ حَمَّاسٍ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) ، وَأَنَا أَقْسَمُ بِاللَّهِ مَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ لِيَقْدِرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا لِيَفْعَلُوا حَتَّىٰ أَمَرُوا بِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿لَا يَسْقُوتُ مِنْهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٣) .. أَلَا تَرَىٰ يَا ذَا حَوْلَانِ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ صَدْرَ الْإِسْلَامِ فَوَاللَّهِ مَا كَانَتِ لِلخَوَارِجِ جَمَاعَةٌ قَطُّ إِلَّا فَرَّقَهَا اللَّهُ عَلَىٰ شَرِّ حَالَاتِهِمْ، وَمَا أَظْهَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَوْلَهُ إِلَّا ضَرَبَ اللَّهُ عُنُقَهُ، وَمَا اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ رَجُلٍ قَطُّ مِنَ الخَوَارِجِ، وَلَوْ أَمَكَّنَ اللَّهُ الخَوَارِجَ مِنْ رَأْيِهِمْ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، وَقَطَّعَتِ السَّبِيلَ، وَقَطَّعَ الْحَجَّ عَنِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَإِذْنَ لِعَادَ أَمْرَ الْإِسْلَامِ جَاهِلِيَّةً حَتَّىٰ يَعُودَ النَّاسُ يَسْتَعِينُونَ بِرُؤُوسِ الْجِبَالِ كَمَا كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِذْنَ لِقَامَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ أَوْ عَشْرِينَ رَجُلًا لَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو نَفْسَهُ بِالْخِلَافَةِ، وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ يِقَاتِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْكَفْرِ، حَتَّىٰ يَصْبِحَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ خَائِفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَدِينِهِ وَدَمِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، لَا يَدْرِي أَيْنَ يَسْلُكُ أَوْ مَعَ مَنْ يَكُونُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ بِحُكْمِهِ وَعِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ نَظَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَأَحْسَنَ النَّظَرَ لَهُمْ فَجَمَعَهُمْ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَيْسَ مِنَ الخَوَارِجِ، فَحَقَّنَ اللَّهُ بِهِ دِمَاءَهُمْ، وَسَتَرَ بِهِ عَوْرَاتِهِمْ وَعَوْرَاتِ ذُرَارِيهِمْ، وَجَمَعَ بِهِ فَرَقَتَهُمْ، وَأَمَّنَ بِهِ سَبْلَهُمْ، وَقَاتَلَ بِهِ عَنِ بَيْضَةِ الْمُسْلِمِينَ عَدُوَّهُمْ، وَأَقَامَ بِهِ حُدُودَهُمْ، وَأَنْصَفَ بِهِ مَظْلُومَهُمْ، وَجَاهَدَ بِهِ ظَالِمَهُمْ، رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ رَحِمَهُمْ بِهَا.. وَاعْلَمْ أَنَّ دَخُولَكَ عَلَيَّ رَحْمَةٌ لَكَ إِنْ سَمِعْتَ قَوْلِي، وَقَبِلْتَ نَصِيحَتِي لَكَ، وَحُجَّةٌ عَلَيْكَ غَدًا عِنْدَ اللَّهِ إِنْ تَرَكْتَ كِتَابَ اللَّهِ وَعَدْتَ

(١) الإنسان: الآيات ٨-٢٢.

(٢) الشورى: الآية ٥.

(٣) الأنبياء: الآية ٢٧.

إلى قول الحروراء، قال ذو خَوْلان: فما تأمرني؟ فقال وهب: انظر زكاتك المفروضة فأدّها إلى من ولاه الله أمر هذه الأمة وجمعهم عليه، فإنّ الملك من الله وحده وبيده يؤتّيه من يشاء وينزعه ممّن يشاء، فمن ملكه الله لم يقدر أحد أن ينزعه منه، فإذا أدّيت الزكاة المفروضة إلى والي الأمر برئت منها، فإن كان فضل فصل به أرحامك ومواليك وجيرانك من أهل الحاجة، وضيّف إن ضافك، فقام ذو خَوْلان فقال: أشهد أنّي نزلت عن رأي الحرورية وصدّقت ما قلت، فلم يلبث ذو خَوْلان إلا يسيرا حتّى مات^(١).

ما أعظم ما قاله ابن منبّه في هذه القصّة عن الآثار الحميدة من اجتماع الكلمة على وليّ الأمر: (ألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج، فحقن الله به دماءهم، وستر به عوراتهم وعورات ذراريهم، وجمع به فرقتهم، وأمّن به سبلهم..)، وأذكر بكلامه هذا بيتين حكيمين للحافظ الإمام عبد الله بن المبارك حين يقول:

الله يدفع بالسلطان معضلةً

عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم يأمن لنا سبل

وكان أضعفنا نهبا لأقوانا^(٢)

إنّ الفرح ليغمرنا حين نرى شبابا انحرفت أفكارهم وتلوّث عقولهم يعودون إلى رشدهم، ويعلنون أمام الإعلام توبتهم، ويحذرون غيرهم أن يفتروا بمن يجرّهم إلى أحوال التكفير، مبينين ما لاحظوه عند أهل التكفير من جهل وحقد وفساد، وما وجدوه عند هذه الدولة المباركة من حسن المعاملة وغفران الزلّة.

إنّ الاستمساك بالجماعة رحمة، والشذوذ عنها نقمة، وقد وفق الله هذه الدولة

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣١/١٥٠ فما بعد.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨/١٦٤.

المباركة المملكة العربيّة السّعوديّة فاجتمع أمرها، وبسط أمنها، وقوي بنيانها، وتلاحم مجتمعا، وكثر علماؤها، وعلا بتطبيق شرع الله ورفع راية التّوحيد شأنها، فكثرت خيراتها، وأحبّ ولاتها أفرادها، وأكرم شعبها رعائتها، وذاع في العالم صيتها، واشتهر بين الدول ازدهارها، فضلا من الله تعالى على هذا البلد المبارك الذي بدأ تشييد أركانه على يد المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود. وازدادت لبناته على يد ذريّته الصّالحين ومنهم الملك الصّالح خالد بن عبد العزيز الذي سعدت حقًا. من خلال هذا البحث. بمعرفة أعمق عن حياته وإدراك أكبر لسيرته.

إنّ حادثة الحرم المكيّ ابتلاء محّص الله به الدّولة في ظلّ قيادة الملك خالد- رحمه الله- الذي وفّق للقضاء على الفتنة، بأسلوب ملؤه الحزم والجدة، والدراية والحكمة، والعلم والمشورة، واكتسبت المملكة منها دروسا زادت من لحمتها، وعبراً قوّت من أمنها، وصدق الحكيم القائل: (ربّ ضارّة نافعة).

ويمكننا القول أخيرا:

إنّ من فضل الله على المملكة العربيّة السّعوديّة أن قيّض لها هؤلاء الملوك الصّالحين من ذريّة الملك عبد العزيز الذين يسيرون بها خطى حضاريّة رائدة، رافعين فيها راية الإسلام، ومستمسكين بهدي سيّد الأنام، ووراءهم جحافل من أهل العلم والمعرفة والفضل والسّياسة، يمدّونهم بالرّأي، ويبتهلون إلى الله لهم بالدّعاء، فلله الحمد من قبل ومن بعد، ونسأله سبحانه أن يبارك في جهود الجميع، ويسبغ رضوانه وغفرانه على الملك الصّالح خالد بن عبد العزيز-رحمه الله-تعالى وعلى والديه ومن سبقه ولحق به من إخوانه.

المبحث السابع: جهوده في مجال الحسبة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»:

يسعى الإسلام بتشريعاته المتنوعة - أحكاما وآدابا - إلى المحافظة على نقاء المجتمع من أي مخالفات تصادم الشرع الحنيف، وبالمقابل يحث أتباعه على نشر الخير وأحكام الشريعة وآدابها، وبهذين الأسلوبين ينعم المجتمع بالطمأنينة والأمان، ويحظى أفراد برضوان الله تعالى وجنان عرضها السماوات والأرض، والعكس يحصل تماما إذا خرج المجتمع عن نقائه وغرق أفراد في أحوال المنكرات والمخالفات..

إنّ الوازع الديني الذي ينميه الإسلام في نفوس أتباعه كفيلا أن يصدّهم عن اقتراف ما يخالف الشرع، وإذا غلبت النفس صاحبها فارتكبت شيئا من ذلك شرع الإسلام باب التوبة للتطهر من آثار تلك المعاصي والمخالفات، لكن ثمة أفراد يغلبهم داعي الشيطان والهوى فلا يكتفون بارتكاب ما نهى الله عنه في خلواتهم بل يجاهرون بذلك علانية، ويدمرون بصنيعهم ذلك أنفسهم ومجتمعهم؛ فلذا كان لزاما من وجود جهة شرعية تنقذ أولئك الناس من أحوال المخالفات، وتكفهم عن ارتكاب المنكرات، وتحول بينهم وبين سعيهم في الأرض فسادا؛ وهو ما يعرف بنظام الحسبة والاحتساب الذي يضبط أموره ولي الأمر ويحدّد له أهل الكفاءات ديانة وعلماء وخلقاً ممن يحسن التعامل مع الناس، ويعرف قواعد الحسبة وضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنّ أهل الاحتساب القائمين بهذه الوظيفة الدعوية الجليلة والولاية المهمة لعلّ ثغر عظيم من ثغور الإسلام في المجتمع والدولة، وهم درع واق يحجز أهل الفساد، ويردع أهل الشرّ والعناد، وهم قبل كلّ شيء يحققون واجبا دينيا فيه ثواب عظيم وأجر جليل، ومهمّتهم تشبه مهمة الرّسل الكرام عليهم الصّلاة والسّلام الذين بعثوا لإصلاح النّاس وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وأمرهم بالمعروف رأس ذلك

تحقيق التوحيد الذي خلق الثقلان من أجله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، ونهيه عن المنكر ورأس ذلك الشرك بالله المضاد لتوحيد الله عز وجل.

تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً:

أما في اللغة:

فالحسبة بكسر الحاء معناها الأجر، والاحتساب هو الاعتداد أي احتساب الأجر على الله تقول: فعلته حسبةً، وأحتسب فيه احتساباً، والاحتساب هو طلب الأجر^(٢).

أما في الاصطلاح:

فيعرف الحسبة العلامة الماوردي قائلًا: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله)^(٣).

وينبّه شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ مجال المحتسب الأمور التي ليست من اختصاص ولي الأمر أو نوابه من القضاة ونحوهم وهي الأمور التي يلزم بها ولي الأمر الرعية من حقوق مسلوقة أو حدود شرعية فيها قصاص أو تعزير ونحو ذلك وفي هذا يقول-رحمه الله-تعالى:

(الأمر الذي بعث الله به رسوله ﷺ هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعث به هو النهي عن المنكر.. وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى، أو ولاية المال، أو ولاية الحسبة، أمّا المحتسب فله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ممّا ليس من خصائص الولاية والقضاة وأهل الديوان ونحوهم)^(٤).

(١) الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) انظر تاج العروس ٢/٢٧٥ للزبيدي.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٧٠، وينظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء الحنبلي ص ٢٨٤.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٦٥-٦٦.

ويرجح بعض الباحثين تعريفاً جامعاً بين تعريف الماوردي وابن تيمية فيقول في تعريف الحسبة - وهو وجيه:

(أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، مما ليس من خصائص الولاية والقضاة وأهل الديوان ونحوهم)^(١).

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذو شأن عظيم في الإسلام، وقد وردت نصوص كثيرة في القرآن والسنة ترشد إلى فضله وعظيم شأنه نقتصر هنا على بعضها:

١. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢).

فذكر الله أبرز صفة في الأمة المحمديّة التي فضّلت على سائر الأمم: أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، فمن رام أن يكون من هذه الأمة فليحقق شرطها؛ ولهذا قال الخليفة الراشد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: (من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤدّ شرط الله فيها)^(٣).

٢. وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

فأثبت الله الفلاح والفوز لمن دعا الناس إلى الخير وقام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) التطبيقات العمليّة للحسبة في المملكة العربيّة السّعوديّة للبقمي ص ٢٣.

(٢) آل عمران: الآية ١١٠.

(٣) تفسير الطبري ٤/٤٣، وتفسير ابن كثير ١/٣٩٧.

(٤) آل عمران: الآية ١٠٤.

وعلى هذا المبدأ قامت المملكة العربية السعودية منافحة عنه، مطبقة إياه، لا تخشى في ذلك إلا الله.

جاء في البرقية التي بعثها الملك عبد العزيز رحمه الله إلى وليّ عهده بعد تنصيبه له:

(... عليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربّه) (١).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي:

(هذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين ولهذا قال تعالى عنهم: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب) (٢).

٣ - وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣).

فوعده الله تعالى - ووعده حق - بالرحمة لمن تحققت فيه جملة صفات منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤).

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص ١٥٩.

(٢) تفسير السعدي ١/١٤٢.

(٣) التوبة: الآية ٧١.

(٤) آل عمران: الآية ٢١.

قال القرطبي-رحمه الله-: (دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة)^(١).

٥ - وقال النبي ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(٢).

وبقدر ما رغبت النصوص في هذه الشعيرة العظيمة رهبت كذلك من تركها، وحذرت من التهاون بها، وفي ذلك نصوص كثيرة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾^(٣).

فأوجب الله على أمة بني إسرائيل اللعنة بسبب عصيانهم واعتدائهم وفعلهم للمنكرات فيما بينهم دون أن ينهى بعضهم بعضاً.

قال العلامة السعدي:

(أي كانوا يفعلون المنكر ولا ينهى بعضهم بعضاً فيشترك بذلك المباشر وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك، وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر مع القدرة موجبا للعقوبة لما فيه من المفساد العظيمة منها:

أ - أن مجرد السكوت فعل معصية وإن لم يباشرها الساكت فإنه كما يجب اجتناب المعصية فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.

(١) تفسير القرطبي ٤/٤٧.

(٢) أخرجه أبو يعلى وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير رقم: ١٦٦.

(٣) المائدة: الآية ٧٨ - ٧٩.

ب. ومنها ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي وقلة الاكتراث بها.

ج. ومنها أن ذلك يجريء العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها فيزداد الشرّ وتعمم المصيبة الدنيوية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشرّ حتى لا يقدرّون على ما كانوا يقدرّون عليه أولاً.

د. ومنها أنه بترك الإنكار للمنكر يندرس العلم ويكثر الجهل فإنّ المعصية مع تكرّرها وصدورها من كثير من الأشخاص وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها يظنّ أنها ليست بمعصية، وربما ظنّ الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأيّ مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرّم الله حلالاً، وانقلاب الحقائق على النفوس، ورؤية الباطل حقاً.

هـ. ومنها أن بالسكوت على معصية العاصين ربّما تزيّنت المعصية في صدور الناس واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأحزابه وبني جنسه.

فلما كان السكوت على الإنكار بهذه المثابة نصّ الله تعالى أن بني إسرائيل الكفّار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخصّ من ذلك هذا المنكر العظيم^(١).

٢. قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف وتنهوننّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثمّ تدعونه فلا يستجاب لكم)^(٢).

ففي الحديث إنذار بالعقاب الشديد ومنع إجابة الدعاء في حالة إهمال المجتمع لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والنصوص في هذا الباب كثيرة جداً تدلّ كلّها على عظمة شأن هذه الشعيرة، وفضل الاشتغال بها، وخطورة إهمالها، ولا نعرف في هذا الزّمن دولة تعتدّ بهذه الولاية، وتولي هذه الشعيرة اهتمامها مثل ما توليها المملكة العربيّة السّعوديّة، لإيمانها الرّاسخ بأهميّتها، وبأثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إصلاح

(١) تفسير السّعدي ٢٤١/١.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: ٢١٦٩ وحسنه.

المجتمع، وتنقيته من آفات من استدرجهم الشيطان إلى الفساد، من السحرة والعرافين، والكهنة الدجالين، وأهل الخنا المميعين، وأصحاب المخدرات المفسدين، وغيرهم ممن ابتلي بهذه الأخلاق الرديئة والأفعال المزرية، ولولا حاجز الحسبة لاسترسل المفسدون بشتى أصنافهم في نشر بلاياهم، ولخرب المجتمع. إلا من رحم الله. واستعصى إصلاح أفراد كما هو مشاهد في كثير من البلدان.

إن جهود المملكة في الحسبة هو امتداد لجهودها في خدمة الإسلام والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة شرعية تهدف إلى إحياء أحكام الشريعة وآدابها، وإماتة المنكرات بأنواعها وأشكالها، وفي هذا الإحياء تجديد للدين في النفوس، وتلك الإماتة إخماد للشّر الذي يسعى إبليس وجنوده أن يظهر في المجتمع ويشيع بين الأفراد، وبإحياء الخير ونشره وإماتة الشر وقهره يتحقق صلاح الدين والآخرة، وهو ما تنبّه له الملك خالد-رحمه الله- الذي يقول: (من أهمّ الأمور وأعظم الواجبات التي بها صلاح أمر الدنيا والآخرة التناصح في الله والدعوة إليه، والتواصي بالحق والصبر عليه، والتعاون على البرّ والتقوى، والتأمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر، وهذا هو سبيل السعادة والفلاح كما قال الله جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١) (٢).

ولا شك أن أمرًا يتحقق به صلاح الدارين ينبغي البدار إليه، والمسابقة عليه، وفي هذا يقول الملك خالد-رحمه الله:-

(فلنسرع رحمكم الله بالرجوع إلى الله، وليفش التناصح بيننا، ولنسلك سبيل الدعوة إلى الله والطريق المستقيم، تصلح أحوالنا، وتستقيم أمورنا، ويعزّ الدين وأهله، وينفش الشرّ وحزبه)^(٢).

(١) المائدة: الآية ٢.

(٢) نصيحة قيّمة شاملة من الملك خالد-رحمه الله- إلى كافة المسلمين في عام ١٣٩٥هـ، جريدة أم القرى

العدد ٢٦٠٣.

(٣) المصدر نفسه.

ظهور أنظمة الاحتساب:

في سبيل توسيع نطاق الحسبة في المملكة العربية السعودية، وتحقيق أمثل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان طبيعياً تنظيم الاحتساب تحت إشراف الدولة من خلال إدارة متكاملة ليتسنى لها أداء أعمالها على أكمل وجه، وكان لتلك الإدارة في عهد الملك خالد -رحمه الله-: تنظيمات عدّة:

١. نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاز مستقل يرتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء، ويكون الرئيس العام لهذا الجهاز بمرتبة وزير يعين. وقد حظيت هذه الرئاسة بعناية وتقدير الملك خالد -رحمه الله- ساعدها على أداء مهامها على أكمل وجه.

ولها فروع منتشرة في مناطق المملكة ساعدت على نشر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل بقعة من بقاع هذا الوطن المبارك..

وينتسب لهذا الجهاز أصحاب المؤهلات العلمية المناسبة، المشهود لهم بحسن السيرة وطيب السمعة، وهذا أمر ضروري لأن المحتسب عنصر إصلاح في المجتمع فيجب أن يكون قدوة للناس، عاملاً بما يدعو الناس إليه.

ومن أهم واجبات الهيئة:

١ - إرشاد الناس وتوجيههم ونصحهم لاتباع الواجبات الدينية المقررة في الشريعة الإسلامية، والنهي عن فعل المنكرات سواء كانت معاصي أو عادات سيئة أو بدع منكورة.

٢ - القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بلين يحبب الدين في نفوس الناس، وحزم يردع المعاندين منهم والمجاهرين، استناداً إلى ما ورد في كتاب الله

وسنة رسوله ﷺ، واقتداء بسيرته ﷺ، وخلفائه الراشدين من بعده، والأئمة المصلحين في القيام بهذه الشعيرة العظيمة، مع مراعاة المقاصد الشرعية في إصلاحهم.

٣ - ضبط مرتكبي المحرمات، أو المتهاونين بواجبات الشريعة الإسلامية، والتحقق معهم.

٤ - مراقبة الممنوعات المؤثرة على العقائد أو السلوك أو الآداب العامة، بالتنسيق مع الجهات المختصة.

ومما يدل على عناية الدولة بهذه الهيئة تأكيد نظامها على تزويدها بعدد كاف من رجال الشرطة، وتحديد الخطوات والإجراءات التي تكفل قيام رجال الشرطة بواجبهم على صورة مثلى. وكذلك التأكيد على الجهات الحكومية والأهلية المختلفة أن تتعاون مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموجب النظام^(١).

إن المتأمل في نظام الهيئة يدرك حجم الاهتمام الذي أولته الدولة - رعاها الله - لقضية الحسبة، ويدرك أيضا أن هذه الواجبات والمهام التي أنيطت بالهيئة والتعاون الذي ألزمت به الجهات التي تشترك مع الهيئة في عملها ما هو إلا بداية عصر جديد مشرق بدأته الهيئة في عهد الملك خالد - رحمه الله - ولا زالت تعيشه حتى الآن في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى.

٢. نظام البلديات والقرى:

صدر نظام البلديات والقرى في عهد الملك خالد - رحمه الله - بموجب المرسوم الملكي رقم (م / ٥) وتاريخ ٢١ / ٢ / ١٣٩٧ هـ لينظم أعمال البلديات.

وقد حدّد هذا النظام وظائف البلدية وسلطاتها التي تدخل في نطاق عمل الاحتساب، ونصّ النظام على أن (تقوم البلدية بجميع الأعمال المتعلقة بتنظيم

(١) جريدة الرياض، ذو الحجة عام ١٤٠٠ هـ.

منطقتها، وإصلاحها وتجميلها، والمحافظة على الصّحة والرّاحة والسّلامة العامّة، ولها في سبيل ذلك اتّخاذ التّدابير اللّازمة^(١).

٣- إجراءات وشروط تعيين الأئمّة والمؤذنين:

صدر مرسوم الملكي رقم (م / ٣٣) وتاريخ ١١ / ٨ / ١٤٠٠هـ مبنيّ على قرار مجلس الوزراء رقم ١٢١ وتاريخ ١٢ / ٧ / ١٤٠٠هـ حدّدت بموجبه إجراءات وشروط تعيين أئمّة المساجد، وقسمت وظائفهم إلى ثلاث فئات: وظيفة إمام جامع، وإمام جامع (أ)، وإمام جامع (ب)، وجعل لكلّ من هذه الوظائف الثلاث شروط للمتقدّم لها^(٢).

وقد ساعدت هذه الإجراءات على دقّة اختيار أئمّة المساجد والخطباء لدورهم المباشر في أعمال الاحتساب المنوطة بهم في الأذان والإمامة، وتوعية النّاس بأمور دينهم وديناهم..

٤. نظام ديوان المظالم:

صدر في عهد الملك خالد-رحمه الله- لينظّم أعمال ديوان المظالم، ويحدّد صلاحياته واختصاصاته، وذلك بموجب المرسوم الملكي رقم (م / ٥١) وتاريخ ١٧ / ٧ / ١٤٠٢هـ.

وقد حدد النظام اختصاصات ديوان المظالم ونظام أعضائه^(٣). ويرتبط هذا النّظام بالاحتساب من جهة الرّقابة على موظّفي الدّولة. وفيما سبق دلالة واضحة على النّظرة الشّموليّة لمبدأ الاحتساب في عهد الملك خالد-رحمه الله-، وهي نظرة كان لها الأثر الطّيب في انتشار مظاهر الخير والصّلاح واختفاء ما ينافي الشّريعة الإسلاميّة.

(١) نظام البلديات والقرى، وزارة الماليّة والاقتصاد الوطني، مطابع الحكومة الأهليّة، الرّياض ص ١٠.

١٢.

(٢) التّطبيقات العمليّة للحسبة في المملكة العربيّة السّعوديّة للبقمي ص ٢٤١.

(٣) نظام ديوان المظالم، وزارة الماليّة والاقتصاد الوطني، مطابع الحكومة الأهليّة، الرّياض ص ٣ وما

بعدها.

والحاصل أنّ الحسبة حظيت في عهد الملك خالد بن عبد العزيز-رحمه الله- باهتمام كبير نظرا لدورها العظيم في انتشار التدين في أوساط المجتمع، والحيلولة دون وقوع أفراد في المنهيات الشرعية، وولي الأمر إذا لم يكن حازما في كفّ أهل المنكر عن منكراتهم وقع الفساد في الأرض، وساءت مكانته عند الناس.

(لأنّ الملك إذا لم يمنع أهل الفسق والظلم والجور عن فسقهم وجورهم وظلمهم على الرعية، تقع الفتنة والفساد والجور في أموال الرعية وأزواجهم وأبنائهم ومحارمهم...فينتشر اسم الملك في العالم بالقبح والظلم، ويختل أمر المعروف والنهي عن المنكر، ويضعف أمر الدين، ويقع الهوان والمذلة على أهل العلم والزهد والصّلاح، ويفشو الظلم والفسق، وتفتح حينئذ أبواب الشرّ، ويستولى الذين لا أصل لهم ولا دين لهم ولا صلاح لهم على أهل الحياء والصّلاح والعلماء، ويضيع الدين واحترام العلماء والزهاد، وتزيد كلّ يوم البدعة في الرعية...فتنفر طباع الناس عن ذلك الملك، ويكون الملك محروما عن أدعية الصالحين)^(١).

وحاشى هذا الملك الصّالح أن يكون أهمل هذه الشعيرة بل كان حريصا عليها أشدّ الحرص كحرص سلفه وخلفه من ملوك هذه الدولة المباركة، ولكم يحمد المرء ربّه حين يرى أفراد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا نادى منادي الصّلاة يجوبون الشوارع آمرين الناس: الصّلاة الصّلاة، الصّلاة يرحمكم الله، وينصحون هذا، وينبهون ذاك، ويوجهون هذه، ويرشدون تلك، فيتذف في قلب المشاهد لذلك عزّة الشريعة وعظمة النعمة التي أنعم الله بها على هذه الدولة المباركة التي لا نرى في غيرها مثل هذه المظاهر الدالة على تشبّع المجتمع بالتدين المحمود الذي يرضي الله ورسوله ﷺ.

إننا نطمئن كلّ متوجّس خيفة من هذه الهيئة المترصد لأفرادها بعض الأخطاء،

(١) الخَيْرِيَّتِي: الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ص ٢٠٨.

ونذكره بما تعاني منه كثير من الدول - بسبب تعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من فساد عريض وتدنّ رهيب في مستوى الأخلاق، وإهمال واضح لشعائر الإسلام، ومن احتاج للأسفار أو ابتلي بها شرقاً وغرباً شاهد من المناظر المنافية للشريعة ما يزيد في نفسه يقينا على فضل هذه الدولة المباركة التي اتخذت من التوحيد معتقداً وشعاراً، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منارا، فأغدق الله عليها أمنا وقرارا، ووقاها أوبئة وأشرارا.

رحم الله الملك خالد، وبارك فيما قام به من جهود في خدمة الإسلام، وأغدق عليه شأبيب رحمته، وجمعنا وإياه في دار رحمته آمين..

نتائج وتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تختم الطاعات، وبجوده ومنّه تتجز الأعمال المباركات.

وبعد:

فهذه جملة من النتائج المهمة والتوصيات الضرورية التي خلص إليها بحثنا هذا الموسوم بجهود الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود في خدمة الإسلام والمسلمين:

١ - يعدّ الملك خالد أحد أفراد الأسرة العربية العريقة الضاربة في جذور التاريخ من آل سعود الذين قامت على أكتافهم دولة التوحيد، ورفعوا رايتها خفاقة منذ تأسيسها إلى الوقت الراهن.

٢ - ونهل من حياض العلم أسوة بأسرته من آل سعود، ولقد كان القصر الملكي في عهد الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - مقصد العلماء والفقهاء الذين كانوا يعقدون مجالس علمية فيها درر من فنون العلم وأصنافه، حظي الملك خالد بسماعها وتنمية ثقافته الشرعية، وازداد بعد ذلك إعجابه بالعلماء ممّا حداه إلى زيارتهم والتردد إلى مجالسهم.

٣- ويعدّ الملك عبد العزيز مدرسة قائمة بنفسها تلقى فيها الأمير خالد دروساً عميقةً في الحياة ضمن صحبة طويلة مباركة مع والده المؤسس دامت اثنان وأربعين عاماً، وهي فترة كان لها أعظم الأثر في نفس الأمير استفادة للعلوم، ومعرفةً بشؤون الحياة، والمأماً بفنون السياسة.

٤- قوّة تدبّن هذا الملك الصّالح وشدّة ارتباطه بتعاليم الدّين عقيدة وشريعة وآداباً، يظهر ذلك جلياً في أفعاله وأقواله وتنقلاته وأحاديثه؛ فلا جرم أن كان وصف (الملك الصّالح) به لصيقاً، والتّوشّح به حقيقاً.

٥- ناصر الملك خالد جميع القضايا الإسلاميّة، وعمل الكثير في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، واعترافاً بجهده في خدمة الإسلام نال جائزة الملك فيصل العالميّة؛ تقديراً لجهوده في المجالات الإسلاميّة خصوصاً في حقل التّضامن الإسلامي، ودعوته إلى عقد مؤتمر القمّة الثّالث عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بجوار البيت العتيق في مكّة المكرّمة، حيث اجتمع بزعماء العالم الإسلامي لمناقشة قضايا المسلمين وتوحيد صفوفهم، ورأب الصدع بين الإخوة الأشقاء، وقد صدر عن هذا اللقاء الإسلامي المميّز بيان تاريخي اشتهر باسم بيان مكّة التّاريخي.

٦- أثبت البحث أنّ الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود-رحمه الله- قد بذل جهوداً كبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين، وهو نموذج فريد في هذا المجال للمسلمين عامّة وولاة أمورهم خاصّة، أن يحذوا حذوه في التّفاني في خدمة هذا الدّين الحقّ، وإبراز عظّمته، ونشر أخلاقه وآدابه وأحكامه.

٧- سعي الملوك في مصالح رعيّتهم وحرصهم على استمساكهم بدينهم هو أئمن شيء يخلفونه من بعدهم، حتّى إنّ الألسنة لتلهج بالدّعاء لهم والتّرحّم عليهم، وأعظم به من مكسب.

٨- مسلك الملك خالد-رحمه الله- في التّدبّن والحنكة السياسيّة في إدارة شؤون

الحكم برهان واضح على إمكانية الجمع بين هذين المسارين الدين والسياسة، وهو ردّ قويّ على دعاة الفصل بينهما، وهدي ملوك الإسلام في مسيرته الحضارية خير شاهد على ما نقول، وملوك هذه الدولة المباركة من ذرية الملك عبد العزيز-رحمه الله- على خطى أولئك ساروا، فنجحوا وما وهنوا ولا احتاروا.

٩- نوّكد بعد اطلّاعنا على كثير من جوانب حياة الملك خالد-رحمه الله- أنّ مجال الكتابة عنه باب واسع ما يزال مفتوحا للدارسين، ونوصي بتخصيص أطروحات جامعية خاصة على المستوى الجامعي تتناول جوانب مختلفة عن حياة هذا الملك الفذّ.

١٠- نقترح لأدباء الأطفال أن يتوجّهوا لكتابة قصص هادفة ترتبط بحياة الملك خالد، لتكون نبراسا للأجيال القادمة يدركون من خلالها ما كان عليه أحد ملوك هذه الدولة المباركة.

١١- نوّكد على أهميّة عقد ندوات وملتقيات تعنى بتناول بمسيرة الملك خالد-رحمه الله- وبيان جهوده في مختلف المجالات إبّان فترة حكمه وما قبل ذلك أيضا.

١٢- يوّكد البحث على ارتباط المملكة العربية السّعوديّة بدين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا، وأنّه أساس عزّها، وسرّ مجدها ونهضتها.

١٣- وأخيرا نبتهل إلى الله تعالى أن يجعل ما قام به الملك خالد-رحمه الله- من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين في موازين حسناته، وأن يحفظ هذه الدولة المباركة، ويكلأ وليّ أمرها الملك الهمام خادم الحرمين الشّريفين عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وإخوانه الأمراء وأعوانه الوزراء، وأن يديم راية الإسلام خفاقة في ربوع هذه البلاد، ويزيد أهلها توحّدا وتعاضدا، وتراحما وتساندا، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلّم وبارك على محمّد وآله وصحبه وسلّم.

فهرس الآيات

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

البقرة: الآية ١٢٥

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً﴾ البقرة: الآية ٢٠٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بغيرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ

يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: الآية ٢١

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ آل عمران: الآية ٣١

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ

إِبْرَاهِيمَ﴾ آل عمران: الآية ٩٦

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: الآية ١٠٤

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ آل عمران: الآية ١٠٦

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ﴾ آل عمران: الآية ١١٠

﴿وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النساء: الآية ٣٩

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النساء: الآية ٥٩

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: الآية ٢

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة: الآية ٧٨ ٧٩

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ وَمِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ ﴾ المائدة: الآية ٨٣ ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الأنعام: الآية ٣٨

﴿ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الأنعام: الآية ٩٢

﴿ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ الأعراف: الآية ١٧٦

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ الأنفال: الآية ٦١

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: الآية ٧ ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ التوبة: الآية ٩١

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: الآية ١٠٨

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: الآية ٩

﴿ وَالْحَيْلُ وَالْغَالِ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: الآية ٨

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ النحل: الآية ١٢٥

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: الآية ٩

﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ الإسراء: الآية ٨٢

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ الكهف: الآية ٢٧

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ الكهف: الآية ٨٢

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ طه: الآية

١٣٢

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الأنبياء: الآية ١٠

﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء: الآية ٢٧

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: الآية ١٠٧

﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الحج: الآية ٢٩

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الحج: الآية ٣٨

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج: الآية ٤١

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ النور: الآية ٥٥

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ الفرقان: الآية ٧٤

﴿هَلْ أُنثِيَتُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الشعراء: الآية ٢٢١-٢٢٢

﴿وَأذْكَرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ الأحزاب: الآية ٣٤

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سبأ: الآية ٢٨

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ الصَّافَّاتِ: الآية ١٠٠

﴿ كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص: الآية ٢٧

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ ﴾ الزمر: الآية ٩١٨

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت:

الآية ٢٣

﴿ وَالْمَلَأَكُنُهُ يَسِيحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الشورى: الآية ٥

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف: الآية ٤٤

﴿ إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ محمد: الآية ٧

﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الحجرات: الآية ١٣

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: الآية ٥٦

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ الطور: الآية ٤

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الرحمن: الآية ٢٦

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ ﴾ الصف: الآية ٣ ﴿ وَرَبِّ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا ﴾ المزمل: الآية ٤

﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴾ المدثر: الآية ١

﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَنَحْيِهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا

شُكْرًا ﴿ الإنسان: الآيات ٨-٢٢

﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ التين: الآية ٣

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ﴾ العلق: الآية ١-٥

فهرس الأحاديث

- أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله.
- إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة.
- ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً.
- أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً.
- اللهم إني أحرم ما بين لابتئها بمثل ما حرم إبراهيم مكة.
- إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين.
- إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض.
- إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب.
- إنها ستكون هنأت وهنأت.
- إن هذا الدين يسر.
- أنه ﷺ سئل أي العمل أفضل؟
- بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً.
- تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي.
- جاء بها - أي هاجر - إبراهيم وبانها إسماعيل وهي ترضعه.
- حرم على عينين أن تنالهما النار.
- الخوارج كلاب النار.
- خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم.

-الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض.....
-صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس.....
-صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه.....
-العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما.....
-كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير.....
-كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء.....
-كلما خرج قرن قطع.....
-لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل قوم.....
-ماء زمزم لما شرب له.....
-مثل المؤمنين في تواددهم وتراحمهم وتعاطفهم.....
-المدينة حرم ما بين عير إلى نور.....
-من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد.....
-من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه.....
-من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة.....
-من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه.....
-من رأى منكم منكرا فليغيره بيده.....
-من لا يرحم الناس لا يرحمه الله.....
-من مات في الطاعون فهو شهيد.....
-هل تدرون ما البيت المعمور؟.....

-هم شرّ الخلق والخليقة.....
-والله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حُمراً النعم.
-والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر.....
-يا أبا ذرّ إنك ضعيف وإنها أمانة.....
-يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها.....
-يد الله مع الجماعة.....
-يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.....
-ينشأ نساء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرنٌ قطع....

فهرس الآثار

- الإسناد من الدّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء (ابن المبارك) ...
- أنه سأل نافعا كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟
- علموا أولادكم الرّماية والسّباحة (حكمة)
- كان لي صديق من أهل بيت خولان من حضور يقال له أبو شمير ذو خولان، قال:
فخرجت من صنعاء أريد قريته
- من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤدّ شرط الله فيها (عمر بن الخطّاب)
- يا أبا أمامة لأي شيء بكيت؟ قال: رحمة لهم أو من رحمتهم
- يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتك؛ فإنّ الله يحيي القلوب بنور الحكمة
كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السّماء (من حكم لقمان) ٢٠.....

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الآداب الشرعية والمصالح المرضية لابن مفلح الحنبلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.
- ٢ - إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبد العزيز أبو حبيب لحفيده د. محمد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة بالرياض.
- ٣ - الأحكام السلطانية للماوردي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٣م.
- ٤ - الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء الحنبلي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٦م.
- ٥ - أخبار مكة للأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٦ - إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية لإسماعيل أحمد الترابي.
- ٧ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٨ - الإسلام في السياسة الخارجية السعودية للصويغ، دار أوراق للنشر، الرياض، ١٤١٤هـ.
- ٩ - الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١٠ - اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- ١١ - الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

- ١٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- ١٣ - إنجازات المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين - المنظمات الإسلامية لعبد الله بن عمر نصيف، نشر الأمانة العامة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.
- ١٤ - الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية للسّدلان، دار بلنسية، الرياض، ١٤١٧هـ.
- ١٥ - الإنصاف للمرداوي، تحقيق: محمّد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت.
- ١٧ - بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق، تحقيق: د. علي سامي النشار، ط وزارة الإعلام، العراق.
- ١٨ - البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- ١٩ - تاج العروس للزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من الباحثين.
- ٢٠ - تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٢١ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٢٢ - تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها لصالح الدين المختار، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٢٣ - تاريخ نجد الحديث للريحاني، دار الفاخرية، الرياض، ١٩٨٢م.
- ٢٤ - تاريخ اليمن، لابن الوزير الصنعاني، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢٥ - تتمّة الأعلام لمحمّد خير يوسف رمضان، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩م.

٢٦. تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩١هـ.
٢٧. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة.
٢٨. تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، لإبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، مؤسّسة نور للطباعة، الرياض.
٢٩. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي الأندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٠. التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية لطامي البقمي، جامعة الإمام محمد بن سعود افسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ.
٣١. تطوّر كتابة المصحف الشريف وطباعته وعنايته المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه للدكتور. محمد سالم شديد العوفي، ط مجّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
٣٢. التعاريف للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.
٣٣. تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.
٣٤. تفسير السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
٣٥. تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٦. التفسير الكبير للرازي المسمّى مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
٣٧. تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

- ٢٨ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ٣٩ - تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمّد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٠ - توسّعات الحرم المكيّ عبر الزّمن ضمن موقع الحجّ على الشّبكة العنكبوتية.
- ٤١ - توضيح المشتبه لابن ناصر الدّين الدّمشقي، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ٤٢ - الجامع في الحديث لابن وهب، تحقيق: د. مصطفى حسن، دار ابن الجوزي، الرّياض، ١٩٩٦م.
- ٤٣ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٤٤ - جامع البيان في تفسير آي القرآن للطّبري، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
- ٤٥ - جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة في خمسة عقود، ضمن إصدارات الجامعة بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربيّة السّعوديّة، ط الإدارة العامّة للثقافة والنّشر، الرّياض، ١٤١٩هـ.
- ٤٦ - جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة في (٤٠عاما)، أصدر هذا الكتاب بمناسبة افتتاح المدينة الجامعيّة عام ١٤١٢هـ.
- ٤٧ - الجّد الحثيث فيما ليس بحديث للعامري، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الرّاية، الرّياض، ١٤١٢هـ.
- ٤٨ - جريدة أخبار العالم الإسلامي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة.

- ٤٩ - جريدة أم القرى كانت تصدر بمكة المكرمة.
- ٥٠ - جريدة الأهرام تصدر عن دار الأهرام بمصر.
- ٥١ - جريدة الجزيرة تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر بالرياض.
- ٥٢ - جريدة الرياض تصدر عن مؤسسة الإمامة الصحفية بالرياض.
- ٥٣ - جريدة الشرق الأوسط تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق.
- ٥٤ - جريدة عكاظ تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر.
- ٥٥ - جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٥٦ - جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ٥٧ - الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر.
- ٥٨ - الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لابن حبيش الموصللي، مكتبة الباز، الرياض، ١٩٩٦م.
- ٥٩ - حاشية الجمل على شرح المنهاج لسليمان الجمل الشافعي، دار الفكر، بيروت.
- ٦٠ - الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام إصدار الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، مكذمة المكرذمة، ١٩٩٩م.
- ٦١ - حسن السلوك الحافظ دولة الملوك للموصللي، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، ١٤١٦هـ.
- ٦٢ - حفظ القرآن وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي،

- لحمد بن ناصر العمار، عن ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
- ٦٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٦٤ - حوار مطوّل عن السلفيّة وأنها ليست مرحلة زمنيّة انقضت للمؤلف.
- ٦٥ - حوار مع سماحة الشّيخ ابن باز نشر على موقعه بتاريخ ١٣/٧/١٤٢٣هـ.
- ٦٦ - حوار مع المالكي في ردّ منكراته وضلالاته، للشّيخ عبد الله بن منيع، طبع الرئاسة العامّة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٩٨٤م، الرياض.
- ٦٧ - خالد وفهد والدعوة والدعاة لمحمد الطيّار، مطبعة المدني.
- ٦٨ - الدرّة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء للخيريّتين، مكتبة دار الباز، الرياض، ١٤١٧هـ.
- ٦٩ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد، دار المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٢هـ.
- ٧٠ - الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية، لمحمد الشثري، دار الحبيب، ٢٠٠٢م.
- ٧١ - الدعوة في عهد الملك عبد العزيز للشثري، دار الحبيب، ٢٠٠٠م.
- ٧٢ - دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربية، مكتب التربية لدول الخليج، ١٨٨٥م.
- ٧٣ - دليل القبول نشرة أصدرتها جامعة أمّ القرى عام ١٤٢٣هـ.
- ٧٤ - دور المملكة العربية السعودية في إنشاء المنظمات الإسلامية ورعايتها، ط الأمانة العامّة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٩٩٩م.
- ٧٥ - ديوان الحميري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

- ٧٦- ديوان ابن الرّومي، دار مكتبة الهلال، ١٩٩١ م.
- ٧٧- ديوان أبي العلاء المعرّي، بدون ذكر للنّاشر ولا تاريخ النّشر.
- ٧٨- ديوان عماد الدّين الأصبهاني، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٣ م.
- ٧٩- ديوان المعاني للعسكري، دار الجيل، بيروت.
- ٨٠- ذكريات أحمد علي، نادي الطّائف الأدبي، ١٣٩٧ هـ.
- ٨١- ذكريات خالدة، مجلّة الحرس الوطني، العدد ١٠، ص ١-٢.
- ٨٢- رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النّبوي لمجموعة من العلماء رئاسة إدارة البحوث العلميّة والإفتاء، ط إدارة البحوث العلميّة، الرّياض.
- ٨٣- رعاية الحرّمين الشّريفين في عهد خادم الحرّمين الشّريفين الملك فهد بن عبد العزيز للسّبيل، نشر الأمانة العامّة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرّياض، ١٩٩٩ م.
- ٨٤- الرّوض المربع في شرح زاد المستقنع للبهوتي، مكتبة الرّياض الحديثة، الرّياض، ١٣٩٠ هـ.
- ٨٥- روضة الطّالبيين وعمدة المفتين للنّووي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ٨٦- سلسلة الأحاديث الصّحيحة لمحمّد ناصر الدّين الألباني، دار المعارف، الرّياض، ١٩٩٥ م.
- ٨٧- سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي للعصامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- ٨٨- السنّة لابن أبي عاصم
- ٨٩- سنن التّرمذي، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

- ٩٠ - سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- ٩١ - سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- ٩٢ - سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب.
- ٩٣ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.
- ٩٤ - سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
- ٩٥ - سيرة ملك ونهضة مملكة لأحمد بن زيد الدعجاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م.
- ٩٦ - شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٩٧ - شرح السنة للمزني، تحقيق: د. جمال عزون، دار ابن حزم، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ٩٨ - شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي، كراتشي.
- ٩٩ - شرح صحيح مسلم للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- ١٠٠ - الشرح الممتع على زاد المستقنع للعثيمين، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ١٠١ - شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ١٠٢ - الشمس وكواكب الصحراء، لرياض قويدر، الناشر: المؤلف، ١٤٠٨هـ.

- ١٠٣ - صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيقك د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ١٠٤ - صحيح الجامع الصغير للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ١٠٥ - صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ١٠٦ - الضعفاء للعقيلي، تحقيق: عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ١٠٧ - ضعيف الجامع الصغير للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ١٠٨ - طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ٢٠٠٥م.
- ١٠٩ - طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي، تحقيق: الطناحي والحلو، دار هجر، مصر، ١٤١٣هـ.
- ١١٠ - عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر لعبد المحسن العباد، ط الجامعة الإسلامية من المدينة المنورة.
- ١١١ - العقيدة الطحاوية للطحاوي، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- ١١٢ - عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١١٣ - عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٢م.
- ١١٤ - عون المعبود في شرح سنن أبي داود لشمس الدين أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

- ١١٥ - غريب الحديث للخطّابي، تحقيق: العزباوي، ط جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ١٤٠٢هـ.
- ١١٦ - غياث الأمم والّتيّاث الظلم للجويني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، مصر.
- ١١٧ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محيي الدّين الخطيب، دار المعرفة.
- ١١٨ - الفروع لابن مفلح، تحقيق: حازم القاضي، دار الكتب العلميّة، ١٤١٨هـ.
- ١١٩ - فضائل الدّعوة إلى الله نشرت في مجلّة التّوعية الإسلاميّة العدد ٢٢٨.
- ١٢٠ - الفهرست لابن النّديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ١٢١ - الفواكه الدّواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للنّفاوي المالكي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ١٢٢ - فيض القدير بشرح الجامع الصّغير للمناوي، المكتبة التّجاريّة الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
- ١٢٣ - قاعدة جليّة في التّوسّل والوسيلة لابن تيمية، تحقيق: د. ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان، الإمارات، ١٤٢٢هـ.
- ١٢٤ - قصر الحكم في الرّياض لعبد الرّحمن بن سليمان الرّويشد، النّاشرك المؤلّف، ١٩٩٢م.
- ١٢٥ - قواعد التّحديث للقاسمي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١٢٦ - قواعد الفقه للبركتي، دار الصّدف، كراتشي، ١٤٠٧هـ.
- ١٢٧ - الكامل في ضعفاء الرّجال لابن عدي، تحقيق: غزّاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.

- ١٢٨ - كتاب المملكة لروبرت ليسي.
- ١٢٩ - لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- ١٣٠ - لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ١٣١ - مجلّة الإغاثة تصدر عن هيئة الإغاثة الإسلاميّة العامليّة.
- ١٣٢ - مجلّة البنات تصدر عن مؤسّسة الجزيرة.
- ١٣٣ - مجلّة التضامن الإسلامي تصدر عن وزارة الحجّ.
- ١٣٤ - مجلّة التّوعية الإسلاميّة تصدر عن وزارة الشّؤون الإسلاميّة.
- ١٣٥ - مجلّة المعرفة تصدر عن وزارة التّربية والتّعليم.
- ١٣٦ - مجلّة المنهل تصدر عن دار المنهل للصحافة والنّشر بجدّة.
- ١٣٧ - مجلّة الإمامة تصدر عن مؤسّسة الإمامة.
- ١٣٨ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ابن قاسم، مطابع الرّياض، ١٣٨١هـ.
- ١٣٩ - مختارات من الخطب الملكيّة نشر دار الملك عبد العزيز، الرّياض، ١٩٩٩م.
- ١٤٠ - مختار الصّحاح للرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ١٤١ - المرحوم الشّيخ محمّد بن علي الحركان في كلمات كتبها ولده سليمان نشرت في بعض المواقع.
- ١٤٢ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٢هـ.

- ١٤٣ - المسابقات القرآنية المحليّة والدوليّة - من بحوث عناية المملكة بالقرآن وعلومه لعبد العزيز بن عبد الرحمن السبّيهين.
- ١٤٤ - المستدرك على الصّحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١١هـ.
- ١٤٥ - مسند أحمد بن حنبل الشّيباني، مؤسّسة قرطبة، مصر.
- ١٤٦ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التّراث.
- ١٤٧ - مصباح الزّجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري، تحقيق: الكشناوي، دار العربيّة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٨ - معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، للعثيمين، النّاشر: المؤلّف، ١٩٩٨م.
- ١٤٩ - معجم أسماء شوارع مدينة الرياض وشوارعها إصدار: أمانة مدينة الرياض.
- ١٥٠ - معجم البلدان لياقوت الحموي.
- ١٥١ - المعجم الوسيط لجماعة، ط مجمع اللّغة العربيّة.
- ١٥٢ - المغني لابن قدامة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٥٣ - مقدّمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.
- ١٥٤ - الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود دراسة تاريخيّة لنوال خيّاط
- ١٥٥ - الملك الرّاشد جلاله المغفور له - بإذن الله - عبد العزيز آل سعود، لعبد المنعم الغلامي، الرياض، ١٩٩٨م.
- ١٥٦ - الملك عبد العزيز والتّعليم لعبد الله أبو رأس والديب.

- ١٥٧ - ملوك آل سعود لابن هذلول، الرياض، ١٩٨٢م.
- ١٥٨ - المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين لطلال محمد نور عطار، الناشر: المؤلف، ٢٠٠١م.
- ١٥٩ - المملكة العربية السعودية والعمل الإغاثي (حقائق وأرقام)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ١٦٠ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٣هـ.
- ١٦١ - مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٦٢ - المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي للجويبر، الناشر: المؤلف، ١٩٩١م.
- ١٦٣ - موسوعة التعليم في المملكة لعبد العزيز عبد الله السنبل، الرياض.
- ١٦٤ - موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي.
- ١٦٥ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ١٦٦ - نبذة وجيزة عن عمارة الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام إلى عهد خادم الحرمين الشريفين محمد بن عبد الله السبيل.
- ١٦٧ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
- ١٦٨ - نساء شهيرات من نجد لدلال الحربي، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٩٩م.
- ١٦٩ - نظام البلديات والقرى، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مطابع الحكومة الأهلية، الرياض

- ١٧٠ - نظام ديوان المطالم، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مطابع الحكومة الأهلية، الرياض
- ١٧١ - نفع الطيب عن غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.
- ١٧٢ - نماذج من جهود حكومة المملكة العربية السعودية في بناء المساجد داخل المملكة، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ١٧٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق: الزاوي والطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١٧٤ - هداية الحيارى في الرد على النصارى لابن القيم، طبع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- ١٧٥ - هذه بلادنا، الإصدار الأول لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية في عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٧٦ - وثائق الإعلام السعودية والعالمية لمحمد فريد، ووثائق وكالة الأنباء السعودية - وزارة الإعلام
- ١٧٧ - وثائق وكالة الأنباء السعودية، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- ١٧٨ - الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٦هـ.
- ١٧٩ - وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

فهرس الموضوعات

- ٥- التقدفم
- ٧- مقدمّة البحث
- ٧- شفوع الكتابة عن سفر الخلفاء والملوك والسلاطفن والأمراء منذ القدم، وأمثلة من ذلك
- ٧- إبراز جهود الشّخص فف خدمة الإسلام وأهله هو إبراز للإسلام نفسه، ومسلك حمفد فف نشر الرّسالة المحمّديّة
- ٨- سعاده المؤلّف واستمتاعه بالكتابة عن الملك خالد-رحمه الله-
- ٩- كلمة الماوردي فف أثر صلاح الملوك فف حبّ رعاياهم لهم
- ١٠- أسباب الكتابة عن هذا الموضوع
- ١٠- خطة البحث
- التمهفد: وفشتمل على ترجمة موجزة عن حياة الملك خالد ١١
- أولاً: نسبه ١٣
- ثانفا: مولده ١٦
- ثالثاً: نشأته ١٦
- رابعاً: حياته العلمفة ١٩
- خامسا: حياته السّفاسفة ٢٣
- سادساً: وفاته ٣١
- المبحث الأول: جهوده فف مجال خدمة القرآن الكرفم والسنة النبوية ٣٥

المبحث الثاني: جهوده في مجال خدمة العلم الشرعي وأهله ٦٤

المبحث الثالث: جهوده في مجال خدمة الحرمين الشريفين والمشاعر

المقدّسة ٧٠

المبحث الرابع: جهوده في مجال خدمة الدعوة إلى الله تعالى في الدّاخل

والخارج ٨٤

المبحث الخامس: جهوده في مجال العمل الإغاثي في الدّاخل والخارج

المبحث السادس: موقفه من حادثة الحرم المكي الشريف ١٢٤

المبحث السابع: جهوده في مجال الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

— نتائج وتوصيات

— فهرس الآيات

— فهرس الأحاديث والآثار

— فهرس الآثار

— فهرس المصادر والمراجع

— فهرس الموضوعات

المؤلف في سطور

الاسم: أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش . تاريخ الميلاد: ١٣٧٨/٧/١ هـ .
الزلفى . السعودىة .

البريد الإلكتروني: (dr-driweesh@hotmail.com)

المرتبة العلمية:

أستاذ فى الفقه فى كلية الشريعة بالرياض .

حاصل على البكالوريوس شريعة ١٤٠٠ هـ . الماجستير فى الفقه الإسلامى
١٤٠٤ هـ . الدكتوراه فى الفقه الإسلامى ١٤٠٩ هـ .

الوظائف العلمية والإدارية الحالية :

- أستاذ الفقه بكلية الشريعة بالرياض .
- وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لخدمة المجتمع وتقنية المعلومات .

الوظائف العلمية والإدارية الأخرى :

- يرأس العديد من اللجان العلمية والإدارية داخل الجامعة ، بالإضافة إلى
- عضوية العديد من الجمعيات العلمية والإدارية فى الداخل والخارج ، منها
- على سبيل المثال :
- عضو لجنة قيد المحكمين السعودىة ، ومحكم معتمد فى وزارة العدل .

الاسم: أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش . تاريخ الميلاد: ١٣٧٨/٧/١هـ .
الزلفي .السعودية .

البريد الإلكتروني: (dr-driweesh@hotmail.com)

المرتبة العلمية:

أستاذ في الفقه في كلية الشريعة بالرياض .

حاصل على البكالوريوس شريعة ١٤٠٠هـ . الماجستير في الفقه الإسلامي

١٤٠٤هـ . الدكتوراه في الفقه الإسلامي ١٤٠٩هـ .

الوظائف العلمية والإدارية الحالية :

- أستاذ الفقه بكلية الشريعة بالرياض .
- وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لخدمة المجتمع وتقنية المعلومات .

الوظائف العلمية والإدارية الأخرى :

يرأس العديد من اللجان العلمية والإدارية داخل الجامعة ، بالإضافة إلى عضوية العديد من الجمعيات العلمية والإدارية في الداخل والخارج ، منها على سبيل المثال:

- عضو لجنة قيد المحكمين السعودية ، ومحكم معتمد في وزارة العدل .
- عضو اللجنة التحضيرية لمجلس الدعوة والإرشاد . في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .
- عضو الجمعية الفقهية السعودية .
- عضو الجمعية العلمية السعودية للتدريب وتطوير الموارد البشرية .

عضو مشارك في

- التدريس في هيئة المحاسبة والمراجعة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي .
- ممثلاً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رابطة الجامعات الإسلامية .
- ممثلاً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لدى هيئة حقوق الإنسان

المؤلفات والأبحاث العلمية :

له عدد من المؤلفات والأبحاث المنشورة منها على سبيل المثال:

١. أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي	٢. الوظائف الاقتصادية للدولة في الإسلام
٣. خطأ الطبيب وأحكامه في الفقه الإسلامي	٤. حماية البيئة المائية والنباتية من التلوث في الفقه الإسلامي
٥. المخالفات المرورية .دراسة فقهية	٦. طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن
٧. فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٨. حلقات القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الفكري
٩. الأمن الفكري حقيقته ومقوماته وأثره على الفرد والمجتمع	١٠. حب الوطن وصدق الانتماء إليه نظرة شرعية
١١. جريمة البغي وعلاقتها بالإرهاب	١٢. المملكة العربية السعودية والعمل الإغاثي (حقائق وأرقام)

المشاركات العلمية :

- شارك في عدد من المؤتمرات والندوات والمحاضرات والدورات العالمية والعربية والمحلية داخل المملكة وخارجها في عدة مجالات علمية وتوعوية وأمنية وتطوعية . . كما أنه باحث متخصص في الدراسات والشؤون الإسلامية
- الجوائز العلمية والشهادات التقديرية:

حاصل على شهادة المدينة المنورة / فرع البحث العلمي لعام ١٤٢٤ هـ .
حاصل على عدد من الشهادات التقديرية والدروع التذكارية
وخطابات الشكر والتقدير والعرفان من عدد من الجهات العلمية في
مجالات علمية وعملية متعددة من جامعتة وغيرها من الجهات التي
شارك فيها .

المشاركات العلمية :

شارك في عدد من المؤتمرات والندوات والمحاضرات والدورات العالمية
والعربية والمحلية داخل المملكة وخارجها في عدة مجالات علمية
وتوعوية وأمنية وتطوعية . . كما أنه باحث متخصص في الدراسات
والشؤون الإسلامية . .

الجوائز العلمية والشهادات التقديرية:

حاصل على شهادة المدينة المنورة / فرع البحث العلمي لعام ١٤٢٤ هـ .
حاصل على عدد من الشهادات التقديرية والدروع التذكارية
وخطابات الشكر والتقدير والعرفان من عدد من الجهات العلمية في
مجالات علمية وعملية متعددة من جامعتة وغيرها من الجهات التي
شارك فيها .

(١) بمعنى دعامة وسند.